بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزيرة

كلية التربية – حنتوب

قسم الجغرافيا والتاريخ

دور القيادة النبوية في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى

(53 قبل الهجرة – 1 هـ) (571 م – 622 م)

إعداد

محمد العاقب الهادي محمود

الدرجة العلمية السابقة – بكالريوس الشرف المرتبة الأولى في التربية

(**تخصص جغرافيا – تاريخ**)

كلية التربية – حنتوب – جامعة الجزيرة (مايو 2000 م)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة ماجستير الآداب في التاريخ

تخصص تاريخ إسلامي

أبريل 2014م

دورالقيادة النبوية في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى
(53 قبل الهجرة 1 هـ) (571م – 622 م)

محمد العاقب الهادي محمود

لجنة الإشراف :

الاســــــــــم	**الصفة**	**التوقيع**
د.أمين أحمد الطاهر	المشرف الأول	....
د. الفاتح الشيخ يوسف	المشرف الثاني	....

التاريخ ....

دورالقيادة النبوية في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى
(53 قبل الهجرة – 1 هــ) (571 م – 622 م)

محمد العاقب الهادي محمود

لجنــة الإمتحـان :

الاســـــــــــم	الصفة	التوقيع
د.أمين أحمد الطاهرالفضل	رئيس اللجنة	....
د.عبدالفتاح محمدالكباشى	الممتحن الخارجى	....
د.أبراهيم عمرعثمان الطاهر	الممتحن الداخلى	....

تاريخ الامتحان : 6 / 4 / 2014 م

الإهـــداء

إلى روح أمي التي رعتني طفلاً ووقفت بجانبي رجلاً

ولم تسعد بنجاحي فلها الرحمة

إلى أبي الذي تعهدني وقوّمني وأكمل تربيتي فله الشكر

إلى زوجتي العزيزة التي وقفت وكابدت معي

إلى بناتي أهدي هذه الثمرة علّها تكون نبراساً وزا داً

ومشجعاً لهن في مقبل الأيام

الشكر والتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده, محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه أجمعين.

يسعدني أن أتقدم بوافر شكري وتقديري لأستاذي الجليلين الدكتور/ أمين أحمد الطاهر والدكتور/الفاتح الشيخ يوسف اللّذين أشرفا على هذه الدراسة ، وبذلا جهداً كبيراً في إرشادي وتوجيهي، وكان لملاحظاتهم أثر كبير في إخراج الدراسة بهذه الصورة المتواضعة .

والشكر موصول إلى أسرة جامعة الجزيرة, ولعمادة الدراسات العليا والبحث العلمي, كما أشكر أسرة كلية التربية حنتوب, وأسرة المكتبة وقسم الجغرافيا والتاريخ , وأخص بالشكر الدكتور/ أحمد عبد الله والدكتور / إبراهيم عمر ، كما أشكر أسرة مكتبة جامعة القرآن الكريم, وأسرة مكتبة جامعة النيلين وأسرة مكتبة جامعة الخرطوم كلية الآداب, وأسرة مكتبة جامعة أم درمان الاسلامية, وأسرة مكتبة جامعة السودان،وأسرة مكتبة جامعة أفريقيا العالمية ، كما لا يفوتني أشكر الاستاذة/ نسرين ميرغني والاستاذة ناهد أيوب اللتين قامتا بطباعة هذه الدراسة حتى خرج بهذه الصورة المتواضعة.

وفي الختام خالص شكري وتقديري لكل شخص وقف بجانبي وساعدني ولو بكلمة ، وأخص بالشكر أسرتى الصغيرة التى وقفت بجانبي حتى رأت هذه الدراسة النور.

ملخص الدراسة

دور القيادة النبوية في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى(53 قبل الهجرة - 1 هـ)
(571 - 622م)

محمد العاقب الهادي محمود

ملخص الدراسة

ستظل السيرة النبوية غضة طرية ومعين لا ينضب ، تلهم كل من يريد أن ينهل منها في أي مجال من مجالات نهضة الأمة الإسلامية , وفي هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة الإسلامية يجب أن نستلهم من سيرته ﷺ ركائز المستقبل , ودعائم البناء المتين، والدولة الإسلامية الأولى التي أقامها ﷺ هي مرحلة مفصلية من مراحل السيرة العطرة، فهذه الدراسة هدفت لتوضيح وبيان المجهود الكبير الذي بذله ﷺ في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة المنورة , وتوطيد دعائمها فى فترة وجيزة, تلك الدولة التي تكونت بعد تعذيب وعناء وهجرة ، والتي قامت علي أسس جعلتها أكثر ثباتاً وقوة, كالإخاء بين المهاجرين والأنصار, وبناء المسجد,والصحيفة التى تعتبر دستور المدينة الجديد ، فقد تميزت هذه الدولة بخصائص متفرده ؛ مثل الحدود الجغرافية الواضحة والقانون الذي يطبق بالعدل والمساواة علي جميع السكان، وقد توافرت فيها كل متطلبات الحياةالكريمة,من صحة,وتعليم، وتوفيرمياه شرب،وتجارة،وزراعة،وثروة حيوانية،وساد فيها الأمن والاستقرار, وعاش المجتمع فى إخاء وتعاون ومحبة, اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الاستدلالى، والوصفي الاستنباطى التحليلى الذى يعتمد على سرد الأحداث وتحليلها للوصول للحقيقة التاريخية الموثقة ، توصلت هذه الدارسة إلى عدة نتائج منها أن السياسة في السيرة أصل ثابت، ولايعتبر اليتم عقبة في طريق القياده والريادة، وإن حرفة رعي الغنم من الحرف المهمة في التدريب علي قيادة البشرية، والسفير في الإسلام له صفات معينة, كالصدق، والأمانة، والحكمة، والعلم ،وإن الصبر والحكمة من صفات القائد السياسي الناجح، كان لخديجة بنت خويلد(رضى الله عنها) الأثرالقوى فى تثبيت أركان الدعوة الاسلامية، وكذلك يجب استخدام السرية والكتمان عند الضرورة، وأيضاً الأخذ بالأسباب من أهم عوامل النجاح ، وأن التعددية وقبول الآخر والحرية الدينية أصل في الإسلام، توصي الدراسة بتقديم دراسة علمية عن دستور المدينة والاستفادة منه في الواقع المعاصر، وإنشاء مراكز تربويَّة تهتم بالأيتام، والاهتمام باللغة العربية أكثر من غيرها من اللغات، وتفعيل دور المساجد حتى تحقِّق نهضة الأمة الإسلامية , وإنشاء معاهد خاصة لتدريب وإعداد الكوادر في مجال القيادة، كما توصي بتطبيق نموذج النبى صلى الله عليه وسلم فى تكوين الدولة الإسلامية على أرض الواقع؛ حتى ينصلح أخرهذه الأمة كما إنصلح أولها، وإخضاع المؤاخاة لمزيد من الدراسة, وتناول هجرته ﷺ بمزيد من التحليل والدارسة ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ.

Prophetic Leadership in Establishing the First Islamic State (53 before Migration – 1 H) (571-622)

Muhammed Al-Agib AL-Hadi Mahmoud

Abstract

The prophetic biography is a fertile source that inspires all who want to gain knowledge in every field of the Islamic state progress. In this critical stage of the history of the Islamic nation, we must draw inspiration from the prophet's biography (Peace be upon him) for the future firm supports. The first Islamic state he established is a crucial stage of the definitive biography. The study aimed at exploring the great effort, he (Peace be upon him) exerted in establishing the first Islamic State in Al-Madina Al-Munawara and consolidating its supports in a short period of time. That state which was formed after great pains and hegira, was firmly established on fundamentals such as brotherhood between immigrants and supporters, building the mosque, and the paper which is considered as Al-Madina new constitution. This state was characterized with unique qualities such as: clear geographical boundaries and law, which is applied fairly and equally to all residents. It provided all the good life requirements such as: health and education services, drinking water, trade, farming and animal husbandry. Moreover security and stability prevailed and the whole community lived in love, brotherhood and co-operation. The study adopted the historical evidential, descriptive, inductive and analytic method which depend on narration and analysis of events to find out the historical documented fact. The study revealed the following results: politics is an essential part of the biography, orphanhood is not an obstacle in the way of leadership. Grazing sheep is an essential craft for training on human leadership. Ambassador in Islam has certain qualities such as sincerity, honesty, wisdom and knowledge. patience and wisdom are the qualities of the successful political leader. Secrecy must be used whenever necessary. Making effort is an important factor for success. Moreover, multiplicity, others acceptance and religious freedom are fundamentals in Islam. The study recommends: conducting a scientific investigation in Al-Madina constitution and making use of it in the contemporary reality. Establishing educational centers that care for orphans. Paying special attention to Arabic over other languages. Creating special institutes for training cadres in the field of leadership. In addition to, subjecting brotherhood for more investigation. And dealing with his immigration (peace be upon him) with more analysis and study, that event which changed the course of history.

المقدمة العامة

أ / أهمية الدراسة:-

تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال الجوانب الأتية:-

1- القيادة النبوية التي لم ولن يأتي التاريخ بمثلها.
2- قيام دولة نموذجية في فترة زمنية محددة .
3- النزهة والمتعة في الكتابة عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم).
4- تجاوز القيادة النبوية المحمدية القيادة العادية ؛ وذلك لأن الرسول(صلى الله عليه وسلم)لا ينطق عن الهوى من أجل ذلك فهي أولى بالدراسة من غيرها .
5- لأن أحكام دولة الرسول(صلى الله عليه وسلم) مسايره للطبيعة الانسانية الصحيحة لذلك لابد من التعرف عليها.
6- لأن أخرهذه الأمة لا ينصلح إلا بما انصلح بها أولها.
7- لمعرفة التنظيم الادارى داخل الدولة الإسلا مية الأولى.

ب/ أسباب اختيار الدراسة :-

1- لمعرفة كيفية الجمع بين الدين والسياسة في إدارة الدولة .
2- للتعرف على النظام التكافلي الذي وضعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الدولة الأنموذج .
3- للتعرف على الموضوعية في وضع الشخص المناسب في المكان المناسب من خلال اختيار الرسول (صلى الله عليه وسلم) لبعض أصحابه لتأدية مهام معينة.
4- للتعرف على حكمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعبقريته الفذة, فهو حاكم وقاضي ومفتي، ومعلم، ومربي، وقائد للجيوش، وإمام في الصلاة .
5- للوقوف على حالة شبه الجزيرة العربية الدينية، والاجتماعيَّة، والسياسية قبل الإسلام.
6- لمعرفة سيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) منذ ميلاده حتى بعثته، ونشرة للدعوة الإسلامية.
7- للتعرف على موقف قريش من دعوته(صلى الله عليه وسلم), ومقاومتها، ومحاولة القضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها .
8- للتعرف على الهجرات التى قام بها الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه؛ للحفاظ على الدعوة الإسلامية في بداية عهدها .

ت/ نطاق الدراسة :-

1- النطاق الزماني:-

تتناول هذه الدراسة مرحلة مهمة من تاريخ الإسلام خلال الفترة من (53قبل الهجرة–1هـ) (571-622م)

2- النطاق المكاني:-

يشمل الحجاز .

ث/ موقع الدراسة من الدراسات السابقة :-

لم أحصل على رسالة أفردت بحثاً عن القيادة النبوية في تأسيس الدولة الأسلامية الأولى فى خلال هذه الفترة الزمنية المحددة ، ولكن هنالك رسائل ماجستير تناولت جزء من هذا الموضوع منها على سبيل المثال لا الحصر:-

1-أحمد,عبد الله أحمد حسب الله: منهج النبي(صلى الله عليه وسلم) في نشر الدعوة السرية وحمايتها، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية،حنتوب، جامعة الجزيرة،2008م, تحدث صاحبها فى فصل منها عن دور دارالأرقم فى المرحلة السريَّة من الدعوة,فاستفدت منها كثيراً، وأضفت إلى ذلك دورهذه الدارفى تربية الجيل الأول من الصحابة، و تحدثت عن الزراعة فى منطقة الحجاز واليمن وماتنتجه من محاصيل , وكل ذلك ضمنته فى بحثي.

2-جمال, عبده أحمد نعمان: العمل السياسى فى السيرة النبوية من البعثة حتى الدولة, رسالة ماجستيرغير منشورة, كلية التربية، حنتوب,جامعة الجزيرة,999إم, تناولت الوضع الاقتصادي والوضع السياسى فى شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد أفدُّتُ منها وأضفت إلى هذا الجانب سلطة القبيلة ودورها فى المجتمع الجاهلي، ودور الشعراء وأثرهم.

ج/ تقويم أهم المصادر والمراجع :-

اعتمدت فى بحثي هذا على معظم مصادر التاريخ الإسلامي , وأهمَّ هذه المصادر على سبيل المثال :-

1- البخاري, محمد بن إسماعيل أبوعبد الله، صحيح البخاري,(دارا بن كثير, بيروت,1987م)

هو من المصادر المهمة فى أحداث السيرة النبوية ,وهو من أصح الكتب بعد القرآن الكريم فقد أستفدُّتُ منه في الفصل الرابع وذلك ببيان الخدمات التي كانت في عهده (صلى الله عليه وسلم)من صحة وتعليم ومياه شرب ّ.

2 ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية(دار الجيل , بيروت1987 م) من المصادرالتى لا غنى عنها إطلاقا فى دراسة السيرة النبوية، تميز بالإختصارفى سرد أحداث سيرة ابن اسحاق استفدت منه في تحليل احداث الهجرة النبوية من مكة الى المدينة .

3- ابن كثير,الحافظ عماد الدين ابو الفداء:البداية والنهاية(دار الكتب العلمية , بيروت,1989م)من المصادر المهمة التى قدمت السيرة النبوية فى صورة دانية الى الكمال,دقيقة فى العرض,ممحصة للروايات والاخبار وظهرت الاستفادة منه في الدعوة السرية والدعوة الجهرية .

4- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري (مؤسسةالأعلمى للمطبوعات, بيروت ، 1879 م) تميز بتعدد الروايات حول الموضوع المعين الأمر الذى مكن من عملية المقارنة والتحليل من أجل الوصول إلى الحقائق, وأيضا نسب الروايات إلى رواتها , فقد ظهرت الاستفادة منه في جميع فصول البحث .

5-ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم: الكامل فى التاريخ ،(دار صادر بيروت ، 1979م) مصدر مهم فى التاريخ الإسلامي، فقد سرد الأحداث فى تسلسل زمنى و موضوعى, فكانت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض، فقد ساعدنى فى سرد أحداث هذ البحث.

6 - الحموي , أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان(دار صادر, بيروت، 1979م) هو من كتب الجغرافيا التى تهتم بتوضيح التوزيع الجغرافى للمواقع التى شملها البحث, والذى استفدت منه استفاده قصوى في الفصل الاول المرتبط باماكن شبه الجزيرة العربية المختلفة.

هناك مصادر أخرى كثيرة استفدت منها فائدة عظيمة كان لها أثرٌ كبيرٌ فى إخراج البحث بهذه الصورة لما اشتملت عليه من أحداث مهمة، والتى لايتسع المجال لذكرها فمكانها ثبت المصادر والمراجع.

المراجع العربية:-

كان لابد من الرجوع إلى المراجع الحديثة لما لها من أهمية كبيرة فى مناقشة وتحليل الأحداث بالاضافة إلى دعم وترجيح بعض الروايات التى اختلفت حولها المصادر الأولية وجاءت الاستفادة منها كبيرة ومنها على سبيل المثال لاالحصر:-

1-المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم،(شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر, بيروت،1976م.) ظهرت الاستفادة منه في تحليل احداث السيرة المختلفة.

2-السباعي, مصطفى, السيرة النبوية دروس وعبر, (المكتب الإسلامي دمشق 1980م) الطبعة الخامسة واستدفت منه في تحليل وترجيح بعض الروايات المرتبطة بنشأته صلى الله عليه وسلم .

3-غنيمي(الدكتور) مصطفى عبدالعاطي: السيرة النبوية (مكتبة مدبولي،القاهرة,2005 م)

ح/ مشكلات الدراسة :-

ومن المشاكل: مشكلة الطباعة وعدم التفرغ التام للكتابة المتواصلة وذلك بسبب عملى.

خ/ منهج الدراسة :-

1- المنهج الفكري : استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي الاستدلالي والمنهج الوصفي الاستنباطي التحليلي الذي يعتمد على سرد الأحداث وتحليلها للوصول للحقيقة التاريخية الموثقة .

2- المنهج الكتابي : يشتمل هذا البحث على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة ونتائج وتوصيات .

يتناول التمهيد حالة شبه الجزيرة العربية قبل الرسالة،من حيث الموقع، والحالة السياسية, والحالة الاقتصادية، و الحالة الاجتماعية, والحالة الدينية ,وسجايا العرب وصفاتهم.

أما الأول فيتناول أصل ونسب الرسول(صلى الله عليه سلم)، وميلاده ونشأته(صلى الله عليه وسلم) ,والاعمال التى قام بها ومشاركتة فى الحياة الاجتماعية.

ويتناول الفصل الثانى بعثة الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومراحلها, والأساليب النبوية للدعوة الاسلامية، وأساليب قريش لدحر القيادة النبوية، و صورمن تعذيب قريش للمسلمين.

ثم يجيء الفصل الثالث موضحاً لهجرة الرسول (صلى الله عليهوسلم)، وهجرتا المسلمين الأولى الثانية إلى أرض الحبشة، وفاة السيدة خديجة وأبي طالب, وخروجه(صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف، وبيعتا العقبة الأولى والثانية وما ترتب عليهما من نتائج، ثم هجرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) والمسلمين الكبرى من مكة إلى المدينة , و مؤامرة قريش لمنع الهجرة .

يحتوى الفصل الرابع على تأسيس الدولة الإسلامية الأولى، والذى يبين دعامات هذه الدولة وهى بناء المسجد,وأهدافه، الأذان ودوره، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار, والصحيفة وتكوين الدولة، وأجهزة الدولة الادارية . وأخيراً كانت خاتمة البحث, ثم نتائجه والتوصيات و ذُيل البحث بثبت المصادر والمراجع والملاحق والفهرست .

والله ولى التوفيق .

تمهيد

حالة شبة الجزيرة العربية قبل الاسلام

أ/ الموقع:-

تقع شبه الجزيرة العربية في الركن الجنوبي الغربي من قارة آسيا[*]، وفى موقع ممتاز، فهي أكبر شبه جزيرة في العالم، إذ تبلغ مساحتها مليون ميل مربع، ومتوسط عرضها سبعمائة ميل، ومنتهي طولها ألف ومائتان ميل مربع[1], سميت شبه جزيرة ؛ لأن الله تعالى حماها بالمياه من جهاتها الثلاث،غرباً, وجنوباً, وشرقاً, والتحديد من الجهات الثلاث هذه محل اتفاق بين المؤرخين والجغرافيين[2] ،وتعتبرمشارف الشام[*1] وريف العراق [*2]حدا شمالياً لها، ويعتبر جبل السراة [*3]أعظم جبال العرب وأشهرها، سمته العرب حجازاً، لأنه حجز بين الغور[*4] وهو هابط وبين نجد[*5] وهو ظاهر.[3]

وقد تغلبت الصحراء والرمال وظهر الجفاف علي شبه الجزيرة العربية،وقلّ فيها سقوط الأمطار, وكانت المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة ومع ذلك لم يستطع الجو البحري أن يخفف من حدة الحرارة فيها , ويتغلب عليها الجفاف , والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن من الوصول إلى أواسط بلاد العرب؛ وذلك لكبر مساحتها.[4]

---

[*]آسيا: بكسر السين المهملة ، كلمة يونانية،وكان اليونان يقسمون المعمور من الأرض إلى ثلاثة أقسام, وهي لوبية وأورفي, وماأستقبل هاتين القطعتين من المشرق يسمى آسيا , ووصفت بالكرى يحدها من الغرب النهر, والخليج اللذان يفصلانها عن أورفي , ومن جهة الجنوب بحر اليمن والهند , ومن المشرق أقصى أرض الصين, ومن الشمال أقصى أرض الترك وأجناسهم،ومن الناس من يقسم اسيا إلى قطعتين آسيا الصغرى, وهي العراق , وفارس, والجبال وخراسان , واسيا العظمى وهي الهند والصين والترك.

- الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان(دار الفكر, بيروت، بدون تاريخ نشر)ج1، ص54.

(1)الشريف, أحمد ابراهيم : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلّى الله عليه وسلم (دارالفكرالعربى ,القاهرة ، ،1965م) الجزء الاول ص 13 -14.

(2)ابوزيد, بكر بن عبد الله : خصائص جزيرة العرب (المدينةالمنورة , 1421هـ) الطبعة الثانية ص 7-8.

(*1) الشام : بلاد كثيرة وكور عظيمة وممالك ، وقسمت الأوائل الشام خمسة أقسام: فلسطين ,و القوطة, و حمص ,و قنسرين, و طبرية ، سميت شاماً لشامات هناك حمر وسود ,ولم يدخلها سام بن نوح ,ويقال أول من اختطها اسمه سام بالسين وعربت فقيل شام.

- الحميري, محمد بن عبد المنعم: الروض المعطارفي خبرالاقطار (مؤسسة ناصرللثقافة, بيروت, 1980 م) ص 335.

(*2) العراق:هي البلاد التي تضم الكوفة والبصرة , سميت بذلك من عراق القربة , وهو الخرز المثنى الذي اسفلها؛ أي انها اسفل أرض العرب, وقيل سمي العراق عراقاً لانه دنا من البحر فهو يقع على شاطئ دجلة والفرات.

- الحموى:المصدر السابق , ج 4 , ص 93 .

(*3) جبل السراة: هي جبال متصلة على نسق واحد من اقصى اليمن الى الشام عرضها اربعة ايام في جميع اجزائها وقد يزيد كسر يوم في بعض المواضع وقد ينقص مثله في بعضها .وسراة تعني ما استطال واستوثق في الارض.

- الهمداني, ابو محمد بن أحمد بن يعقوب :صفة جزيرة العرب (مطبعةالسعادة, القاهرة , 1963م) ، الجزء الاول ص 27-35 .

(*4) الغور : هو المنخفض من الارض واصله ما تداخل وما هبط ومن ذلك غور تهامة.

- الحموي: المصدر السابق ، ص216.

(*5) نجد: هي قفاف الارض وصلابها وما غلظ منها واشرف وهو ليس بالشديد الارتفاع.

- نفس المصدر ، ص 265-266

(3)الهمداني : المصدر السابق، ص 25.

(4) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (دارالساقى , بيروت ، 2001م) الطبعة الرابعة ، ص 140.

ب/ الحالة السياسية :-

لم تكن بشبه الجزيرة العربية سلطة سوى سلطة القبيلة، وهي سلطة شيخ القبيلة علي أفرادها، ولم تكن هناك أحكام ملزمة من جانب سلطة معينة، بل كان الحكم للأعراف والتقاليد والمصالح والأهواء، ويقال إن السبب في عدم قدرة العرب في شبه الجزيرة العربية علي تشكيل دولة, هو خلق التوحش الذي فيهم ، فهم أصعب الأمم انقياداً لبعضهم البعض, وذلك للغلظة والأنفة, وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة, فقلّما تجتمع أهواؤهم، لكونهم أكثر بداوة من سائر الأمم, وأبعد مجالاً في القفر، لإعتيادهم الشظف وخشونة العيش, فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك التوحش، ولا يسوسهم إلا من كان عالماً بطبعهم، وكان من جنسهم؛ ولأن رئيسهم محتاج إليهم غالباً بسبب النظام الاجتماعي الذى كان سائداً، فيكون مضطراً إلى إحسان ملكتهم، وترك مخالفتهم، لئلا يختل عليه شأن القبيلة فيكون فيه هلاكه وهلاكهم. [5]

كانت السيادة في شبه الجزيرة العربية للقبيلة, حتى في الممالك المتحضرة التي نشأت في أطراف شبه الجزيرة العربية, فلم تنصهر فيها الجماعة في شعب واحد، إنما ظلت القبائل وحدات متماسكة ، والقبيلة العربية هي مجموعة من الناس تؤمن بوجود رابطة تجمعهم, تقوم علي وحدة الدم ووحدة الجماعة , وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم العلاقة بين الفرد والجماعة علي أساس من التضامن بينها في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت القبيلة تتمسك به أشد التمسك في نظامها السياسي و الاجتماعي علي السواء، فكان لكل قبيلة رئيس يقال له السيد أو شيخ القبيلة، وهذا السيد يتم اختياره بناءً علي فضائل وصفات اتصف بها، منها الشجاعة ، والجود ، والغيرة، وسعة الثروة وسداد الرأي، وكمال التجربة مع كبر السن، فيمكنه بهذه الصفات الممتازة- الكفيلة بتحقيق مصالح

القبيلة - أن يكون سيد القبيلة، ويجب أن يكون سيد القبيلة من صريح نسبها, لنفور طباع العرب من أن يحكم في القبيلة أحد من غيرها.[6]

ويجب أن يكون شيخ القبيلة من أقوى بطونها، وأشهرها شرفاً، وأكثرها عصبية , حتي يكون له من الانتصار بعصبيته والاعتزاز بهم ما يمكّن له من الرئاسة ،ومن إطاعة القبيلة له وإحترامها لرأيه، ولشيخ القبيلة حقوق أدبية ومادية، أمَّا الأدبية فأهمها توقيره، واحترام شخصه ورأيه ، وله الإمرة العامة علي الجند، والاستجابة

---

(5) ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن محمد: المقدمة (دارإحياءالتراث, بيروت، بدون تاريخ نشر)الجزء الاول، ص75.

(6)الشريف : مرجع سبق ذكره ص 30 -31.

لأمره ، والنزول لحكمه وقضائه ، أما المادية، فقد كان له في كل غنيمة تغنمها القبيلة المرباع(*)،والصفايا(*1) والنشيطة(*2) ، وكذلك الفضول(*3) ، وقد أجمل ذلك الشاعر العربي الجاهلي بقوله :

لك المرباع فينا والصفايا *** وحكمك والنشيطة والفضول[7]

ومقابل هذه الحقوق واجبات ومسؤوليات، فهو في السلم كريم ، ويستقبل وفود القبائل الأخرى، ويقيم الضيافات،ويعقد الصلح والمعاهدات ، وفي الحرب يتقدم الصفوف , ويتحمل أكبر قسط من جرائر القبيلة , وما تدفعه من ديات.[8]

ولكل قبيلة أرض تعيش عليها وتنزل بها, وتعتبرها ملكاً لها تنتشر بها بطونها وعشائرها، ولا تسمح للغريب عنها النزول بها والمرور عليها إلاّ بموافقتها وبرضاها ، ويختص كل بطن منها بناحيته وينفرد بها ويعتبرها أرضاً خاصةً به ، فيضرب فيها خيامه ويستقر بها.[9]

والعربي مجبول علي الحرية، فهو لا يطيق الخضوع لأحد غير قبيلته، والعرب هم الوحيدون بين الشعوب الأسيوية التي لم تخضع لحكم الفرس(*4) فقد نشأ العربي في جو طليق وفي بيئة صحراوية

(*) المرباع : هو ربع الغنيمة .
- : المباركفوري ، صفي الرحمن : الرحيق المختوم (شركة الارقم بن أبي الارقم للطباعة والنشر، بيروت ،1976م)،ص30
(*1) الصفايا : هي ما يصطفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة .
- نفس المصدر ، نفس الصفحة
(*2) النشيطة : هي ما اصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل الى القوم .
- المباركفوري : المصدر السابق ، ص 30 .
(*3) الفضول: هو ما فضل من القسمة ومما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما.
- نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(7)الأصمعي, عبدالملك بن قريب بن عبد الملك :الأصمعيات ،دارالمعارف،مصر ، بدون تاريخ نشر، ص 27،
(8)الشريف: مرجع سبق ذكره ص33 ،35.
(9) جواد علي: مرجع سبق ذكره ،الجزء 7,ص342.
(*4) الفرس: من ولد فارس بن لاوذ بن سام ، وقيل من ولد طيراش بن اشوذ بن سام وقيل من ولد طيرش بن حوران بن يافث, وكانوا يسكنون منطقة فارس التاريخية فى الهضبة الإيرانية, ويتحدثون اللغة الفارسية وهى لغة هندأوربية,ويعيشون فى شكل طبقات,الطبقة الحاكمة وعامة الشعب.
- القلقشندي ,أبوالعباس احمد بن على: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان(دار الكتاب المصرى, القاهرة, 1982م) ص 8.

طليقة، ومن ثم كانت الحرية صفة من صفاتهم, وكل فرد في القبيلة يتعصب للقبيلة وينتصر لأفرادها سواء كان الفرد ظالماً، أو مظلوماً، والفرد في القبيلة تابع للجماعة وكان شعارهم:

وَهَل أَنَا إلا مِن غَزِيَّة إن غَوَت غَوَيتُ وَإن تَرشُد غَزِيَّةٌ أرشَدِ [10].

فالفرد يهب إذا سمع نداء العصبية حاملاً سيفه أو رمحه لينصر أخاه ولايسأله لم؟ بل عليه تلبية النداء وتقديم العون له[11]، فصار مثلهم (أنصر أخاك ظالمآ أو مظلومآ) وكانت مشيخة القبيلة هي الركن الأساسي في نظام القبيلة العربية ,إذ أن سلطة رئيس القبيلة كانت محدودة بواسطة هذا المجلس ، الذي يمثل الرأي العام في القبيلة ، وكانت مشيخة القبيلة تتألف من أصحاب الرأي فيها، وهنا نجد الكفاية والفضائل الذاتية هي المرجع, فشاعر القبيلة فرد من أفراد هذا المجلس بل هو في مقدمة رجاله.[12]

لم يكن للعرب شيء يرجعون إليه من أحكامهم، وأفعالهم إلاّ الشعر، به كانوا يختصمون وبه يتمثلون، وبه يتقاضون، وبه يتقاسمون ،وبه يمدحون ويعابون، وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم ، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر، المصيب المعاني، المخير الكلام ، أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم لهم في السنة، ومواسمهم عند حجهم البيت، حتى تقف وتتجمع القبائل، فتسمع شعره، ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم وشرفاً من شرفهم.[13] .

إن الشاعر هو الذي يتغني بمناقب القبيلة، ويرثي موتاها ، ويهجو أعداءها، ويدافع عنها بلسانه، وسلاحه هذا أمضي من سلاح السيف، وأفتك في الخصم من السهام، لذلك كانت القبيلة تفرح إذا نبغ فيها شاعر، وتعتز به وتحفظ شعره ، وكانوا يجعلون موهبة الشعر من صفات الكمال، وكذلك الخطيب وهو لسان القبيلة في منافراتها ومناظراتها.[14]

---

(10)ابن قتيبة ،محمد بن عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، مطبعة بريل ليدن، 1902م، ص160.

[11] جوادعلى: مرجع سبق ذكره، ص 392.

[12] الشريف : مرجع سبق ذكره ص 31.

[13] اليعقوبي , احمد بن ابي يعقوب : تاريخ اليعقوبي (دارالفكر, بيروت ، 1956م) ، ص102.

[14] الشريف : المرجع السابق ص32.

كان للقبيلة حكام ترجع إليهم في امورها، وتتحاكم إليهم في منافراتها ، ومواريثها ومياهها، ودمائها؛ لأنه لم يكن هناك دين يُرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكّمون أهل الشرف، والصدق، والأمانة ، والرئاسة ، والسن, والمجد، والتجربة.[15]

ثم كان من رجال المجلس أيضا الشجعان المشهورون بالفروسية، وبعض الأفراد من أصحاب المكانة فى المجتمع, بالإضافة إلى شيوخ العشائر, وكبار السن في القبيلة ممن إكتملت لهم تجارب الحياة كل هؤلاء يمثلون مشيخة القبيلة ، ومن اجتماعهم تكون السلطة التي يرجع إليها سيد القبيلة، ولهذه الهيئة أندية ومجامع للمداولة في شئون الحرب والسلم والفصل في الخصومات ودفع الديات ، وكل ما يهم القبيلة ، ولم يكن لمجلس القبيلة موعد معين يجتمع فيه إذ كانت العادة أنهم يجتمعون مساءً في المنازل التي يحل بها رئيس القبيلة كلما دعت الضرورة إلى الاجتماع[16] وكانت قرارات هذه المجالس نافذة، فجميع أفراد القبيلة في الغالب يذعنون لها ولا يشذون عليها, إن الرئاسة لم تكن وراثية ، وإنه لمن النادر أن تجد في قبيلة بقاء السيادة في ثلاثة أفراد متعاقيبين، إن الرئاسة تأتي من قوة العصبية، وشرف النسب، والخلال الكريمة، وهذه خلال وصفات تضعف من الإبن إلى الحفيد.[17].

كان النزاع بين القبائل في الجاهلية بسبب الاختلاف على السيادة ، أو التسابق علي موارد الماء ومنابت الكلأ ، وذلك بسبب جدب شبه الجزيرة العربية، فوقعت بينهم حروب كثيرة، أريقت فيها الدماء ، والأرواح ، واستمرّت بعضها سنوات عديدة ، ومن أشهرها حرب البسوس[*]وداحس والغبراء[*1] [18].

المظهر السياسي للقبيلة يظهر في الحرب أكثر من ظهوره في السلم، فالقبيلة تعيش متفرقة بمراعيها, وحالاتها الخاصة إلى أن تشتبك مع قبيلة أخرى في حرب، وهنا يتجلى المظهر السياسي ، فإن عشائرها وبطونها تتجمع كلها تحت لواء واحد ، كما تجتهد في أن تجد لها حلفاء من القبائل الأخرى، لتتقوي بهم على عدوها، لذلك

---

[15] اليعقوبى: مصدر سبق ذكره ص 104.

[16] الشريف: مرجع سبق ذكره ه ص32 .

[17] نفس المرجع ، نفس الصفحة.

(*)البسوس: قامت الحرب فيها بين بني بكر وتغلب, بسبب ناقة الجرهمي, وهو جار للبسوس بنت منقذ , خالة جساس بن مرة ، وقد كان كليب سيد تغلب في حمي لابله- مكان خاص به – فرأي فيه هذه الناقة فرماها فجزع الجرهمي وجزعت البسوس, فلما رأي ذلك جساس تحين الفرصة لقتل كليب, فقتله , فقامت الحروب الطاحنة بين القبيلتين لمدة اربعين سنة.
- ابن الاثير , عز الدين علي ابو الكرم : الكامل في التاريخ (دارالكتب العلمية, بيروت, 1995م) ج1، ص312

(*1) داحس والغبراء: كان سبب هذه الحرب سباق أقيم بسبب المفاخرة بين داحس وهو فرس لقيس بن زهير والغبراء وهي لحذيفة بن بدر, فاوعز هذا الي رجل من بني أسد ليقف في الوادي فإ ن رأي داحساً قد سبق يرده , وقد فعل ذلك فلطم الفرس حتي أوقعها في الماء فسبقت الغبراء, وحصل بعد ذلك القتل والأخذ بالثأر, وقامت الحرب بين القبيلتين :عبس وذبيان .
- ابن الأثير :المصدر السابق ، ص173.

[18] القلقشندي : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان, مصدر سبق ذكره, ص146.

كانت الحرب هي مظهر الحياة السياسية بين القبائل، لما تتطلبه من جهود خاصة، وتبعيات تجعل كل أفراد القبيلة يشعرون بحاجتهم إلى التجمع.[19]

ت/ الحالة الاقتصادية :-

نعني بها كل ما يتعلق بمفهوم الإقتصاد من تجارة، وزراعة، وصناعة، فأهم مورد اقتصادي في شبه الجزيرة العربية في الجاهلية كان هو التجارة، فهي الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر إليها العربي ولا إلى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء وانتقاص بل أعتبرت عندهم من أشرف الحرف قدراً ومنزلة[20] ، والظروف الطبيعية هي التي جعلت العرب تجاراً في الغالب ، وكان أهل مكة [*] أبرع التجار في شبه الجزيرة العربية[21] وقد أشار القرآن الكريم إلى تجارتهم فى قوله تعالى :﴿لإيلاف قريش[*1] إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف﴾ [*2].

فقد كان لأهل مكة رحلتين تجاريتين ضخمتين أحداهما إلى اليمن[*3] في الشتاء والثانية إلى الشام في الصيف، وكان السبب في تسيير هاتين الرحلتين في أمن وسلام هو بفضل حرمة بيت الله تعالى، فأصبح أهل مكة حيثما حلوا وجدوا الكرامة والرعاية مع ما كان شائع في شبه الجزيرة العربية من غارات السلب والنهب، فإن حرمة البيت جعلت لجيرته الأمن والسلامة, وجعلت لقريش بصفة خاصة ميزة ظاهرة ، وفتحت أمامها أبواب الرزق الواسع المكفول في أمان وسلام , مع جفاف البلاد وفقرها.[22]

سيطرت قريش على التبادل التجاري بين الشمال (الشام) والجنوب (اليمن) وكانت القوافل تحمل حاصلات الجنوب فتأتي بالذهب،و القصدير، والحجارة الكريمة، والصندل، والتوابل، والمنسوجات الحريرية، والكتانية،

---

[19] الشريف:مرجع سبق ذكره, ص32.

[20] جواد علي : مرجع سبق ذكره , ج3، ص 227.

(*) مكة : هي بيت الله الحرام ، سميت مكة لانها تمك الجبارين, أي تذهب نخوتهم ، ويقال سميت مكة لإزدحام الناس بها من قولهم أمتك الفصيل ضرع أمة اذا مصه مصاً شديداً ، يقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت ، وقال آخرون مكة هي بكة .

- الحموي : مصدر سبق ذكره , ج5 : ص 181

[21] جواد,على : المرجع السابق ،ج13،ص227.

(*1) قريش : قريش لقب غلب على بنى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، أخذاً من التقارش وهو التجارة ، لأنهم كانوا تجاراً ، وقيل أخذاً من التقريش وهو الإجماع لاجتماعهم على قصى ، قيل قريش اسم وفهر لقب غلب عليه ، وذهب ذاهبون الى أن قريشاً هو النضر بن كنانه نفسه ، وهم قسمين : قريش البطاح وقريش الظواهر .

- القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان , مصدر سبق ذكره , ص 40 .

(*2) سورة قريش 1-5.

(*3) اليمن : سميت اليمن لانها تقع يمين الكعبة حدودها بين عمان الى نجران ثم من بحر العرب الى عدن ، سميت باليمن الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها ، يحيط بها البحر من الشرق والجنوب.

- الحموي : المصدر السابق ،ص 447.

[22] قطب, سيد : في ظلال القرآن الكريم (دارالشروق, بيروت ، 1987م) ، ج 8 ، ص108.

العطور، وريش النعام، و اللؤلؤ, وتحمّل من الشام بالقمح، والدقيق، والزيت، والصوف، والسمن، وكانت البضائع تفرّغ في مكة ثم تخرج منها في قوافل إلى الجهات الأخرى .[23]

وقد كان التعامل بالربا منتشراً في شبه الجزيرة العربية, وهو مظهر من مظاهر الحركة الاقتصاديَّة، وكان الربا أحياناً يبلغ أضعاف القرض نفسه، فتؤكل بذلك أموال المدين وتذهب حقوق الأفراد، إلى جانب الربا كانت المضاربات، وبيع البضائع المتوهمه، أو البضائع التي لم تصل مكة بعد، فلطالما باعوا البضائع قبل وصولها من اليمن والشام مع وجود الحيل والخداع والغش واللعب على الناس. [24]

قد كان للعرب في الجاهلية أسواق يقيمونها في شهور السنة, وينتقلون من بعضها إلى بعض ، ويحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم ومن قرب ، فكان من أهمها سوق عكاظ(*)[25] ، وكذلك كانت توجد في منطقة مكة سوق مجنه(*1)وذي المجاز(*2) ويقضي العرب في هذه الأسواق حوائجهم ثم يرتحلون إلى مكة لحجهم[26].

أما طبيعة شبه الجزيرة العربية فكانت تغلب عليها الصحاري الواسعة ، لهذا فإن الزراعة فيها محدودة إلاّ في المواضع التي تتوفر فيها المياه من أمطار, وينابيع ، وعيون، ولم يكن من الممكن بالنسبة لأيام الجاهلية زرع مساحات واسعة بالحبوب، أو الخضر، أو النخل، وبقية الشجر لقلة المياه و الأمطار وعدم كفايتها لإرواء الزرع منذ بذر بذوره حتى حصاده، وللظروف السياسية، والاقتصاديَّة، و الاجتماعية التي كانت مهيمنة على مجتمع ذلك العهد. [27]

---

[23] الشريف : مرجع سبق ذكره، ج1 ، ص175.

[24] نفس المرجع ، ص181 – 182.

(*) عكاظ : كان سوق عكاظ من أهم الأسواق في الحجاز, وكانت تقوم في سهل منبسط بالقرب من مكة , وهي أشهر سوق في شبه الجزيرة العربية كلها, وكانت سوقاً عظيمة يغشاها العرب من كافة أنحاء الجزيرة العربية, وقد ساعد على نمو هذه السوق قيامها في الأشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال, ويأمن فيها الناس على أموالهم وأنفسهم , وفي هذه السوق كانت تباع مختلف التجارات والسلع الثمينة التي كانت تحمل قوافل التجارة , وكان لتجار قريش بها أكبر نصيب لقربها من مكة ولسيطرة مكة عليها.

- القلقشندي : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان, مصدر سبق ذكره ،ج1 ،ص153.

(25) نفس المصدر – نفس الصفحة.

(*1) مجنه: بلد علي أميال من مكة و كان بها سوق للعرب في الجاهلية ,غرب جبل يقال له الأصفر باسفل مكة وكانت تقام فى أخرعشرة ايام من ذي القعدة .

- الحموى: مصدر سبق ذكره ج5 ص58 -59.

(*2) ذو المجاز: من أسواق العرب في الجاهلية, مدته ثمانية ايام, بناحية كبكب, يمين الامام, على فرسخ من عرفه.

- نفس المصدر ، ص 25.

(26) الشريف : المرجع السابق ، ج1 ، ص76.

[27] جواد, علي : مرجع سبق ذكره، ج13 ،ص24-ص28.

اشتهرت اليمن بحاصلاتها الزراعية الغنية نتيجة لوجود سد مأرب[*] حيث فاضت المياه بعد حبسها في السد على الأرض الزراعية، فقد جاء ذكرها في القرآن قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[*1] .

قد عرفت بعض حواضر الحجاز الزراعة ، فأنتجت الحنطة ، والفواكه ، والعنب والتمور، وكانت الزراعة هي المهنة الرئيسة للسكان، بجانب ذلك عرفت العرب الصناعة ولكنها كانت محدودة جداً، كالدباغة، والغزول، وصناعة السيوف، وأدوات الحرب ولم تشكل مورداً اقتصاديًّا مهماً.[28]

كانت العرب لا تميل في الجاهلية إلى الصناعة, وتعتبرها من حرف العبيد والأعاجم والمستضعفين من الناس، ولعب الرقيق والموالي دوراً كبيراً في أعمال الحرف والزراعة في شبه الجزيرة العربية.[29]

كان يغلب على البادية رعي الماشية، والماعز، والضأن، والإبل، التي كان البدو يعتمدون عليها في حياتهم ، ويتنقلون عليها، ويشربون ألبانها ، ويتغذون بلحومها وينتفعون بأوبارها وجلودها في نسج ملابسهم وإقامة خيامهم.[30]

بصورة عامة لم يكن الوضع الاقتصادي لسكان شبه الجزيرة العربية مريحاً بل كان صعباً، وللظروف القاسية التي كانت في شبه الجزيرة العربية نجد بعض القبائل أعتمدت في كسبها على النهب، والسلب والغزو، ولجأت بعض الأسر إلى قتل الأولاد خوفاً من الفقر، ووأد البنات خوفاً من أن يتعرضن للسبي في حالة غزو القبيلة ويجلبن العار والذل، وكان الغزو والسلب والنهب لا يعد جريمة في نظر البدوى ، لذلك اتسمت الحياة الاقتصادية بالقسوة, والخشونة ، وماتت العاطفة عند الأعراب.[31]

ث/ الحالة الاجتماعية :-

إن كلمة العرب تعني جيل من الناس، وهم أهل الأمصار والأعراب سكان البادية، والنسبة إلى العرب عربي، وإلى الأعراب إعرابي، والذي عليه العرف العام إن لفظة العرب مشتقة من الإعراب وهو البيان أخذا من

(*) سد مأرب:كان بين ثلاثة جبال حيث يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج الا من جهة واحدة ، وكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيتجمع فيه ماء العيون هنالك مع ما يفيض من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر ، فكانوا اذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بابوأب محكمة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه.
- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ص35 .

(*1) سورة سبأ الاية 15

(28) أحمد, عبد الله أحمد حسب الله: منهج النبى صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة السرية حمايتها,رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الجزيرة , حنتوب, 2008م ص114.

(29) جواد ,علي: المرجع السابق ذكره، ج14 ،ص194.

(30) الشريف : مرجع سبق ذكره، ج1 ،ص72.

(31)جواد على: مرجع سبق ذكره ، ص72.

قولهم أعرب الرجل عن حاجته إذ أبان، سموا بذلك؛ لأن الغالب عليهم البيان والبلاغة، ومن ليس من العرب فهو عجمي، والأعجمى هو الذي لا يفصح في الكلام وإن كان عربياً[32].

أما أنواع العرب فقد اتفقوا على تنويعهم إلى نوعين عاربة ومستعربة, فالعاربة هم العرب الأوائل الذين فهمهم الله تعالى اللغة العربية إبتداءً فتكلموا بها فقيل لهم عاربة، أو بمعنى الراسخة في العروبية، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها، أما المستعربة هم الداخلون في العروبية من بعد العجمة، وقد قسم المؤرخون العرب العاربة إلى بائده وباقية ، فالبائدة هم الذين بادوا ودرست أثارهم، وهم من ورد هلاكهم فى القرآن الكريم، أما الباقية فهم الباقون في القرون المتأخرة بعد ذلك.[33]

كانت القبيلة العربية وحدة الحياة الاجتماعية ، وكانت كل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين أفرادها على أساس من وحدة الدم، ووحدة الجماعة، كان العرب يتعصبون لتقاليدهم، وموروث عاداتهم تعصباً شديداً، يرون في ذلك فضيلة لا معدى عنها، وجزء لا ينفصل عن حياة المجتمع، ولو أدى ذلك إلى الحرب وإراقة الدماء، والمواقف المهلكة، وقد بلغ من قوة العصبية للتقاليد أن أصبحت عندهم ديناً يرون الأخذ به من أمر الله تعالى ، قال تعالى :(وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (*) ، فكانت العصبية القبلية هي السائدة في المجتمع، فكانوا يحيون ويموتون لها، وكانت روح الإجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة تزيدها العصبية، وكان النظام الاجتماعي هو العصبية للجنس والرحم كما في شعارهم (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).[34]

كان أفراد القبيلة خاضعون لعرفهم القبلي خضوعاً صارماً ، وكل من يخرج على ذلك العرف يطرد من أهله ويتبرأ قومه منه، ويضطر أن يعيش طريداً، والعربي رجل جاد صارم لا يميل إلى هزل، ولا إلى دعابة ؛ لأنها من مظاهر الخفة والحمق، فإذا وجدوا في رجل دعابة أو ميلاً إلى الضحك أو الإضحاك عابوا ذلك الرجل، وانتقصوا من شأنه كائناً من كان.[35]

إن شدة العصبية وقوتها تابعة لدرجة قرب الدم والنسب وبعدها، فالعصبية للدم وأقرب دم إلى الانسان هو دم أسرته وعلى رأسها الأبوان، والإخوة، والأخوات، ثم الأبعد فالأبعد حتي تصل إلى العصبية القبلية .[36]

---

[32] القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، مصدرسبق ذكره, ص 4

[33] نفس المصدر , ص4-5

(*) سورة الاعراف الاية 28

[34] المباركفوري : مصدر سبق ذكره ،ص40.

[35] جواد علي: مرجع سبق ذكره، ج1 ،ص277.

[36] نفس المرجع , ص394.

انقسم المجتمع القبلي إلى طبقات اجتماعية ثلاثة وهي طبقة الأحرار وهم أبناء القبيلة الصرحاء، وهم الذين يجمع بينهم الدم الواحد، والنسب المشترك، وهذه الطبقة تتمتع بحقوق كثيرة ، يقابلها واجبات كثيرة نظمها القانون العرفي ، فالحر يتمتع بحماية القبيلة حياً وميتاً، فهي المسؤولة عن أي جريرة يرتكبها أحد أبنائها ، وعليها واجب الانتصار له ظالماً أو مظلوم, وكذلك له حق الاجاره والأخذ بالثأر، و طبقة الأرقاء وهم الذين أخذوا كأسري من الحروب والغارات ، أو عن طريق الاتجار بالرقيق الذي كان شائعاً بين العرب، فهؤلاء فرضت عليهم واجبات أرهقت كواهلهم، وأهدرت انسانيتهم ، فكانوا يرعون الماشية ، ويخدمون في المنازل، وكانوا محرومين من كافة الحقوق، وطبقة الموالي وهم من انضموا إلى القبيلة من العرب الأحرار من غير أبنائها عن طريق الجوار، أو الحلف، أو العتقاء من الأرقاء فيها.[37]

ظلت الأسرة في الحياة العربية هي نواة القبيلة ، فقد تعارف العرب في الجاهلية على أنواع من النكاح، لا يعيب بعضهم على بعض إتيانها ، وقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت: (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها ،ونكاح أخر كان الرجل يقول لإمراته إذا طهرت من طمثها، أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح أخر يجتمع الرهط مادون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتي يجتمعوا عندها، تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت ، فهو إبنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، والنكاح الرابع، يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهن البغايا ، كنّ ينصبن على أبوابهن رأيات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لها القافة(*) ثم ألحقوا

---

(37) الشريف, :مرجع سبق ذكره ج1، ص36.

(*) القافة : هي بمعنى الاستدلال وهي مشتقة من القفو ، فالقائف يقارب بين الهيئات فيحكم للأقرب صورة ، ويلحق النظير بنظيره في الاغلب .
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر (دار الفكر بيروت ،2000) ،ص335

ولدها بالذي يرون فالتاط به[*1]، ودُعِيَ ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد (صلّى الله عليه وسلم) بالحق هدم نكاح الجاهلية إلاّ نكاح الناس اليوم). [38]

كان الرجل له أن يتزوج ما يتمكن من النساء من غير تحديد، وجوز لنفسه الاتصال بأية امرأة شاء، وإن كان متزوجاً، وله أن يتسرى ما يشاء، والرجل هو رب الأسرة وسيدها والمسؤول عنها[39] ، إلاّ أن أوضاعها كما يصفها القرآن من وأد البنات وقتل للأولاد كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [*2] لا لذنب جنته إلاّ خوف العار, وكان الأولاد يقتلون كذلك لا لشيء إلاّ خوف الإملاق والفقر، قال تعالى:(لاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[*3] مع إنهم كانوا يحتاجون إلى الأولاد ليتقوا بهم العدوان ، كذلك لا يتمنون ولادة البنات ، وهذا الأمر كان سائداً بين أهل الجاهلية [40]،وكان من يئد البنت ويقتل الولد لم يعد قاتل، ولم يؤاخذ على فعلته حتي الأمهات لم يكن من حقهن منع الأباء من الوأد أو القتل، حتى الولد لم يكن له حق الاعتراض على ما يفرضه عليه أبوه، فكانت العرب تحرم نكاح الأصول كالأمهات، والفروع كالبنات، وفروع الأب كالأخوان، ونكاح العمة ، والخالة؛ وذلك لأنهما في درجة الأصول، ولا يجوز للمتبني أن يتزوج ابنه المتبنّي ؛ لأنه اتخذه ابنا له ، ويحرم على الرجل أن يتزوج

إبنة الأخ أوإبنة الأخت، ومن القبيح عندهم الجمع بين الأختين، وأن يخلف الرجل على إمرأة أبيه، ويسمون هذا الفعل الضيزن، فحكى عنه القرآن الكريم وحرمه فقال تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء)[*][41].

وكان سائداً بينهم نكاح البدل؛ وهو أن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن إمراتك وأنزل لك عن إمراتي فهو زواج بطريقة المبادلة بغير مهر.[42]

من أنواع النكاح في الجاهلية نكاح الشغار وليس فيه مهر؛ لأنه زواج مقايضة وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الأخر إبنته ليس بينهما صداق.[43]

(*1) فالتاط به : اي الزق به ، وهي من قولهم لطا يلطا اي لزق بالارض .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب (دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر،ج1)، ص491 .
(38)البخارى,محمد بن إسماعيل أبوعبد الله : صحيح البخارى (دارابن كثير,اليمامة_بيروت, 1987م) الطبعةالثالثة تحقيق د.مصطفى ديب البغا،ج5، ص1970.
(39) جواد علي: مرجع سبق ذكره،ج8، ص 199- 200
(*2)سورة التكوير الايتات (8-9)
(*3) سورة الانعام الاية 151
(40) جواد علي: المرجع السابق ، ص 243
[*] سورة النساء الاية22
[41] الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل (دار المعرفة, بيروت,1404ه)ج2، ص 244.
[42] جواد علي : مرجع سبق ذكره ، ج8 ، ص 208- 209
[43] البخاري : صحيح البخارى, مصدر سبق ذكره، ج5 ،ص 1966

و من أنواع النكاح في الجاهلية نكاح المتعة وهو يعني تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة.(44)

ج /الحالة الدينيَّة :-

كان معظم العرب على ملة إبراهيم(*1) وإسماعيل(*2) عليهما السلام ، وهي الحنيفية فاتخذ إبراهيم وإسماعيل البيت المحرم بمكة مكاناً للعبادة ، وجعلا البيت محجاً للناس قال تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (*3) وقال تعالى:(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)(*4) وتزوج إسماعيل فتاة من قبيلة جرهم(*5)واستمرّ أمر البيت لجرهم وأبناء إسماعيل، ولكن قبيلة جرهم استخفت بأمر البيت الحرام ، وارتكبوا إمور عظيمة ، وسرقوا ما في البيت من حلي، و لما طغت قبيلة جرهم في الحرم, دخل رجل منهم وإمرأة يقال لهما : اساف ونائلة(*) البيت ففجرا فيه ، وقيل: لم يفجر بها في البيت ولكن قبلّها، فمسخهما الله حجرين فاخرجا من الكعبة(*1)،ونصبا ليعتبر بهما من رأهما، وليزدجر الناس عن مثل ما ارتكبا ، فلم يزل أمرهما يدرس ويتقادم، حتى صارا صنمين يعبدان وعند ما كان يوم الفتح كسراً .(45)

إن أبناء إسماعيل عليه السلام لما ضاقت عليهم مكة ووقعت الحروب وأخرج بعضهم بعضا تفسحوا في البلاد لإلتماس المعاش، وكان الذي أغرقهم في عبادة الأوثان والحجارة، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم، تعظيماً للحرم وشوقاً بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه ، وطافوا به

---

(44) العسقلاني,احمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري(دارالمعرفة, بيروت,1379هـ)،ج9، ص167.

(*1) إبراهيم عليه السلام : هو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، اختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذى ولد فيه فقيل : ولد بالسوس من أرض الأهواز وقيل ولد ببابل ، وقيل بكوثي ، وقيل بحران ولكن اباه نقله, ولد في عهد النمرود بن كوش.

- ابن الاثير :الكامل فى التاريخ, مصدرسبق ذكره, ج1ص30

(*2) اسماعيل عليه السلام : هو اسماعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، امه هاجر نشأ هو امه بمكة بموضع زمزم ، وتزوج إسماعيل إمرأة من جرهم .

- نفس المصدر، ص 34

(*3) سورة البقرة الاية 127

(*4) سورة الحج الاية 27

(*5)جرهم : هم بنو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم من العرب العاربة ملك جرهم الحجاز وتداول ملكه بنوه من بعده إلى أن نزل بهم إبراهيم وإسماعيل, وتزوج منهم إسماعيل واستولت جرهم على أمر البيت .

- القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان , مصدر سبق ذكره : ص 10

(*) إساف ونائله: إساف رجل من جرهم يقال له إساف بن يعلى ونائله بنت زيد من جرهم, وكان يتعشقها في أرض اليمن فاقبلوا حجاجاً فدخلا الكعبة ففجر بها في البيت فمسخا.

- ابن الكلبي ,هشام بن محمد ابى النضربن السائب :الأصنام (المكتبة الذكية,القاهرة, 1914 م) , ص 1

(*1)الكعبة: هي بيت الله الحرام ، وأول ما خلق الله تعالى على الأرض مكان الكعبة , ثم دحا الأرض من تحتها فهادت فأوتدها بالجبال, فهي سرة الأرض ووسط الدنيا, وأم القرى, طول الكعبة أربعة وعشرون ذراع وشبر وعرضها ثلاثة وعشرون ذراع وشبر ، سمكها في السماء سبعة وعشرون ذراعاً والحجر من قبل الشام، قد ألبست حيطانه بالرخام،والحجر الأسود على الركن الشرقي عند الباب على لسان الزاوية في مقدار رأس الإنسان.

- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ج4، ص 464.

(45) أبوالبقاء, محمد بن احمد بن محمد : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبرالشريف (دارالكتب العلمية ,بيروت ، 2004م) ،الجزء الاول ،ص53.

كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم به وشوقاً للحرم وحباً له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون ، على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم قادهم ذلك إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم , وكان فيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من حج البيت مع إدخالهم فيه ما ليس منه.[46]

واستمرّ الأمر هكذا لجرهم فهي تولت أمر البيت فترة من الزمن , إلى أن جاءت قبيلة خزاعة[*2] فقاتلت جرهم وانتصرت عليها ، ووليت أمر البيت فأخرجت جرهم وأبناء إسماعيل حيث تفرقوا حول مكة وفي غيرها، فعمل زعيم خزاعة عمرو بن لحي[*3] على تنشيط الحج إلى الكعبة بعد أن قل الحج إليها بسبب بغي جرهم، واعتدائها على القوافل والتجار والحجاج واهمال بئر زمزم ، فأخذ عمرو بن لحي يقيم موائد الطعام في موسم الحج، و جلب الماء من الآبار حول مكة ، فنال بذلك منزلة كبيرة بين قومه وبين القبائل الضاربة حول مكة ، ولماكانت قبائل العرب لا تعرف شيئا عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، فقد عمل عمرو بن لحي على جلب الأصنام من الجهات الأخرى وإقامتها حول الكعبة.[47] فخرج إلى أرض الشام ، وكان بها قوم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : أصنام نعبدها نستنصرها فننصر ، ونستسقي بها فنسقى فقال: ألا تعطونني منها صنماً، فأسير به إلى العرب عند بيت الله الذي تفد إليه العرب ، فأعطوه صنما يقال له هبل[*] ، فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان أول صنم وضع بمكة ، ثم وضعوا به اساف ونائلة كل واحد منها على ركن من أركان البيت، فكان الطائف إذا طاف بدأ بإساف فقبله ، وختم به ونصبوا صنما يقال له مجاور الريح ، وأخر يقال له مطعم الطير ، فكانت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريش وخزاعة، فيقولون: نعبدها لتقربنا إلى الله زلفي،كما قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[*1][48]

---

[46] ابن الكلبي: , المصدر السابق ذكره ج1 ،ص1

(*2) خزاعة : هم بطن من الازد وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء بن مازن بن الأزد ، وعمرو أبو خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونها , فولد له كعب بطن وملج بطن وعدي بطن وعوف وسعد ، ويسمى لحي بن عامر بن قمعة, سموا خزاعة لانهم انخزعوا عن قومهم فنزلوا مكة, وكانوا من حلفاء قريش .

- القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان , مصدر سبق ذكره , ص 8

[*3]عمرو بن لحي: هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء بن مازن بن الأزد, وعمرو أبو خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونها فولد له كعب بطن ومليح بطن وعدى بطن وعوف وسعد وغيرهم.

- نفس المصدر , ص85

[47] الشريف, : مرجع سبق ذكره ص 92

[*] هُبل: بضم الهاء وفتح الباء, هو صنم على بئر في جوف الكعبة وهذه البئر كان بودع فيها ما كان للكعبة من أموال وليست بئر ماء, وكان هبل من عقيق أحمر على صورة إنسان وكانت يده مكسورة فجعلت له قريش بداً من ذهب.

- البلادى, : مرجع سبق ذكره : ص 442

(*1) سورة الزمر الاية 3

(48) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره،ج1، ص 99-100

ويقال إن عمرو بن لحي سيد خزاعة كان كاهنا وله رئي من الجن(*2) فأخبره بأن أصنام قوم نوح مدفونة بجده(*3) فقال له :(عجل السير والظعن من تهامة(*4) بالسعد والسلامة، ائت جدة تجد أصنام معده ، فأوردها تهامة، ولا تهب وأدع العرب إلى عبادتها تجب)، فأتي جدة فاستثارها، ثم حملها حتى أوردها تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها، فدفعها إلى القبائل، فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم فكسرها.[49]

قال النبي صلى الله عليه وسلم": (رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب(*)) [50] فصار لكل قبيلة صنم، وفي عهد خزاعة وعمرو ابن لحي عبدت الأوثان بالحجاز لأول مرة، فكان عمرو بن لحي قد أفسد العرب، ونشر بينهم أضاليل عبادة الأصنام ، بما تعلمه من وثني بلاد الشام حين زارهم وحل بينهم، فكان داعية الوثنية عند العرب والمبشر بها ومضلهم الأول وهو على رأيهم موزع الأصنام بين القبائل.[51]

من أقدم أصنام العرب كلها صنم مناة , وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله وكانت الأوس والخزرج(*1) ومن ينزل المدينة ومكة يعظمونه ويذبحون له ويهدون له.[52] واتخذوا اللات(*2) وهي أحدث من مناه(*3) ،

(*2) الجن: خلقهم الله من نار وهم أول من سكن الأرض فاقتتلوا بها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة ،فقاتلهم إبليس حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال .وإبليس عندما عصى الله طرده من رحمته تعالى.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ , مصدر سبق ذكره ، ص 7.
(*3) جدة : بلد على ساحل مكة , بينهما اربعون ميلاً ، اهلها ذو أموال وهي من بنيان الفرس بنو سورها اتقن بناء.
_الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار , مصدر سبق ذكره : ص 157
(*4) تهامة : سميت تهامة لشده حرها وركود ريحها, ويقال سميت بذلك لتغير هوائها, وهي تساير البحر , منها مكة ، واول تهامة من قبل نجد ذات عرق المدارج الثنايا الفلاظ ، وتهامة من اليمن هو ما اصحر منها إلى حد في باديتها ، واذا خرجت من مكة فلا تزال في تهامة حتى تبلغ عسقات بين مكة والمدينة.
- الحموى : مصدر سبق ذكره , ج2 , ص63
(49) عبد الوهاب, محمد : مختصر السيرة (مطابع الرياض , الرياض , بدون تاريخ نشر) ، ص 69-70
(*) السوائب : اصلها من تسييب الدواب وهو ارسالها تذهب وتجئ حيث شاءت.
- ابن منظور : مصدر سبق ذكره ، ص477 .
(50) البخاري: صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ج3، ص 1297.
(51) جواد علي: مرجع سبق ذكره ، ج12 ص 26
(*1) الأوس والخزرج : هم بنو الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبه بن عمرو مزيقياء بن مازن بن الأزد ، كان للأوس من الولد مالك ومنه جميع أولاده وكان للخزرج من الولد , عمرو وعوف وجشم وكعب والحارث ويقال لكلتا القبيلتين بنو قيله , لهم ملك يثرب قبل الاسلام نزلوها حين خرج الأزد من اليمن .
- القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان , مصدر سبق ذكره , ص 27
(52) البخاري ، المصدر السابق,ج3 , ص1297
(*2)اللات: كانت بالطائف وهي أحدث من مناة،وكانت صخرة مربعة،وكان يهودي يلت عندها السويق ،كان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى.
- ابن الكلبي: ،مصدر سبق ذكره, ص 4.
(*3) مناه: كانت صنم منصوب على ساحل البحر الأحمر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة،وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح له ،وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له .
- نفس المصدر ، ص 2.

وكانت قريش وجميع العرب تعظمه واللات ومناة ، كانت أعظم الأصنام عند قريش وكانوا يزورنها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح وهى أكبر أوثانهم , ثم كثر الشرك, وكثرت الأوثان في كل الحجاز.[53]

بجانب هذه الأصنام الرئيسة يوجد عدد لا يحصى من الأصنام الصغيرة التي يسهل نقلها في أسفارهم ووضعها في بيوتهم ، فاتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك أخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الرسول محمد ﷺ بالتوحيد قالت قريش: (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (*4) (54).

كان أهل الجاهلية يعبدون الحجر فإذا وجدوا حجراً خير منه تركوه وأخذوا الأخر فإذا لم يجدوا حجراً جمعوا جثوة من تراب ثم جاءوا بالشاه فحلبوها عليه ثم طافوا به.[55]

كثرت الأصنام في مكة حتى ملأت المسجد الحرام, ولما فتح رسول الله عليه وسلم مكة كان بها ثلاثمائة وستة صنما قد شدها أبليس بالرصاص, وكان بيد الرسول صلى الله عليه وسلم قضيب فكان يقوم عليها ويقول:(جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)[*] ثم يشير إليها بالقضيب فتتساقط على ظهورها[56] .

هكذا كان الشرك وعبادة الأصنام أكبر مظهر فى دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم ، وكانت لهم تقاليد ومراسم في عبادة الأصنام ابتدعوها، وكانت العرب تعتقد أن الأصنام تقربهم إلى الله وتوصلهم إليه وتشفع لديه, كما ذكر القرآن الكريم قال تعالى :(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [*1]وقال تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ)[*2] وكانوا يذبحون للأصنام كما قال تعالى :(وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)[*3] والنصب هي حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فنهي الله تعالى عن ذلك [40] وكان العرب في الجاهلية يخصون الأصنام بنصيب من حرثهم وأنعامهم كما قال تعالى :(وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)[*4]

---

(53)ابن الكلبى: المصدر السابق, ص 2- 3

(*4) سورة ص الاية5

(54) ابن هشام ,ابومحمد عبد الملك :السيرةالنبوية (دارالجيل, بيروت,1411ه) تحقيق طه عبدالرءوف سعد، ج 1، ص83

(55) البخاري :مصدر سبق ذكره ، ج 4 , ص 1591

(*) سورة الاسراء الاية 81

(56) الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبد الله : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار (مكتبةالثقافةالدينية, القاهرة ، 1424هـ) ، ج 1، ص 91 .

(*1)سورة الزمر الاية 3

(*2) سورة يونس الاية 18

(*3) سورة المائدة الاية 3

(40) الطبري : محمد بن جرير بن يزيد: تفسير الطبري (مؤسسة الرسالة، القاهرة ،1374هـ) ج9، ص509.

(*4) سورة الانعام : الاية 136

وكانوا يجزئون من أموالهم شيئا، فيقولون هذا لله وهذا للأصنام التي يعبدون، فإذا ذهب بعير مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردّوه ، وإن ذهب مما جعلوه لله فخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه ، وإن أصابتهم سنة أكلوا مما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم. (41)

ومن أنواع التقرب إلى الأصنام البحيرة(*)، والسائبة(*1)، والوصيلة(*2)، والحامي(*3)، وفي ذلك أنزل الله تعالى : (ا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)(*4) قال تعالى:(وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ)(*5) (42)

كانت العرب تستقسم بالأزلام(*6) (43) وكانت هذه القداح عند صنم هبل في الكعبة، وكل قدح منها فيه كتاب, قدح فيه العقل إذا إختلفوا في العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة عليهم ، فعلى من خرج حمله، وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يضرب به في القداح ، فإن خرج قدح فيه نعم عملوا به ، وقدح فيه لا فاذا أرادوا الأمر ضربوا به في القداح فإذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدح فيه منكم، وقدح فيه ملصق، وقدح فيه من غيركم، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً ، أو شكوا في نسب أحد ذهبوا به إلى

---

(41) الطبري : المصدر السابق ، ج12 ، ص133 ..

(*) البحيرة : هي الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهم ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها الا ضيف كما نتجت بعد ذلك من انثى شقت اذنها ثم خلى سبيلها .

- المباركفوري : الرحيق المختوم ، مصدر سبق ذكره ، ص33.

(*1) السائبة: هي الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر او نحوه وهي ام البحيرة واذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او ضيف حتى تموت .

- الرازي ، محمد بن ابي بكر ، مختار الصحاح (لبنان بيروت ،1415 هـ)،ص326 .

(*2) الوصيلة : هي الشاة اذا اتأمت عشر اناث متتابعات في خمسة ابطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة ، قالوا قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم الا ان يموت فيشترك في اكله ذكورهم واناث .

- المباركفوري : المصدر السابق ، ص33.

(*3) الحامي : هو الفحل اذا نتج له عشرة اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلي في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك.

- نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(*4) سورة المائدة الاية 103

(*5)سورة الانعام الاية 139

(42)ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ج1 ، ص215

(*6) الأزلام : هي جمع لزم وهو القدح وكانت سبعة فواحد عليه الله عز وجل والاخر لكم واخر عليكم واخر نعم واخر منكم واخر من غيركم وكان العرب اذا اردوا امرا رجعوا الى القداح فضربوا بها ثم عملوا بما يخرج من القداح لا يجاوزونه وكان لهم امناء على القداح لا يثقون بغيرهم .

- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، دار الفكر، بيروت ، 1956 م ، ص101 .

(43)المحلي ، جلال الدين محمد بن احمد وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي:تفسير الجلالين(دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر)ج1 ، ص134.

هبل وبمائه درهم وجذور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا ، هذا فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ، ثم يقولون لصاحب القداح: أضرب فإن خرج عليه منكم كان فيهم وسطا، وإن خرج عليه من غيركم كان حليفاً، وإن خرج عليه ملصق كان ملصقاً على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف، وقدح فيه المياه فاذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح فما خرج منهاعملوا به(44).

كان للطيرة(*) في حياة الجاهليين شأن كبير ، وكانوا إذا عاينوا الأعور من الناس ,أو البهائم، أو الأبتر زجروا عن ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال, ومن الطير التي تشاءم بها العرب في الجاهلية الغراب، وطيور الليل: كالبومة، والصدى، والهامة، والوطواط ، والخفاش وغراب الليل. (45)

من العرب من أنكر الخالق، والبعث ، والإعادة، وقالوا: بالطبع المحمي، والدهر المفني، فأخبرعنهم الله تعالى بقوله : (قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)(*1).ومن العرب من أقروا بالخالق، وإبتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث، والإعادة فأخبر عنهم الله تعالى بقوله : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)(*2) ومن العرب من أقروا بالخالق ، وإبتداء الخلق، ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل (46) ومن العرب الجاهليين من عبد القمر، واتخذوا له صنماً على شكل عجل، وبيد الصنم جوهرة، يعبدونه ، ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر، ثم يأتون بالطعام والشراب ، فاذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء، و المعازف بين يديه وعبد بعض العرب الشمس،وكانت عبادتها في مواضع مختلفة من جزيرة العرب، ويشير القرآن الكريم إلى عبادة الجاهليين للأجرام السماوية كالشمس والقمركما قال تعالى: ﴿ومِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (*3) ومن العرب من كان يميل إلى إليهودية(*4)ومنهم من كان مائل إلى النصرانية(*5)ومنهم من يميل إلى الصابئة(*6) ويعتقد

---

(44)الأزرقي : مصدر سبق ذكره ، ج1 ، ص 88.

(*) الطيرة : هي التشاؤم بالشي ، واصله انه كانوا ياتون الطير او الظبي فينفرونه ، فان اخذ اليمين مضوا الى ما قصدوا ،وعدوه حسناً وان اخذ ذات الشمال انتهوا عن ذلك وتشاءموا .

- المباركفوري: الرحيق المختوم ، مصدر سبق ذكره ، ص34.

(45)جواد علي: مرجع سبق ذكره : ح12 ، ص 362- 375

(*1)سورة الجاثية الاية 24

(*2) سورة يس الاية 78

(46)الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل (دار المعرفة ، بيروت ،1404هـ) ،ج2 ،ص234-235.

(*3) سورة فصلت الاية 37

(*4)اليهودية : هي ديانة سيدنا موسى عليه السلام ، مأخوذه من هاد بمعنى تاب ورجع وكتاب سيدنا موسى هوالتوراة

- الشهر ستاني : المصدر السابق, ص 4

فـي الأنـواء إعتقـاد المنجمـين فـي السـيارات حتـى لا يتحـرك، ولا يسـكن, ولا يسـافر، ولا يقـيم إلاّ بنـوء مـن الأنـواء، ومـن العـرب الجـاهليين المقـر بخالقـه المصـدق بالبعـث والنشـور مؤقنـا بـأن الله يثيـب المطيـع ، ويعاقب العاصي[47].

وهكذا كانت الحالة الدينيَّة، وهكذا كان الضلال والشرك والانحراف والفساد سائد بين العرب.

ح/سجايا العرب وصفاتهم : -

كانت للعرب سجايا وصفات جعلتهم أهلاً ؛ لِيتحملوا رسالة إنقاذ البشرية منها ، فكانت لهم صفات جمة منها ، إستقلال الفكر، وسعة الحرية الشخصية ، إستقلال الإرادة في جميع الأعمال، وعزة النفس، وشدة البأس ، وقوة الأبدان، وجرأة الجنان، والذكاء، وكثيرمن الفضائل الموروثة والكسبية كقرى الضيوف، وإغاثة الملهوف ، والنجدة والإباء وعلو الهمة والسخاء ، والرحمة ، والإيثار ، وحماية اللاجئ ، وحرمة الجار ، وكانت العرب قد بلغت أوج الكمال في فصاحة اللسان ، وبلاغة المقال ، وأنهم كانوا أسلم فطرة من غيرهم، فتلك كبريات مزايا الأمة العربية التي أعدها الله تعالى بها للبعثة المحمدية والسيادة الدينيَّة والمدنية [48].

وهكذا كانت تلك الفترة التي بعث فيها النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفي هذا الجو المظلم، والمجتمع الفاسد ظهرت دعوته(صلى الله عليه وسلم)كالفجر الساطع يبدد الظلام المتلبد وينشر النور، ويهدي إلى الطريق المستقيم، ويفرق بفرقان القرآن بين الحق والباطل، وصدق الله العظيم حيث قال: (الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ).[*]

(*5) النصرانية : هي ديانة عيسى عليه السلام والنصارى هم أمتة, وهو الذي بعث بعد موسى عليه السلام
- نفس المصدر , نفس الصفحة
(*6) الصابئة : مأخوذه من كلمة صبأ التي تعني في اللغة الميل والذيغ فيقال صبأ الرجل اذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم صابئة.
- الشهر ستاني : المصدر السابق ذكره , ص 4
(47)المسعودي ، أبو الحسن علي بن المحسين بن علي : مروج الذهب، بيروت، دار الفكر ،2000م,ج1 ص219.
(48)أبوزيد, بكر بن عبد الله : مرجع سبق ذكره , ج1 , ص 39 – 40.
(*)سورة ابراهيم الاية 1.

الفصل الأول

مولد الرسول صلى الله عليه وسلم القائد ونسبه ونشأته

أ / أصل الرسول(محمد صلَّى الله عليه وسلم) ونسبه:-

1/ اسمه :-

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وهذا النسب باتفاق العلماء ، والذي صح عن النَّبيّ(صلَّى الله عليه وسلم) إنه انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه[49] .

والدة الرسول(صلَّى الله عليه وسلم) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة ، وكلاب هو الجد الخامس للنبي(صلَّى الله عليه وسلم) من جهة أبيه ، فأبوه وأمه من أصل واحد يجتمعان في كلاب [*] ، وكل اجتماع بين أبائه وزوجاتهم كان شرعياً بحسب الأصول العربية ، فلم يكن في نسبه الشريف شئ من سفاح الجاهلية ، فهو نسب طاهر من آباء طاهرين وأمهات طاهرات [50].

2/ قبيلة القائد محمد(صلى الله عليه وسلم) :-

ينتمي محمد(صلَّى الله عليه وسلم) إلى قبيلة قريش المشهود لها بالشرف ورفعة الشأن، وكرم الخصال ، وهي صفوة كنانة[*1] ، التي تنتمي إلى عدنان[*2] ، قال ﷺ :(إن الله اصطفَى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفَى قريشاً من كنانة ، واصطفَى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم) [*3]

وهذا يدل على أن القرشين هم الذين ينتسبون إلى النضر[*4] وقريش كل رجالها كانوا سادات وأشراف في زمانهم ، وكانت العرب تحترم قريش ورجالها ، وذلك بفضل مكانة البيت الحرام فى نفوس العرب قاطبة، وللدورالذى تقوم به قريش من إطعام وسقاية للحجاج.

---

(49)ابن هشام : مصدرسبق ذكره ج1، ص 89 – 103 .

(*) كلاب : اسمه حكيم وقيل عروة ، ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده بالكلاب .

- نفس المصدر , ص 98 .

(50)هارون , محمد : ملخص السيرة النبوية (الدارالسودانية للكتب, الخرطوم ، 2007 م) الطبعة الثانية ، ص 4 .

- السباعي , مصطفي : السيرة النبوية دروس وعبر (المكتب الاسلامى, دمشق ، 1980م) الطبعة الخامسة ، ص 36

(*1) كنانه : هو كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن معد بن نزار بن معد بن عد نان, ولد كنانه النضر ، وملك وملكان و عبد مناه ولم يعقب لكنانه ولد غير هؤلاء العرب.

- إبن حزم: ابو محمد على بن أحمد بن سعد : جمهرة أنساب العرب (دارالكتب العلمية ,بيروت ، 2003م) ج1 , ص11

(*2) عدنان : من ولد إسماعيل بن ابراهيم ويقال إن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة رجال هم عد نان،و قحطان وقضاعة.

- نفس المصدر , ص7

(*3)مسلم،ابوالحسين مسلم الحجاج مسلم : صحيح مسلم (دارالافاق الجديدة , بيروت ,بدون تاريخ نشر)ج 7، ص 53

(*4) النضر: اسمه قيس سمي بالنضر لنضارته وحسنه وجماله, وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لأحد من أولاده من فوقه قرشي ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك وأولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم (من قريش ؟ فقال النضرولد النضر.

- ابن هشام : المصدر السابق ، ص 101 .

وقد امتاز منهم قصي [*] فهو أول من تولي شئون البيت الحرام من قريش ، فكانت إليه حجابتها وسدانتها [*1] وهو الذي أنشأ السقاية[*2] والرفادة[*3] ، وكان بيده اللواء[*4] ولعل أهم ما فعله قصي بعد ذلك إنه جمع قومه قريشاً من منازلهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة ، فقسم مكة بينهم وأنزلهم منها منازلهم التي أصبحوا عليها[51] وقام قصي من أجل جمع كلمة قريش ورعايتها بإنشاء دارالندوة [*5] وكان قصي كريم وافر العقل ، صاحب كلمة نافذة في قومه , وكانت قريش في حياته وبعد وفاته يرون أمره كالدين المتبع[52].

وجود هذه الوظائف الجليلة في قريش- منذ أن اضطلع بها قصي بن كلاب- أكسب هذه القبيلة منزلة فريدة ومتميزة ، لا في مكة وحدها بل في شبه الجزيرة العربية جمعاء ، ذلك لأن مكة المكرمة موضع إجلال العرب جميعاً ، ومن هنا فإن من يتولّى القيام على إمورها ، لابد أن يذيع صيته بين العرب وترتفع مكانته[53].

لم تنحصر مكانة قريش قبل الإسلام في ذلك الجانب الاجتماعي البارز ، بل أستمدت المزيد من التأكيد والقوة ، بما عرف عن هذه القبيلة من نشاط اقتصادي متميز , والأمر الذي ساعد قريش على أن تمارس دورها الاقتصادي هذا هو ذلك الموقع التجاري الفريد الذي تمتعت به مكة كملتقي للقوافل التجارية بين الشمال والجنوب ؛ باسم رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، وقد كانت الأولى إلى بلاد اليمن والثانية إلى بلاد الشام[54].

وفي هذه القبيلة التي كانت على تلك الذروة الاجتماعيَّة والاقتصادية ، وفي ذلك الحرم الآمن ولد القائد محمد(صلّى الله عليه وسلم) ، واختيار الرسول(صلّى الله عليه وسلم) القائد من أشرف قبيلة من العرب ، هذا

---

[*] قصى :اسمه زيد ويدعي مجمعاً أيضاً ، وهو تصغير قصي أي بعيد ، لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة وذلك لأن أمه تزوجت بعد وفاة والده وهو فطيم ورحلت مع زوجها إلي الشام ، ولما كبر وقع بينه وبين آل زوج أمه شر ، فغضب ذلك الرجل وعيّر قصي بالغربة ، فشكا إلي أمه فأخبرته انه من مكة فسافر إلي قبيلته وأصبح رئيساً لقريش .
-ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 94 .
[*1] الحجابة والسدانة : هي حجابة الكعبة لا يفتح بابها إلا قصى وهو الذي يلي أمر خدمتها وسدانتها.
- المباكفوري: الرحيق المختوم، مصدر سبق ذكره ، ص 17.
[*2] السقاية :هي سقاية الحجاج حيث كانوا يملأون للحجاج حياضاً من الماء يحلونها بالتمر والزبيب فيشرب الناس منها.إذا وردوا مكة.
– نفس المصدر، نفس الصفحة
[*3] الرفادة: هي طعام كان يصنع للحاج ,على طريقة الضيافة وكان قصي قد فرض على قريش خرجاً تخرجه في الموسم من أموالها إلى قصى,فيصنع به طعاماً للحاج, يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.
- المباركفوري : المصدر السابق ، ص 17
[*4] اللواء: كانت لا تعقد راية ولا لواء لحرب قوم من غيرهم إلا بيد قصى أو بيد أحد أولاده وفي دار الندوة.
- نفس المصدر ، نفس الصفحة
[51] الطبري،أبي جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك(مؤسسسةالاعلمى للمطبوعات, بيروت, 1879م)،ص 508
[*5] دار الندوة :هي دار بناها قصي بن كلاب وكانت تعرف أحياناً باسم (دار قصي) بابها إلي الكعبة و تقضي فيها أمور قريش.
- البلادي : مرجع سبق ذكره ص 203
[52] الطبرى: المصدر السابق , ص,508

(53)سالم,عبدالرحمن أحمد: الرسول صلى الله عليه وسلم حياته وتطورالدعوة الإسلامية عصره، (دارالفكر,القاهرة، 2006م،) ص 28 - 30
(54)نفس المرجع , ص 31 .

يجعل القوم أكثر تقبلاً لما يأتي به ، وطواعية لما يصدر عنه من أمر ، فعظم مقومات هذه القبيلة أدي إلى عظم مقومات أفرادها وصيانتهم وحفظهم من أي اعتداء, كما صور ذلك القران الكريم في قوله تعالى :(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)[*]فمن أجل ذلك وجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم إستجابة من بعض الناس بل من معظم الناس في نهاية الأمر,لأن الناس عادة يزدرون بالقائد والمصلح إذا كان نسبه مغموراً أو وضيعاً[55].

3/أسرة القائد محمد (صلى الله عليه وسلم) :-

من الضروري أن نتعرف على تلك الشجرة التي أنبتت ذلك الفرع الذكي، لأن التعرف على الفروع لايمكن أن يتم بصورة صحيحة دون أن يسبقه التعرف على الأصول، فتعرف الأسرة الأصل التي ينتمي إليها الرسول(صلّى الله عليه وسلم) بالأسرة الهاشمية [*1] فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم هذا هو أول من سن لقريش رحلتي الشتاء والصيف ، وكان أكبر أولاد عبد مناف, وتولى بعد أبيه منصب السقاية والرفادة ، ويقال له سيد البطحاء, وكان أعظم أهل زمانه[56].

تزوج هاشم بن عبد مناف بسلمى(*2) بنت عمرو من بنى النجار وهو في طريق تجارته إلى الشام ، وأقام عندها فترة من الزمان، ثم غادر و مضي إلى الشام بتجارته .وترك سلمى وهي حامل, فمات بمدينة غزة(*3)وولدت سلمَى ابناً بيثرب(*4) سمته شيبه ، لشيب في رأسه ، ونشأ هذا الطفل بين أخواله في يثرب، ولم يعلم به أعمامه بمكة حتى بلغ نحو سبع سنين ثم علم به عمه المطلب، فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس ظنوه عبده فقالوا:عبد المطلب، فاشتهر بذلك [57].

(*)سورة هود الآية (91) .

(55)غنيمي , مصطفي عبد العاطى : السيرة النبوية (مكتبة مدبولى, القاهرة ، 2005م) الطبعة الأولي ص 38, 39.

(*1) الأسرة الهاشمية : نسبة لجد الرسول صلي الله عليه وسلم الثاني هاشم بن عبد مناف – و هاشم لقبه الذي غلب على اسمه الأصلي وهو عمرو ، ولقب هاشماً لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة أو أطعمه .

- البلاذرى، أبو الحسن احمد بن يحي: انساب الأشراف (دار المعارف ، مصر, بدون تاريخ نشر) ، ص 25

(56) نفس المصدر، ،ص 26 .

(*2) سلمى: هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من الأنصار.

- نفس المصدر، ص 28.

(*3)غزة : مدينة في أقصي الشام من ناحية مصر وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان ، فيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلي الله عليه وسلم وبها قبره ولذلك يقال لها غزة هاشم .

- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ص 202 .

(*4) يثرب : بفتح أوله وسكون ثانية وكسر الراء وباء موحده قيل يثرب مدينة رسول الله ﷺسميت بذلك لان أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابه كراهية للتثريب وسميت مدينة الرسول ﷺلنزوله بها .

- نفس المصدر , ص430

(57)) ابن سعد :محمد بن سعد بن منيع ,الطبقات الكبرى (دارصار, بيروت, بدون تاريخ نشر)الجزء الاول ص 79 ص,82,ص83

توفي المطلب باليمن في أثناء تجارة له، فتولي عبد المطلب رئاسة بني هاشم وآل إليه ما كان لأبيه وعمه من بعده من أمر السقاية والرفادة وأهم وظائف حكومة مكة[58].

فقد كان عبد المطلب أبرز أولاد هاشم ، وإليه صار شرف قريش وكان سيد قومه بلا منازع ، وقد ارتبطتْ به أحداث أعطت لإسمه ذيوعاً ومكاناً في التاريخ, فقد جدد حفر بئر زمزم[*] ، وأقام سقايتها للحجاج ، فكانت له فخراً وعزاً على قريش وعلى سائر العرب , كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، وهذا إحساس ورفق بالحيوان الأعجم ولذا يقال له :(مطعم الطير) ويقال له :(الفياض) لسخائه ، وكان مفزع قريش في النوائب، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق[59].

ولعل أبرز ما إرتبط به اسم عبد المطلب من أحداث كان محاولة أبرهه(*1) الحبشي غزو الكعبة، وهي تلك المحاولة التي باءت بالفشل، وقد أعلن أبرهه أنه لم يأتى لقتال أهل مكة، وإنما أتي لهدم البيت الحرام، وكان أبرهه قد استخدمَ الفيلة في حملته تلك ، ولهذا عرف العام الذي حدثت فيه بعام الفيل (570 م ، 571م) وهو العام الذي ولد فيه الرسول(صلَّى الله عليه وسلم) ، وكان أبرهه قد إتصل بعبد المطلب سيد مكة وهو في طريقه لغزو الكعبة ، وأبلغه رسالة مفادها أن أهل مكة في أمان إن خلوا بينه وبين غايته الأساسية، وهي هدم البيت الحرام، فكان رد عبد المطلب أنه يريد إبله التي استولى عليها جنده وعددها مائتا بعير، فتعجب أبرهه! وقال لعبد المطلب : (أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك

جئت لهدمه لاتكلمني فيه ؟) فقال عبد المطلب:(إني أنا ربّ الإبل وأن للبيت رباً سيمنعه!) وقد مضي أبرهه لغايته التي أعلنها وهي هدم الكعبة ,ولكن الله صان بيته الحرام، وسحق جيش أبرهه:(فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)[*] (60).

---

(58)نفس المصد ر, ص 83.

(*)بئر زمزم: هي تلك البئر التي نبعت منها الماء عندما ظمئ سيدنا إسماعيل عليه السلام يقال أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل بمكة بموضع زمزم فلما ظمئ إسماعيل جعل يركض الأرض برجله فنبعت العين وهي زمزم ، فكبر إسماعيل وتزوج من قبيلة جرهم العربية التي سكنت معه بجوار الماء، يقال أنه عندما تدهور أمر البيت قام عمرو بن الحارث الجرهمي بدفن بئر زمزم ثم جاءت خزاعة واستولت على البيت، فأمر عبد الملطب بحفرها في المنام.

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ, مصدر سبق ذكره، ص 34

(59)رضا, محمد : محمد (صلي الله عليه وسلم) (المكتبة المصرية, بيروت ، 2005 م) ص 22- 23 .

(*1) ابرهه: هو ابرهه الاشرم الحبشي هو الذي حكم اليمن بعد ارياط الحبشي , وهوصاحب الفيل الذي قصد مكة.

ابن كثير : المختصر في اخبار البشر(المطبعةالحسينية,1325) ص 43

(*) سورة الفيل الآية (5) .

(60)ابن كثير , الحافظ عماد الدين ابوالفداء :البداية والنهاية(دارالكتب العلمية, بيروت 1989ه)2ج ص213 ,ص214,ص215, ص 216

كان عبد المطلب بمثابة زعيم مكة أو أميرها بدليل تلك المفاوضات التي دارت بينه وبين أبرهه ، فهذه هي صفات ومكانة جد محمد (صلَّى الله عليه وسلم) في قومه فقد نهل منها وتشرّب بها القائد العظيم صلَّى الله عليه وسلم [61]

عبد الله بن عبد المطلب – والد الرسول (صلَّى الله عليه وسلم) – فقد كان أحب أبناء عبد المطلب إليه ، وهو الملقب بالذبيح الثاني [62]، ويروَى أن عبد المطلب نذر على نفسه إن رزق عشرة من الولد ، واستطاعوا نصرته ومنعه أن يذبح أحدهم لله عند الكعبة , وسبب هذا النذر هو أن عبد المطلب كان قد لقي من قريش عناءً كبيراً وهو يعيد حفر بئر زمزم ، ولم يكن له ولد غير الحارث ، ولما انبثق الماء من زمزم قامت تنازعه قريش حقه فيها ، ولم تخلِ بينه وبين زمزم إلا بعد مكابدة, ومن هنا أحس عبد المطلب بقيمة الذرية التي تمنع جانبه وتشد أزره ، فأخذ على نفسه النذر السابق فلما تكامل أولاده عشرة [*1] وعرف إنهم سيمنعونه جمعهم وأخبرهم بنذره ذلك,ودعاهم إلى الوفاء به ، فأجابوه ثم اتَّفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم قدحاً ، ويكتب عليه اسمه ودخلوا على هبل بهذه القداح - وكان ذلك شأن العرب كلما حلّ بهم أمر لم يكن وجه الرأي فيه واضحاً - ذهبوا إلى هبل في جوف الكعبة يسألوه أن يخرج لهم الحق في هذا الأمر ، وكان هناك في الكعبة من يسمي عندهم صاحب القداح ، وهو الذي يتولَّى مسئولية ضربها ، فلما ضرب صاحب القداح على أولاد عبد المطلب بقداحهم التي في أيديهم خرج القدح على عبد الله ، وكان أحب أبنائه إليه فأخذ عبد المطلب شفرته وهمّ بذبحه, فوقفت قريش فى وجهه قائلين: (لئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا؟!)[63].

قال له المغيرة بن عبد الله [*2]:(والله لا تذبحه أبداً ، حتى نعذرفيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه)

وقالت له قريش وبنوه : (لا تفعل ، وانطلق به إلى الحجاز فإن به عرافه[*3] لها تابع فسلها) فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، ولم تكن حينذاك بالمدينة بل كانت بخيبر[*] فتوجهوا إليها وعرضوا عليها الأمر ، فطلبت منهم لقاءها في اليوم التالي ، وعندئذ سألتهم : (كم الدية فيكم ؟) فقالوا : (عشرة من الإبل ،) فطلبت منهم أن يضربوا بالقداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل أمام صنم هبل ، فإن خرج القدح على عبدالله فعليهم أن يزيدوا فى الإبل عشراً حتى يرضي ربهم ، وإن خرج القدح على الإبل فيجب أن ينحروها عنه, فقد رضي ربهم ، ونجا صاحبهم ، ففعلوا ذلك , فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً ثم لم يزالوا يضربون بالقداح ويخرج القدح

---

(61)سالم : مرجع سبق ذكره، ص 36.
(62)ابن كثير : المصدرالسابق, ص 310 .
(*1) أولاده عبد المطلب العشرة : وهم الحارث ، الزبير ، أحجل , ضرار, المقوم , ابولهب , العباس , حمزة , ابو طالب ، عبد الله .
_ابن اسحاق , محمد بن إسحاق بن يسار، السيرة النبوية ، خزائن القرويين,فأس,506 هجرية ص4
(63)السهيلى, أبو القاسم عبد الرحمن : الروض الانف, المطبعة الجمالية, مصر ، 1914م,ج1, ص 270 .
(*2) المغيرة عبدالله: بن عمرو بن مخزوم بن يقظة.
- ابن هشام: مصدر سبق ذكره ، ص 289 .
(*3) عرافه : هي كاهنة لها تابع من الجن يخبرها ببعض الأمور الغيبات في المستقبل ، وذكر ابن هشام أن اسمها سجاح .
- نفس المصدر، ص 289 .
[*] خيبر : أرض خيبرهى على ناحية المدينة شمالا لمن يريد الشام, يطلق هذا الاسم على الولاية, وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ناعم .
- الحموى : مصدر سبق ذكره : ج2 : ص 409

على عبد الله ، فكلما خرج عليه زادوا من الإبل عشراً ، حتى ضربوا عشر مرات وبلغت الإبل مائة , وكان عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر: (لقد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب) فقال عبد المطلب : (لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات) ، فخرج القدح على الإبل في الثلاثة مرات، فنحرت الإبل ، ثم تركت لا يُصد عنها إنسان ولا يمنع فداء لابنه عبد الله ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدية (*1) مائة من الإبل ,أول من ودِّي بالمائة هو عبدالله بن عبد المطلب(64).

ثم سعي عبد المطلب بنفسه لتزويج ابنه عبد الله ، فاختار له آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهي يومئذ أفضل إمرأة في قريش نسباً وموضعاً، وإختيار عبد المطلب لها دون سواها زوجة لابنه عبد الله يدل على تفوقها على نساء عصرها ، فهي تتناسب مع شخصية عبد الله والد الرسول (صلّى الله عليه وسلم) ، فهو من قوم ينشدون الشرف،ولعل نزاهة هذا الشرف وعلوه فيها كان السبب الرئيس في بقاء النّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) مع أهله وبقائها معهم دون زواج بعد وفاة زوجها بسبع سنين(65).

تزوجها عبد الله فحملت منه بمحمد(صلّى الله عليه وسلم)، ثم سافر إلى الشام في تجارة لقريش؛ فلما فرغ من تجارته وانصرف راجعاً أحس بالمرض قبل وصوله إلى مكة فنزل بالمدينة عند أخوال أبيه، ولبث هناك شهراً وهو مريض، ثم توفي ودفن بالمدينة وسنه حينذاك خمس وعشرون سنة, وكان(صلّى الله عليه وسلم) حين توفي والده جنيناً في بطن أمه(66).

في هذه الأسرة الذكية المعدن ,النبيلة النسب التي جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل وأخلاق وصفات ولد محمد(صلّى الله عليه وسلم) , وفي محضن هذه الأسرة نشأ محمد (صلّى الله عليه وسلم) القائد ، وتربي ، وتشرّب بهذه الخصال الجامعة لكل جوانب الخير، فصارت له خير معين, وخير زاد , وخير مؤهل ساعده على القيام بدوره كاملاً في قيادة وتربية البشرية جمعاء, فقاد الناس وأخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم إلى خيري الدنيا و الأخرة .

ب– ميلاد الرسول القائد (صلّى الله عليه وسلم):-

(*1) الدية : كانت الدية عشراً من الإبل قبل هذه القصة .
- السهيلي : مصدر سبق ذكره، ص270 .
(64)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك , مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 367 .
(65)نفس المصدر، ص243 .
- غنيمي : مرجع سبق ذكره ، ص48 .
(66)ابن كثير : البداية والنهاية , مصدر سبق ذكره ، ص 245 .

ولد محمد(صلى الله عليه وسلم) بمكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول،عام الفيل يوافق سنة 570م أو 571م (*) (67),الموافق سنة53 قبل الهجرة، في دار أبي طالب ولد محمد(صلى الله عليه وسلم)، وكانت قابلته هي الشفاء(*1)أم عبد الرحمن بن عوف ، وأول من أرضعته (صلّى الله عليه وسلم) بعد أمه هي ثويبه(*2)مولاة عمه أبي لهب(*3) بلبن ابن لها يسمى مسروح(*4). (68). ولما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب وأخبرته بميلاده وطلبت منه أن يأتى وينظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه، وأمرت أن تسميه محمداً فحمله مستبشراً, ودخل به الكعبة ودعا الله وشكره، وأسماه محمداً وختنه يوم سابعه كما كان العرب يصنعون(69).

خرج محمد (صلّى الله عليه وسلم) إلى الدنيا يتيماً بعد أن توفي أبوه, فاستقبله جده عبد المطلب بكل فرح وسرور, وقام مقام والده فأحاطه بكفالته ورعايته(70).

فكان خير كافل ,وخير راعياً وجد الرسول(صلى الله عليه وسلم) منه كل عطف واهتمام, وأحبه حبا زائدا لعله يجد فيه عوضا عن ابنه عبد الله .

ت/ نشأة القائد محمد(صلّى الله عليه وسلم):-

1. في بادية بني سعد :-

حظيت السيدة حليمة(*) بنت أبي ذؤيب التي تنتمي إلى بني سعد بن بكر بن هوازن بشرف إرضاع الرسول(صلّى الله عليه وسلم) ، بعد ثويبة ، وكان ذلك من عادة قريش وغيرهم من أشراف العرب أن يرسلوا

(*) يختار محمود باشا الفلكي سنة 571م تاريخاً لمولده صلي الله عليه وسلم الموا فق لليوم العشرين من ابريل صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول ، وهو يوافق السنة الأولي من حادثة الفيل .

- بك ، محمد الخضري : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (دارالمنار, القاهرة ,2003م) الطبعة الأولي ، ص 9 .

(67) الزغبى ، محمد عفيف : مختصر السيرة النبوية لابن هشام (دارالمطبوعات الحديثة, جدة ، 1989م) الطبعة الثالثة ، ص 24

- الغزالي: مرجع سبق ذكره، ص 51

(*1) الشفاء : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة أسلمت و هاجرت .

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره : ج1 : ص 373 1.

(*2)ثويبة :مولاه ابي لهب قد أرضعت الرسول (صلى الله عليه وسلم) اياماً قبل ان تقدم حليمه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها وهو بمكه وكانت خديجة تكرمها وهى يومئذ مملوكه وطلبت من ابي لهب ان تبتاعها منه لتعتقها فأبى أبولهب, فلماهاجررسول الله(صلى الله عليه وسلم)إلى المدينة أعتقها ابو لهب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليها بصلة وكسوه إلى أن توفيت سنة7 هجرية الموافق سنة 628.م.

ابن سعد : مصدر سبق ذكره : ص 108

(*3) ابو لهب بن عبدالمطلب هو عم النبي ﷺ وكان يؤذي النبي ﷺ واسمه عبدالعزى وكان يطرح القذر على باب النبي ﷺ ومات بداء العدسة بمكة بعد واقعة بدر بسبعة أيام وبلغه خبرها ولم يشهدها.

- البلاذري: مصدر سبق ذكره، ص 59.

(*4) مسروح: مسروح بن ثويبة, مات قبل أمه, ولم يعثر على ما يدل على إسلامه وهو محتمل.

- العسقلاني: سير اعلام النبلاء ، مصدر سبق ذكره،ج7، ص 548.

(68) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ص 9 . 548.

(69) أبو طالب ، حسين علي :دراسات في السيرة والادارة النبوية (مكتبة الشرق الاسلامي، جدة ، 2005م) ،ص19.

(70). الغزالي : مرجع سبق ذكره، ص 52.

أولادهم في مرحلة مبكرة جداً من حياتهم إلى البادية، ليستمدوا من طبيعة الحياة هناك صلابة وعزماً ، وصحة بدن ، وليكون ذلك أفصح لألسنتهم، وأيضاً ليمرح الأطفال في الصحراء في كنف الطبيعة ويستمتعوا بجوها الطلق وأشعة شمسها المرسلة ويستشفوا هواءها العليل، وهناك حيث طلاقة المدى في الصحراء تصح الأسماع وتقوي ، كما تصح الأبصار وتقوي، ويتأتي الإعتماد على النفس في حياة الإخشوشان المحبب لدي العرب ، الذين يأنفون عن الليونة والميوعة ،ولكى تتفرغ النساء إلى أزواجهم إضافة إلى تشرُّب اللغة العربية السليمة القويمة من منابعها، وتزكية الفطرة، وإذكاء المشاعر والعواطف(71) .

كثير من علماء التربية يود لو تكون الطبيعة هي المكان الأول للطفل حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه(72).

ومن ناحية أخري كانت المراضع من نساء البادية يأتين إلى الحضر بحثاً عن الرضعاء إلتماساً للرزق من وراء حضانتهم وإرضاعهم في البادية ، وقد ترددت حليمه في البداية أن تأخذ محمد(صلَّى الله عليه وسلم) لإرضاعه، لما عرفت من يتمه، ولما قد يترتب على ذلك من ضآلة الأجر الذي ستتقاضاه مقابل

إرضاعه وحضانته ، ولما لم يتح لها سواه أخذته حتى لا تعود بغير رضيع وذلك بعد أن استشارت زوجها الحارث (*) في أخذه فقال لها : (لاعليك أن تفعلي فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة) (73)وهذا ما كانت تقوله حليمة : (لم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فو الله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً (*1) وكانت حليمة قد أسبغت على سيدنا محمد(صلَّى الله عليه وسلم) كل إهتمام ورعاية ، وقد شاركها هذا الإهتمام كل أفراد أسرتها ، وكان لحليمة وزوجها الحارث من الولد عبد الله وأنيسه و الشيماء(*2)، فهؤلاء هم إخوة الرسول(صلَّى الله عليه وسلم) من الرضاعة ، ولما أكمل الرسول

(*) حليمة السعدية : هي حليمة بنت أبي ذويب وابو ذؤيب هو عبد الله بن الحارث بن شجنه بن جابر أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة هي التي أ رضعته حتى اكملت رضاعته.

- ابن عبد البر ، يوسف عبد الله بن محمد :الاستيعاب فى معرفةالاصحاب(دارالجيل, بيروت,1412 ه)ه الطبعةالثانية, تحقيق على بجاوى ج2 : ص 85

(71). الأسمر : مرجع سبق ذكره ، ص 67 .

- السهيلى ، : مصدر سبق ذكره ، ص 287 .

(72) الغزالي : المرجع السابق ، ص 53.

(*) الحارث : هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان, ينتمي كزوج حليمة إلي بني سعد بن بكر بن هوازن .

- ابن حزم : مصدرسبق ذكره, ص 256 .

(73) سالم : مرجع سبق ذكره ، ص 39 .

(*1) الجفر : هو الصبي اذا انتفخ لحمه واكل ، واصل كلمة جفر الجمل الصغير والجدي بعد ما يفطم ابن ستة اشهر ويشبع من الشجر ويستغنى عن امه .

- ابن منظور: مصدر سبق ذكره ، ص142 .

(*2) الشيماء : الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملآن بن ناصر بن بكر وهي كانت تحضن النبي صلى الله عليه وسلم مع أمها ,اسمها حذافة .

- ابن الاثير : اسد الغابة ، مصدر سبق ذكره ، ج3 ، ص 330 – 374

(صلَّى الله عليه وسلم) السنتين فصلته حليمة ، وقامت بإرجاعه إلى أمه , وكانت أحرص على مكثه معها ، وذلك لما رأت من بركته عليهم ، فكلمت أمه وطلبت منها أن تركت الرسول(صلى الله عليه وسلم) عندها حتى يغلظ ، لانها تخشى عليه وباء مكة ، فردته معها [74].

كان لفترة حياة محمد(صلَّى الله عليه وسلم) في الصحراء في مضارب بادية بني سعد أثر كبير في نفسه ، فقد كان ينهل من أجواء الصحراء الطبيعية ويعيش فيها حياة الفطرة، يفترش أرضها ويستظل بسمائها ، وينهل من مائها ، وينعم بهوائها, ويستشعر السكينة في نفسه، والهدوء والراحة والطمأنينة في قلبه ، ويتعود الإخشوشان ، ويرتوي من معين لغة العرب الصافية ، فكانت مرحلة ديار بني سعد مهمة ، وأساسية لتربية الرسول صلَّى الله عليه وسلم عقلياً ووجدانياً ، وتربية العقل والوجدان للطفل لا تتأتَّى إلا بالمحافظة على سلامة اللغة والفكر، وقد فطن العرب القدامى إلى أهمية اللغة للطفل ، فكانوا يحرصون على نشأة أولادهم في البوادي حيث سلامة اللغة ونقائها[75].

كذلك شهد أبو بكر الصديق [*] بفصاحة القائد محمد(صلَّى الله عليه وسلم) حيث قال له:(ما رأيت أفصح منك يا رسول الله) فقال له: (ما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد).

ثم نقل عن عبد الملك بن مروان [*1] أنه كان يقول : أضر بناحُبّ الوليد[*2]، يعني ولده، لأنه ولمحبته له أبقاه مع أمه في المصر ولم يسترضعه في البادية مع الأعراب ، فصار لحاناً لا عربية له ، وأخوه سليمان[*3]استرضع في البادية مع الأعراب فصار عربياً غير لحاناً[76].

---

(74) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 301 .

(75) الأسمر: مرجع سبق ذكره ، ص 68 ..

(*) أبو بكرالصديق:هوعبدالله بن ابى قحافة واسم ابوقحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ن سعد بن تيم بن مرة بن كعب يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى مره بن كعب، أول من أمن من الرجال و أول من صلي معه كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة سماه النبي صلي الله عليه وسلم عبد الله .

- البرى, محمد بن ابى بكر بن عبد :الجوهره فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه العشرة(دار الكتب,القاهرة,645ه) ص235.

(*1)عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي نشا في المدينة فقيهاً واسع العلم ، استعمله معاوية على المدينة انتقلت إليه الخلافة الاموية بموت أبيه سنة 65 ه| 686.م.

- الذهبى: ,سيرأعلام النبلاء , مصدرسبق ذكره,ج4.ص246,ص247

[*]2) الوليد بن عبد الملك : الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي ، كان مترفاً ، دميماً ، سائل الانف طويل أسمر ، بوجهه اثر جدري في عنقته شيب ، يتبختر في مشيه كان قليل العلم نهمته في البناء ، حرص على النحو أشهر فما نفع توفى سنة 86ه|707م

- نفس المصدر , ص 347

[*]3) سليمان بن عبد الملك : سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة أبو ايوب القرشي الاموي بويع بالخلافة الاموية, بعد اخيه الوليد سنة 96ه, كان فصيحا,مفوهاً ,عادل محب للغزو, توفى سنة 99 ه|720م

- الذهبي : المصدر السابق, ص 111- 113

(76) الحلبي ، علي بن برهان الدين : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون(دارالمعرفة,القاهرة1044م) , ص 146.

وفي خلال حياته (صلَّى الله عليه وسلم) مع السيدة حليمة حلت البركة بالسيدة حليمة وأسرتها فدر ثديها باللبن ، فارتوى منه محمد(صلَّى الله عليه وسلم) وابنها الذي كانت تحمله, بعد أن كان يبكي من الجوع لجفاف ثديي أمه ، ولا ينام هو وأهله ، وإمتلأ ضرع شارف[*4] حليمة باللبن بعد أن كان يابساً ، فشبعت منها مع زوجها ، وأضحت أتانها نشطة قوية ، تسير في مقدمة الركب بعد أن كانت عاجزة تسير في مؤخرة الركبان ، وحيثما حلت أغنام حليمة تجد مرعى خصب، فتشبع ولا تجد أغنام غيرها شيئاً ، وكل ذلك من باب الجزاء من جنس العمل ، فالسيدة حليمة لما سقت محمد(صلَّى الله عليه وسلم) لبنها ، سقاها الله تعالى وجميع أفراد أسرتها لبناً من عنده فصارت الشياه والشارف ذات لبن وسمن, بعد الضعف والجوع ، وكذلك كثُر العيش عندها وحدها بعد شده المحل لأجل حصول غذاء النَّبيّ(صلَّى الله عليه وسلم)[77].

وهكذا عاش الرسول القائد(صلَّى الله عليه وسلم) سنواته الأوائل في هذه البيئة النقية الصافية ، وفي محضن هذه الأسرة العربية الفصيحة الأمينة الصادقة الحريصة المخلصة ، فنهل من معينها الذي إزداد بركة بمقدمه ، فكان لهذه الفترة الأثر الكبير في فصاحته وبلاغته وفي سلامة عقله ووجدانه .

2/ حادثة شق الصدر :-

قال تعالى :(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [*] وعن أنس بن مالك[*1](رضي الله عنه) قال :(أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه وصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فأخرج منه علقه ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لامه – أي ضمه وجمعه – ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره(وهي المرضعة) - فقالوا : أن محمداً قد قُتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون - أي متغير اللون- قال أنس : وقد كنت أري أثر ذلك المخيط في صدره.[*2]

قالت حليمة وهى تروى القصة :(رجعنا فوالله إنه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا وهو في بادية بني سعد) وقال (صلَّى الله عليه وسلم)أيضا: (كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وإبن لها في بهم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخي إذهب فأتنا بزاد من عند أمنا, فانطلق أخي ومكثت

(*4) الشارف : هي الناقة المسنة الهرمة .
- الحسيني ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق : تاج العروس من جواهر القاموس ،(دار الهداية ، بدون تاريخ نشر) ،ص5937
(77) مهدي رزق الله احمد : مرجع سبق ذكره ، ص 60 .
(*) سورة الشرح ، الآية (1) .
(*1) أنس بن مالك : انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرم بن جند ب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار بن ثعلبه الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا حمزة توفى سنة 91ه| 712م.
- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره : ص 35
(*2) مسلم: مصدرسبق ذكره ,الجزء الأول ، ص 101 – 102 .

عند البهم ، فاقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال:نعم ! فاقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا[78]، فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال : ائتني بالسكينة فذرها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه فخاطه وختم على قلبي بخاتم النبوة فقال أحدهما لصاحبه: إجعله في كفه وأجعل ألفا من أمته في كفه ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر عليَّ بعضُهم ، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا فتركاني ، وفرقت فرقاً شديداً , ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذي لقيت ، فأشفقت أن يكون قد لبس بي [79] فقالت: أعيذك بالله ، فرحلت ببعيرٍ لها، وحملته على الرحل، وركبت خلفه حتى بلغت إلى أمه فقالت : أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها وقالت لها آمنه : إني رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام وطمأنتها بأن لاتخاف عليه, فهذه الحادثة كانت إعلاناً لأمر الرسول (صلّى الله عليه وسلم)، والتهيئة للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ، وهي تشير إلى تعهد الله سبحانه وتعالى لنبيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان حتى يكون نموذج في الكمال الإنساني[80] .

كانت هذه الحادثة فرصة ليحظ محمد(صلّى الله عليه وسلم) بتربية أمه آمنة بنت وهب، وتربية جده عبد المطلب ، وهي كانت مرحلة مهمة في حياته صلّى الله عليه وسلم ، ومرور أكثر من إمرأة في تربيته (صلّى الله عليه وسلم)كان من الأهمية بمكان إذ أنه يجدد المشاعر والأحاسيس ، ويعمل على ترقيتها ، ترقية سليمة خالية من الأمراض النفسية التي تجعل بعض الأبناء يتعلقون بأمهاتهم فقط في مثل هذه السن تعلقاً فطرياً، يستحوذ على كل شعورهم وفكرهم, كذلك كان للتناسق بين المرأة والرجل في حياة النَّبيّ (صلّى الله عليه وسلم) أثر كبير في طباع شخصيته, فلم يكن خشن الطبع ولا مدللاً ، كما كان يفهم مشاعر المرأة كان أيضاً يفهم مشاعر الرجل [81] .

تركت حليمة محمد(صلّى الله عليه وسلم) مع أمه وجده عبد المطلب بعد هذه الحادثة ومن الأسباب أيضاً التي دعت السيدة حليمة لإرجاع النَّبيّ (صلّى الله عليه وسلم) إلى أمه خوفها عليه من نصارى الحبشة

---

(78) السهيلي : مصدر سبق ذكره، ص 288
(79) نفس المصدر ، نفس الصفحة.
(80) مهدي, رزق الله احمد : مرجع سبق ذكره ، ص 61 .
(81) غنيمي: مرجع سبق ذكره، ص 90

عندما رأوه معها ونظروا إليه سألوها عنه وقالوا لها : (لنأخذنّ هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا ، فإن هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره) ولم تكد حليمة تنفلت به منهم إلا بعد عناء [82].

3/محمد (صلى الله عليه وسلم) القائد فى كفالة جده عبد المطلب:-

عاد الرسول (صلّى الله عليه وسلم) إلى مكة بعد حادثة شق الصدر، وكان قد أكمل في بادية بني سعد السنوات الخمس من عمره، فاستقبلته أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب، وكان شيخ مكة كلها لعله يجد فيه عزاء عن فقد أحبّ أبنائه إليه عبد الله ، فكفل محمد(صلّى الله عليه وسلم) وأضفى عليه من عطفه وعنايته الكثير [83].

بعد أن بلغ محمد (صلّى الله عليه وسلم) السادسة من العمر رأت أمه أن تزور قبر زوجها عبد الله في يثرب ، ورأت أن تصحب ابنها معها لتريه المكان الذي توفي فيه أبوه ، الذي طالما حدثته عنه ، وتزور أخوال جده من بني عدى بن النجار مصطحبة معها خادمتها أم أيمن[*] ، و عبد المطلب ، في رحلة شاقة مضنية يقطعون فيها خمسمائة كيلومتر ذهاباً ومثلها إياباً، في صحراء قاحلة على بعيرين ، وعندما وصلت آمنة المكان الذي مات فيه عبدالله بقيت فترة طويلة تحدث محمد (صلّى الله عليه وسلم) عن أبيه المدفون في تلك البقعة، فكان أول مفهوم عن اليتم ينطبع في نفسه ويتغلغل في قلبه ، ومن ذلك الموقف أصبح له (صلّى الله عليه وسلم) عناية فائقة بالأيتام فيما بعد ، وبقيت آمنة وابنها وخادمتها وعبد المطلب لدى بني النجار قرابة الشهر ، فأخذ المرض يلاحقها فرأت أن تعود إلى مكة بابنها ، وفي الطريق أشتد بها المرض فتوفيت بالأبواء [*1] لتترك محمد(صلّى الله عليه وسلم) يتيماً, وقد تضاعف عليه الألم والحزن ، وعاد به عبد المطلب إلى مكة ، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تدنو نحو حفيده اليتيم ، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده ، فكان لايدعه وحيداً بل كان يؤثره على أولاده [84].

كان يفرش لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، فكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يأتي وهو غلام جفراً حتى يجلس

---

(82) السهيلى : مصدر سبق ذكره ، ص 294 .

(83) الأسمر : مرجع سبق ذكره ، ص 69 .

(*) أم ايمن : هي بركة بنت ثعلبه بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمه ، تزوجها زيد بن حارثه وولد ت له اسامة بن زيد ,وهي مولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمته هاجرت الهجرتين , كانت لعبد الله أ بيه.

- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره , ج2 : ص 78 – 79

(*1) الابواء : هي الموضع الذي توفيت فيه أمنة بنت وهب والدة الرسول صلي الله عليه وسلم ودفنت به وهي بين مكة والمدينة، سميت بالابواء لما فيها من الوباء وقيل سميت بالابواء لتبوًّء السيل بها.

_الحموى: مصدر سبق ذكره,ص79

(84) المباركفوري : الرحيق المختوم , مصدر سبق ذكره , ص 52 .

عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأي منهم ذلك : دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً , ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع[85].

قدّر الله أن يكون البيت الحرام هو المكان الذي يجلس فيه عبد المطلب حتى يكون خروج النَّبيّ(صلَّى الله عليه وسلم) من بين جدران الكعبة وأنوارها أمراً مألوفاً ومقبولاً من الجميع [86].إن في جلوس الرسول(صلَّى الله عليه وسلم) مع جده عبد المطلب وهو غلام إعداد له وتدريب له على القيادة والريادة والسيادة وتبؤ المناصب منذ الصغر ، وكان عبد المطلب رجلاً ذكياً ، فطناً أدرك ملامح السيادة في ولده فعمل على تهذيبها وتقويمها ، فقد كان يصر على بقائه في طعامه وشرابه ومتابعة أحواله مع حاضنته أم أيمن ، بقي محمد(صلَّى الله عليه وسلم) في كفالة جده عامين كاملين بعد وفاة أمه آمنة نهل فيهما أقصى ما يستطيع إنسان بذله من الحب والعطف والرحمة والحنان والتربية ولقي من جده كل عناية ورعاية[87].

توفي عبد المطلب سنة 578 م بمكة ودفن بالحجون [*] ، وحزن عليه محمد (صلى الله عليه وسلم) كثيراً,وكان عمره (صلى الله عليه وسلم) ثماني سنوات، فتعلم من جده كل صفات الرجولة والقيادة التي ساعدته في مستقبل حياته القيادية [88].

4 - محمد صلَّى الله عليه وسلم القائد في كفالة عمه أبى طالب[*]:-

لما حضرت المنية عبد المطلب أوصي أبا طالب بحفظ رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) وإحاطته والقيام عليه، وأوصي به إلى أبي طالب لأن عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة[*1]، فلما مات عبد المطلب كان أبوطالب هو الذي يلي أمر رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم)بعد جده[89].

كان النَّبيّ(صلَّى الله عليه وسلم) يحبه ولا ينام إلا بجواره، وإذا خرج يخرج معه وكان يخصه بالطعام، فشب(صلَّى الله عليه وسلم) في رعاية عمه أبي طالب،وكان أبو طالب يتصف بدماثة الخلق،وسماحة

---

(85) الصالحى, محمد بن يوسف: سبل الهدى والرشاد فى سيرة خيرالعباد(دارالكتب العلمية, بيروت,1993م) ه,ص129
(86) غنيمى : مرجع سبق ذكره ، ص 23 .
(87) الأسمر: مرجع سبق ذكره ، ص 70 .
(*) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها وقيل مكان من البيت على ميل ونصف .
- الحموي: مصدر سبق ذكره ج2، ص 225 .
(88) الصالحى : مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 235
(*) ابو طالب : اسمه عبد مناف بن عبد المطلب امه فاطمة ام عبد الله بن عبد المطلب، كان منيعاً عزيزاً في قريش ، كان شاعراً كانت قريش تطعم فاذا اطعم لم يطعم يومئذ احد غيره ، مات في السنة 10 من المبعث وهو ابن بضع وثمانين سنة دفن بمكة في الحجون .
- البلاذري : مصدر سبق ذكره ، ص259.
(*1) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة .
- ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد : جمهرة انساب العرب (دار الكتب العلمية ، بيروت ،2003)، ص15.
(89) الصالحى : المصدر السابق، ص 135 .

النفس ويعرف في الوقت ذاته بصلابته ومهابته بين قريش،ولهذا كان خليقاً بأن يمنح محمد(صلّى الله عليه وسلم) عطفه وحمايته معا، فكفل أبو طالب محمد(صلّى الله عليه وسلم)بعد عبد المطلب، وكان وكان سيداً شريفاً مطاعاً مع إنه فقير وكثير العيال [90].

أحب أبو طالب ابن أخيه كثيراً, حتى كان يقدمه على أبنائه وكان يجد فيه من النجابة والذكاء، والبر وطيب النفس ما يزيده به تعلقاً، يذكر أن أبا طالب تهيأ يوماً للسفر في تجارة إلى الشام فلما أجمع السير تعلق به رسول الله(صلّى عليه وسلم)، فرق له أبو طالب فقال:والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني أبداً، وقد نزل الركب خلال تلك الرحلة ببصري[*]من أرض الشام كان عمره (صلّى الله عليه وسلم) تسع سنين،والتقي خلالها براهب في صومعته يقال له بحيرا[1*]،وهو الراهب الذي استطاع في هذا اللقاء أن يتنبأ بنبوته (صلّى الله عليه وسلم)، وأمر أبو طالب أن يسرع به إلى بلاده خوفاً عليه من اليهود فخرج به أبو طالب سريعاً إلى مكة بعد أن فرغ من تجارته بالشام، ولم يسافر بعد ذلك خوفاً عليه[91]. لقد جعل حادث بحيرا للنبي (صلّى الله عليه وسلم) مكانة بين العرب وجعله شخصية متميزة بينهم، فالناس دائماً لا تعرف مقدار ما عندهم من شخصيات إلا إذا أشاد بها الغرباء، كذلك أفادت هذه الرحلة في المحافظة على شخصية النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) في هذه السن حتى يكبر ويشتد عوده، ويستطيع الدفاع عن نفسه ، وكان هذا الحفظ صقلاً للنبوة ذاتها لأن النَّبيّ (صلّى الله عليه وسلم) لو تدرج عند أهل الفرس والروم[*2] لقالوا إنما تأثر بهم، ولكن الله سبحانه وتعالي قطع هذا الطريق بنصيحة بحيرا؛ ليتحقق القول الفصل في نزول القرآن الكريم من عند الله وحده[92] .

وجد محمد(صلّى الله عليه وسلم) في جانب أبى طالب ألفة ومودة وعلاقة نادرة كانت تقوم على مصاحبة الأبناء إذا كبروا، فكان يصاحب عمه في كل أمر سواء في أسفاره أو جلساته الخاصة بين القوم، فتعلم الجلوس مع الكبار من خلال عمه في سن متقدمة , فأتقن فن الكلام، وفن الحوار، وفن الإقناع ، وعمل أبو

---

(90) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ص 14 .

(*)بصري: كانت في منتصف المسافة بين عمان ودمشق وهي اليوم آثار قرب مدينة درعه التي أحتلت محلها،وبصرى ودرعة داخل حدود الجمهورية السورية على مقربة من حدود الأردن الشمالية ، وبصري الآن قرب السفوح الغربية لجبل الدروز واسمه اليوم جبل العرب.

البلادى : مرجع سبق ذكره ، ص225.

(*1) بحيرا:كان مؤمناً على دين المسيح عليه السلام، واسم بحيرا في النصارى سرجس وكان من عبد قيس له صومعة يتعبد فيها امن بالنبي صلى الله عليه وسلم .

- المسعودي : مروج الذهب ، مصدر سبق ذكره ، ص 26.

(91) ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله :عيون الأثر,(مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر, بيروت,1986 م) ص 62.

(*2)الروم: قيل هم بنو كيتم بن يونان وهو يافاث بن يافت وقيل من ولد رومي بن يونان بن علجان بن يافث وقيل من ولد ، عويل بن عيصو بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

- القلقشندى: قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، مصدر سبق ذكره, ص 8.

(92) غنيمي: مرجع سبق ذكره ، ص 81 .

طالب على تأكيد شخصية الرسول(صلّى الله عليه وسلم) في بيته، فكان يمنع أولاده من الأكل إذا حضر الطعام حتى يأكل معهم الرسول (صلّى الله عليه وسلم),وهذه معالجة موضوعية لمسألة اليتم من جانب عمه ، والله سبحانه وتعالى جعل لبيت عمه أبو طالب مكانة خاصة رفعت من منزلته بينهم, وعالجت آلام اليتم معالجة جذرية فكان أولاد أبي طالب إذا أكلوا من غيره لم يشبعوا، وإذا أكل معهم(صلّى الله عليه وسلم) شبعوا وهذا له إرهاص ، فإن الله أعزه في يتمه, وهذا ما أشار إليه القران الكريم في قوله تعالى :(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى)(*)كان أبو طالب صاحب أولاد كثيرين بنين وبنات يكبرون النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) ويصغرون عنه، وهذا هيأ له أسرة وجد فيها من يلاعبه ويفكر معه، وهي تتميز بالود الخالص الحقيقى ، الذي يختلف عن ما وجده في أسرة حليمة فهو بين أهله الحقيقيين (93) .

إن رعاية أبي طالب لمحمد(صلّى الله عليه وسلم) كان لها إنعكاسها على زوجه وأم أولاده ً فاطمة بنت أسد(*1) ، وقد تقدم بفاطمة العمر حتى أدركت الإسلام ، وماتت مسلمة، ويروَى أن الرسول(صلّى الله عليه وسلم) قال يوم أن ماتت :(اليوم ماتت أمي) وكفنها بقميصه، ونزل على قبرها واضطجع في لحدها , فقيل له يا رسول الله لقد أشتد جزعك على فاطمة ! قال: (إنها كانت أمي، كانت لتجيع صبيانها وتشبعني وتشعثهم وتدهنني وكانت أمي)(94). هكذا شبّ محمد(صلّى الله عليه وسلم) القائد في رعاية هذه الأسرة الكريمة فتعلم في ظلها الكثير من المعاني والأخلاق والصفات الفاضلة .

ث/ الأعمال التي قام بها محمد صلّى الله عليه وسلم :-

هناك أعمال قام بها النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) في حياته قبل البعثة، كان لها أبلغ الأثر في رسم معالم شخصيته الفذة كقائد للبشرية جمعاء منها :-

1/ رعي الغنم :-

اشتغل(صلّى الله عليه وسلم) في صباه برعي الغنم لأهله،ورعي غنم أهل مكة, وراعي الغنم الذكي القلب يجد في فسحه الجو الطلق أثناء النهار، وفي تلألؤ النجوم إذا جنّ الليل موضعاً للتفكير ، وصفاء الروح والتأمل في مخلوقات الله ، كان نظام هذا القطيع من الغنم أمام محمد(صلّى الله عليه وسلم) يقتضي إنتباهه

(*) سورة الضحى الآية (6) .

(93) الصالحي : مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 136 .

(*1) هي فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية ام علي بن ابي طالب وام اخوته عقيل وجعفر اسلمت وهاجرت الى المدينة توفيت بالمدينة .

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ص1393 .

(94) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ص 109 .

ويقظته حتى لا يعدو ذئب على شاه منها، وحتى لا تضل أحداها في البادية ، وفي ممارسة هذه الحرفة تدريب له(صلّى الله عليه وسلم) على الحرص والحفاظ على هذه الأمانة وتدريب على تحمل المسئولية [95]روى عن رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) أنه قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعي الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال :

نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) [96]. حرفة رعي الغنم مارسها كل الأنبياء، وجعلها الله في الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ، ولتكون أممهم رعايا لهم , وفي ذلك تمرن للأنبياء برعيهم الغنم لأنهم سوف يكلفون بالقيام على أمر أممهم ، و في مخالطة الغنم ومتابعتها يحصل لهم الحلم والشفقة والرأفة والرحمة , لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعي ، ونقلها من مسرح إلى مسرح ، ودفع عدوها ,وإذا علموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها في المرعي مع ضعفها وإحتياجها إلى المعاهدة ، فيتعلمون من ذلك الصبر على الأمة [97]. فالله تعالى لا يعجزه أن يهيئ لمحمد(صلّى الله عليه وسلم) كل وسائل الرفاهية , ويغنيه عن الكدح سعياً وراء القوت ، ولكن اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون خير مال المرء ما اكتسبه بجهده ، وأن قيمة الإنسان هي فيما يقدمه لمجتمعه من خدمات قدر طاقته و جهده وحسب ما يناسب مجتمعه ، ولن تكون لأصحاب القيادة قيمة معتبرة عند الناس إذا كان كسبهم من عطايا الناس , ولذا فان القيادي ، وصاحب الدعوة أحري الناس بالإعتماد على الله ثم على نفسه, وجهده الشخصي في معيشته والإبتعاد عن الإستجداء ، حتى لا يكون لأحد عليه منّة , أو فضل في دنياه يعيبه أن يدع بكلمة الحق في وجهه[98]،ومن حكم رعي الغنم إنها من أضعف البهائم ، فإن راعيها تسكن في قلبه الرأفة والرحمة ، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق يكون قد هذب من الحدة الطبيعية، والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال [99]

فكان رعيه (صلّى الله عليه وسلم) للغنم بقراريط لأهل مكة جانب من الكسب الحلال والاعتماد على النفس، وفيها درساً سياسياً, فالسياسة رعاية ومداراة وتدبير للأمور وتوجيه، والرعى يعود الصبر على الضعفاء، وكيفية التعامل مع الأقوياء ، وإتباع سياسة اللين في غير ضعف ، والشدة من غير عنف ، فالسياسي والقيادي حريص على أن يؤلف من حوله القلوب، فهو يعززها ، ويضبطها ويرد شاردها ويؤدبها ، وفيها تعرف إلى وسط اجتماعي ضعيف وقد كان يعيش في قومه في ظل وسط إجتماعي قوي وشريف, وقد استفاد(

---

(95) هيكل, محمد حسين:حياة محمد صلى الله عليه وسلم,(دارالمعارف,القاهرة,بدون تاريخ نشر) ص109, 110.
(96) البخارى: صحيح البخارى, مصدرسبق ذكره, ج2 ، ص 789 .
(97) مهدي, رزق الله احمد : مرجع سبق ذكره ، ص 72.
(98) نفس المرجع ، ص 72.
(99) بك : مرجع سبق ذكره ، ص 17 .

صلّى الله عليه وسلم) من هذه التجربة فائدة كبيرة في قيادة وسياسة أنماط الناس المختلفة ، فكان في أتباعه الضعيف والقوي ، والسيد والعبد ، الأحمر والأسود ، والفارسي ، الحبشي والعربي ، فتعامل معهم كلهم بحكمة وذكاء وقيادة رشيدة حتى صار كل واحد منهم على كثرتهم يشعر كأنه أقرب الناس إليه(صلّى الله عليه وسلم)(100).

2/ التجارة :-

لم يرث (عليه الصلاة والسلام) من والده شيئاً، بل ولد يتيماً عائلاً وهذا حال الأنبياء يكونوا دائماً في حال تجرد من الدنيا ومشاغلها، ولذلك تري جميع الأنبياء السابقين كانوا أزهد الناس في الدنيا ؛ حتى يكونوا نموذج لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها ؛ وذلك سبب البلايا والمحن, ولما شبّ (عليه الصلاة والسلام) كان يتجر حتى يكسب من عمل يده (101).

وعرف في معاملاته بمنتهي الأمانة , والصدق, والعفاف, والثقة , وكان هذا هديه في جميع المجالات الحياتية حتى لقب بالأمين بين قومه ، عمل(صلّى الله عليه وسلم) في مهنة التجارة وهي المهنة التي وجد فيها نفسه دون غيرها ، فهي مهنة عمه أبي طالب وأبيه وجده عبد المطلب، ونبغ فيها وحقق فيها ثراء عظيم, وقد أكد ذلك القران الكريم حين قال تعالى :(وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ) (*) و مهنة التجارة تتطلب كثرة الأسفار، والمعاملات بين الناس, فأدى ذلك إلى زيادة خبرة النَّبيّ القائد(صلّى الله عليه وسلم)(102).

لما بلغ رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلاّ الأمين, و لما تكاملت فيه من خصال الخير قال له أبو طالب: (يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد أشتد الزمان علينا, وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مال ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة(*1) بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع, فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وإن كنت لأكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا نجد من ذلك بدا) كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة , وتبعث بها إلى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش, وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم المال مضاربة، وكانت قريش قوماً تجاراً, ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشيء, فقال رسول الله(صلّى الله عليه وسلم): (فلعلها ترسل إليّ في ذلك) فقال أبو طالب :(إني أخاف أن تولي غيرك فتطلب أمراً مدبراً) وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، وقبل ذلك بلغها صدق حديثه, وعظم أمانته, وكرم أخلاقه, فقالت:(ما علمت أنه

---

(100) جمال عبده أحمد نعمان، العمل السياسي في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من البعثة إلى الدولة ، رسالة ماجتسير كلية التربية ـ حنتوب ، 1999م ص12

(101) بك : مرجع سبق ذكره ، ص 16 .

(*) سورة الضحى الآية (8) .

(102) غنيمى : مرجع سبق ذكره ، ص 77 – 78 .

(*1) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية، كانت تسمى الطاهرة في الجاهلية ، امها فاطمة بن زائدة بن الاصم كانت متزوجة من ابي هالة بن زرارة ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم توفيت وعمرها 60 سنة وستة اشهر .

- ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص86.

يريد هذا) ثم أرسلت إليه فقالت له: (إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك , وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك[103] ففعل رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) ولقي آبا طالب فذكر له ذلك, فقال له: إن هذا لرزق ساقه الله إليك [104] .

خرج محمد(صلى الله عليه وسلم) مرة مع غلام خديجة ميسرة[*] حتى قدم الشام وجعل عمومته يوصون به أهل العير، فلما وصل الشام فنزل في سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشتري ، فكان بينه وبين رجل إختلاف في سلعة فقال الرجل: أحلف باللات والعزى فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) : ما حلفت بهما قط ، ثم انصرف أهل العير جميعاً وكان ميسرة يري رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) إذا كانت الهاجرة وأشتد الحر يري ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره ، وتقدم رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة , وكانت خديجة في علية لها معها نساء فرأت رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجبن لذلك, ودخل عليها رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) فخبّرها بما ربحوا فسرت بذلك, فلما دخل عليها غلامها فأخبرته بما رأت فقال لها : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام,وعندما ربحت تجارتها ضعف ما كانت تربح أضعفت له(صلى الله عليه وسلم) الأجر[105] .

استفاد الرسول(صلى الله عليه وسلم) من التجارة في معرفة البلاد, وأحوال الناس فيها وكيفية فن التعامل وحسن الأخلاق ، والصدق, والأمانة ، بجانب إكرامه عن ذل السؤال والإعتماد على الآخرين ، وكل ذلك كان صقل له كقائد وهو في هذا العمر الصغير[106].

ج-مشاركة الرسول(صلى الله عليه وسلم) القائد في الحياة السياسية والاجتماعية":-

هناك أحداث تاريخية، ومحطات مهمة عاشها وعاصرها رسولنا وقائدنا(صلّى الله عليه وسلم) قبل بعثته كان لها أبلغ الأثر في بناء شخصيته الفريدة، التي فاضت على البشرية بالخير والنور والعطاء وأهم تلك الأحداث هي : -

---

(103) ابن سيد الناس : مصدرسبق ذكره ، ص 70-69 .

(104) نفس المصدر ، ص 65 .

(*)ميسرة: غلام السيدة خديجة كان رفيق النبي ﷺ في تجارة خديجة قبل أن يتزوجها محمدﷺ وحكى بعض أدلة نبوته ولم يعثر على رواية صريحة بأنه بقى إلى البعثة.
- العسقلاني: سير اعلام النبلاء ، مصدر سبق ذكره،ج6، ص 240.

(105) ابن سيد الناس : المصدرالسابق ، ص 71 .

(106) أبن عساكر, ابو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله : تاريخ مدينة دمشق (دارالفكر, بيروت ، ، 1995م) تحقيق محب الدين أبي سعيد علي ، الجزء الثالث ، ص 14

1/ المشاركة في حرب الِفجَار

عندما بلغ عمره(صلى الله عليه وسلم) عشرين سنة،الموافق590 م كانت حرب الِفجَار بين قريش وكنانة(*) وقيس عيلان(*1) وسميت بحرب الِفجَار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها ، وقد حضر هذه الحرب الرسول(صلَّى الله عليه سلم) ، وكان ينبل على عمومته أي يجهز لهم النبل للرمي (107).

وقد كان لمعركة الِفجَار أثر واضح في نمو وتربية الرسول(صلَّى الله عليه وسلم) تربية عسكرية قادرة على أداء دورها في أية لحظة ، فقد شارك محمد(صلَّى الله عليه وسلم) أهله وعمره فى هذه السن، وهذه السن الصغيرة لم تدفعه على التخلص من الموقف ؛ وإنما كانت دافعاً لصقل عبقريته الحربية ، وتدريبها وتجويدها تجويداً يؤهلها إلى تحمل التبعات والأحداث والتدريب على القوة والبطش والشدة ؛ ذلك لأنه سوف يكون في المستقبل قائد لهذه الأمة ، وسوف يقاتل كل أعداء الدعوة والدولة والإسلام, فكانت هذه الحرب فرصة لابد من وجودها حتى يشاهد الحروب ويتدرب على أساليب القتال والدفاع فيها(108).قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم):(كنت أنبل على أعمامي أي أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها) (109).

2/ حضور حلف الفضول :-

بعد حرب الِفجَّار بأربعة أشهر شهد رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم)، حلف الفضول الذى تحالف فيه بنو هاشم (*2)، وبنو المطلب(*3) وبنو أسد (*4) وبنو زهرة(*5)

وبنو تيم(*) على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويؤدوا إليه مظلمتة من أنفسهم ومن غيرهم ، وكان فى دار عبد الله بن جدعان(*1) وكان حلف الفضول قبل

(*)كنانة : بطن من مضر القحطانية ديارهم بجهات مكة المشرفة لكنانة من الولد مالك وملكان والحارث وعمر وعامر.
- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، ص134
(*1) قيس عيلان : قبيلة من مضر العدنانية وهم بنو قيس عيلان واسمه الناس وقيل عيلان فرسه وقيل خادمه وقيل كلبه وكان له من الولد خصفة وسعد وعمرو.
- نفس المصدر ،ص 132
(107) ابن كثير ،الحافظ عمادالدين ابوالفداء:السيرةالنبوية (دارالمعرفة, بيروت 1971م)ج 1 ، ص 255 ص256.
(108) غنيمي : مرجع سبق ذكره ، ص 79 .
(109) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 326 .
(*2) بنو هاشم : بطن من قريش العدنانية ، وهم بنوهاشم بن عبد مناف كان له خمسة اولاد، اسمه عمرو وسمي هاشم لهشمه الثريد لقومه في شدة المحل وهم عبد المطلب واولاده هم عبد المطلب، حنظلة ، واسد ، صيفي
- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب، مصدر سبق ذكره ، ص 140.
(*3) بنو المطلب : هم بني المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلام ، يدعى الفيض امه عاتكة بنت مره .
- ابن كثير : السيرة النبوية ، مصدر سبق ذكره ، ص102.
(*4) بنو اسد : ينتمون الى قريش العندناية هو بنو اسد بن قصي بن كلاب منهم الزبير بن العوام وحكيم بن حزام.
- القلقشندي : المصدر السابق، ص14.
(*5)بنو زهرة ، بطن من بني مرة بن كلاب بن قريش من العدنانية وهم بنو زهرة بن كلاب بن مرة كان له من الولد عبد مناف الحارث منهم سعد بن أبي وقاص.
- نفسس المصدر، ص 94.

البعثة بعشرين سنة في شهر ذي القعدة الموافق سنة590م، وكان أكرم حلف عند العرب ، و أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب[*2] وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعته فاشتراها منه العاص بن وائل[*3] فحبس عنه حقه ، فاستعدي عليه الزبيدي الأحلاف من أهل قريش فأبوا أن يعينوه وزبروه – أي انتهروه – فنادي بأعلى صوته وقريش في أنديتهم حول الكعبة قائلاً:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ** ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقضته ** بالرجال وبين الحجرعمرتة

إن الحرام لمن ثثت كرامته * * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال :(ما لهذا مترك) فقام وقامت معه الأحلاف ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه، قال صلّى الله عليه وسلم: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت) [110].وهو من الأحلاف التي أعجب بها الرسول صلّى الله عليه وسلم لأنه فيه حماية لحقوق الإنسان ، وإنصاف المظلوم من الظالم[111]إن العمل الذي قام به الزبير في هذا الحلف دليل على مروءة رجال البيت الهاشمي، وبيان فضلهم على غيرهم في مثل هذه المواطن، والنَّبيّ القائد (صلّى الله عليه وسلم) ينتمي إلى هذا البيت ، والأصل دائماً تتبعه الفروع[112].

حضر(صلّى الله عليه وسلم) هذا الحلف ، ولم يكن من في مثل سنه ليحضره ، فقد كانت العرب تدعو إلى لقاءاتها من أنضجته السنون ، ولكن الله هيأ له حضوره لأنه كان معروف بين القوم بتمسكه بالحق والخير والعدل[113] وكان حضوره هذا الحلف في سن مبكرة مع قومه صقل لمقدرته السياسية [114].

3/ زواج الرسول(صلّى الله عليه وسلم) القائد من السيدة خديجة بنت خويلد:-

---

[*])بنو تيم ، بطن من قضاعة القحطانية وهم بنو التيم بن النمر بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران.
- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، مصدر سبق ذكره , ص 16.

[*1])عبد الله بن جدعان: بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم كان من رؤساء قريش يوم الفجار وكان من أجود العرب.
- السدوسي ، ما حذف من نسب قريش , بدون تاريخ نشر ، بدون مكان نشر ، ص 14.

(*2) الزبير بن عبدالمطلب : هو الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى,عم النبى ﷺ.
- ابن حزم : جمهرة انساب العرب , مصدرسبق ذ كره,ص16

(*3)العاص بن وائل: هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي السهمي، أمه سلمى البلوية من بلى من قضاعة كان من أشراف قريش ، مات بين مكة والمدينة بالابواء.
- الزبيري، مصعب : نسب قريش، مرجع سبق ذكره،ص 136.

(110) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى،(دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد, 1344هـ)، ج6،ص 367.

(111) ابن كثير: البداية والنهاية, مصدرسبق ذكره ، ص356

(112) مهدي , رزق الله احمد : مرجع سبق ذكره ، ص 77 .

(113) الأسمر: مرجع سبق ذكره ، ص 76 .

(114) غنيمي : مرجع سبق ذكره ، ص 79 ..

تزوج رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) خديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة الموافق سنة 595م وكان عمرها أربعين سنة وذلك أثبت عند العلماء، روي عمار بن ياسر[*] أنه قال : (أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) من خديجة بنت خويلد) فقال: (كنت صديقا له، فإنا لنمشى يوم بين الصفاوالمروة، فإذا خديجة بنت خويلد وأختها هالة[*1] ، فلما رأت رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) جاءتني هاله أختها فقالت : يا عمار ! ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت: والله ما أدري، فرجعت فذكرت ذلك له ، فقال أرجع فواضعها وعدها يوماً فأتيها فيه ففعلت)، فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمها وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته بدهن أصفر، وطرحت عليه حبراً, ثم جاء رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) في نفر من أعمامه تقدمهم أبو طالب فخطب أبو طالب فقال: (الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل, وجعل لنا بيتاً محجوجاً, حرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به ، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح, ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قلّ, فان المال رزق حائل وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة , وصداق ما سألتموه عاجله من مالي ، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع) فتزوجها وانصرف ، فلما أصبح عمها أنكر ما رأي فقيل له: (هذا ختنك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أهدي لك هذا) . قال :(ومتى زوجته ؟) قيل له بالأمس ، قال :(ما فعلت) ، قيل له: بلي ، تشهد أنك قد فعلت فلما رأي عمر بن أسد -عم خديجة - رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) قال: (أشهدوا إني و أن لم أكن زوجته بالأمس فقد زوجته اليوم) [(115)].

فانتقل محمد(صلّى الله عليه وسلم)إلى حياة جديدة في كل جوانبها ، وكان أول زواج له (صلّى الله عليه وسلم)، ولعل في طلب السيدة خديجة الزواج من النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) ، ما يبدد كثيراً مما قد يقال حول رغبته في مالها ، فهي التي رغبت وطلبت منه الزواج ، وأيضاً يرفع الحرج عن النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) إذا تاجر بمالها ، ففي طلبها الزواج منه جزء من طلبها التجارة بمالها ؛ لأنها قد اختارته بناءً على أمانته وصدقة في تجارتها, والسيدة خديجة صاحبه رأس مال وسوف يعمل لها الجميع ألف حساب إذا اختلفوا في أمر

(*)عمار بن ياسر:عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام وهوحليف بني مخزوم أمه سمية بت خياط أول من استشهد في سبيل الله عز وجل،وهو وأبوه وأمه من السابقين ،وهو ممن عذب في الله عز وجل أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم وكان إسلامه بعد بضعة وثلاثين رجل ، قتل سنة37 ه| 658م.

- ابن الأثير: أسد الغابة ، مصدر سبق ذكره، ص 808 - 811.

(*1)هالة بنت خويلد: هي هالة بنت أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية أخت خديجة بنت خويلد.

البلاذري: مصدر سبق ذكره, ص 1421.

(115) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 111 .

يمس زوجها[116] كما أنه بمالها سوف يتاجر (صلّى الله عليه وسلم) وتبدو شخصيته المستقلة المتميزة بينهم , فيعطي المحتاج, ويطعم الفقير والمسكين مما يجعل له مكانة اجتماعيَّة مرقومة, فالسيدة خديجة مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة العظيم, إن أصحاب الرسالات والقادة يحملون قلوب شديدة الحساسية ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره , ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذى يريدون فرضه ، فهم أحوج ما يكونوا إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس، وظل الزواج قائماّ حتى ماتت خديجة عن خمسة وستتين عاماً[117]. كان زواج محمد(صلّى الله عليه وسلم) من خديجة معلم بارز في مسار حياته, فقد وجد فيها معاوناً على مصاعب الحياة، وأغدقت عليه هذه الزوجة المخلصة من حبها ورعايتها ما عوضه عن مرارة اليتم الذي ذاقه صغيراً ، ومما زاد توثيق وشيجه الصلة الزوجية ، إن الله رزقه منها كل أولاده إلا إبراهيم ، وهم القاسم وعبد الله (الملقب بالطاهر والطيب) وزينب ,ورقية, وأم كلثوم وفاطمة ، أما الأبناء فقد ماتوا قبل الإسلام, وأما بناته كلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه (صلّى الله عليه وسلم) [118] .

ولقد شكل هذا الزواج منعرج مهماً في حياة رسولنا الكريم؛ فقد أمّن له مركزاً مرموقاً في المجتمع المكي,وساعدته ثروة خديجة على العيش الكريم الرغيد الذي لا يخالطه خوف من الغد ولا جهد جهيد في سبيل لقمة العيش ، وقد كانت السيدة خديجة مثالاً للمرأة العربية الفاضلة , والزوجة الأمينة التي كان لعطفها وحبها وتضحياتها أكبر الأثر في تعهد الرسول (صلّى الله عليه وسلم) ورعايته قبل البعثة وبعدها[119] .

4/ حكم محمد (صلّى الله عليه وسلم) بين المتنازعين عند بناء الكعبة:-

لما بلغ محمد(صلّى الله عليه وسلم) خمس وثلاثون سنة ،وفى سنة 605م اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وقالوا لو بنينا بيت ربنا, فأمروا بالحجارة تجمع وتنقي الضواحي منها ، فبينما محمد (صلّى الله عليه وسلم) ينقل معهم وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة ،وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) صرع وسقط على الأرض, ونودي عورتك, فكان ذلك أول ما نودي فقال له أبو طالب : يا ابن اجعل أزارك على رأسك ، فقال: ما أصابني ما أصابني إلا في تعري, فما رؤيت لرسول

(116) غنيمي : مرجع سبق ذكره ، ص 88 .
(117) الغزالي : مرجع سبق ذكره ، ص 68 – 69 .
(118)الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مصدر سبق ذكره ، ص 281
(119) الكعبى , عبد الحكيم :موسوعة التاريخ الاسلامى,(دار اسامة للنشر والتوزيع , عمان 2003م) ، ص 237 .

الله(صلّى الله عليه وسلم) عورة بعد ذلك, فلما أجمعوا على هدم الكعبة قال بعضهم لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً[120] ؛ ولم تظلموا فيه أحد, فبدأ الوليد بن المغيرة بهدمها ,وأخذ المعول ثم قام عليها بطرح الحجارة وهو يقول: (اللهم لم ترع إنما نريد الخير) فهدم ، وهدمت معه قريش ثم أخذوا في بنائها, وميزوا البيت وأقرعوا عليه، وكلفت كل قبيلة بركن من أركانه ، فبنوا فلما انتهوا إلى حيث يوضع الحجر من البيت, أراد ت كل قبيلة أن يكون لها الأحقية فى وضعه، فاختلفوا حتى خافوا القتال، ثم جعلوا بينهم أول من يدخل عليهم يكون هو الذي يضعه ،وقالوا: (رضينا وسلمنا) فكان رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) أول من دخل عليهم ، فلما راؤه قالوا هذا الأمين قد رضينا بما قضي بيننا ثم أخبروه الخبر، فوضع رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) رداءه وبسطه في الأرض ثم وضع الركن فيه ,فقال: (ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل), ثم قال رسول الله(صلّى الله عليه وسلم): (ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب) ثم رفعوه جميعاً فوضعه رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) بيده في موضعه ذلك، فذهب رجل من أهل نجد ليناول النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم) حجراً يشد به الركن، فقال العباس بن عبد المطلب :لا, ونحاه, وناول العباس رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) حجراً فشد به الركن, فغضب النجدي حيث نحى فقال النَّبيّ(صلّى الله عليه وسلم): أنه ليس يبني معنا في البيت إلاّ منا فقال : النجدي(يا عجبا لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال مدوا إلى أصغرهم سنا وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم , كأنهم خدم له, أما والله ليفوتنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظاً وجدودا) ويقال انه إبليس[121].

هكذا تجلت حكمة محمد(صلّى الله عليه وسلم) وبعد نظره ، واستطاع بهذا الحل البارع أن يجنب قريش مخاطر فتنة كادت أن تعصف بأمنها وسلامتها[122]. وهذا الحدث ترك من جانب أخر أثره في تثبيت مكانة الرسول(صلّى الله عليه وسلم) بين القبائل وتقديرهم لحكمته ورجاحة عقله , خاصة وأنه وقع قبيل البعثة النبوية الشريفة بما يقرب من خمس سنوات[123].

هذا التحكيم يدل على وصول عقل النَّبيّ (صلّى الله عليه وسلم) إلى قمة رجاحته, ووصول القبائل إلى قمة التصديق به والثقة فيه ، وهذا تطور مهم لشخصية النَّبيّ (صلّى الله عليه وسلم) ، وأنه في موضع الصدق عند الجميع على السواء ،وهذا الحل عجز عنه الجميع من قادة قريش وساداتها ، ولعل هذا الحكم يشتمل على

---

(120) ابن سعد : مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص145 .
(121) نفس المصدر، ص (145 – 146 – 147) .
(122) سالم : مرجع سبق ذكره ، ص 46 .
(123) الكعبي : مرجع سبق ذكره ، ص 238 .

رسالة إلهية مضمنة للبشرية ، في اختياره حكماً لأرفع مكان وهو الكعبة المشرفة ، وفي أشرف مكان فيها هو الحجر الأسود ، ما يدل على تقدير الله له دون سواه واجتباه عن خلقه بأشرف دعوة وهي النبوة ، وكان في إذعان الناس لحكمه في الكعبة ما يدل على أن الله تعالى يريد لخلقه أن يطيعوه في نبوته ، كما أطاعوه في حكمه بينهم ، فإن صواب الرأي في الأولي يدل على صوابه في الأخرى [124]

وفي وصف قريش لمحمد (صلّى الله عليه وسلم) بالأمين دليل على تربية الله سبحانه وتعالى لنبيه على مكارم الأخلاق التي كان من بينها الصدق والأمانة ,إن الاقتراح الذي توصل إليه النَّبيّ الكريم (صلّى الله عليه وسلم)لحل هذه المشكلة كان بتوفيق من الله تعالى ليلفت أنظار قريش إلى ما سيختاره له الله من القيام بأمر أكبر من هذا,وهو توحيد الناس وجمعهم على كلمة واحدة دون فرقة وشتات وهو الإسلام وقيادة العالم ، وجاء إسهامه (صلّى الله عليه وسلم) في القضايا الكبرى التي ظهرت في مجتمعه إسهام وافر ومتميز[125] .

إشترك (صلّى الله عليه وسلم) في علاج كل القضايا الكبرى في مجتمعه, وكان إشتراكه متنوعاً وشاملاً مغطياً شتى مساحات العمل البشري الجماعي ، وكأنه أريد له أن يجرب كل شئ ، وأن يبني عبر نشاطاته المتنوعة شخصية قادرة على التصدي لكل مشكلة، والإسهام الايجابي الفعال في كل ما من شأنه أن يعيد حقاً أو يقيم عدلاً، وبذلك إكتسب خبرة في مجال التعامل مع الأحداث[126].

يتضح مما سبق أن محمد(صلى الله عليه وسلم) ولد في أشرف بيت من بيوت العرب، ونشأ يتيماً صلى الله عليه وسلم وعاش سنوته الأولى في بادية بني سعد, حيث صفاء الطبيعة وخشونة العيش، واعتمد في رزقه على نفسه, وتزوج السيدة خديجة بنت خويلد التي كانت عوناً له ، وكان محبوباً بين عشيرته وقومه وذلك لأمانته وصدقه وحكمته وذكائه ، ولقد كان على خلق عظيم.

(124) غنيمى : مرجع سبق ذكره ، ص 89.
(125) مهدي, رزق الله احمد : مرجع سبق ذكره ، ص 82 .
(126) نفس المرجع , نفس الصفحة .

الفصل الثاني

بعثة الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) وبناء الأمة الإسلامية (610م)

أ/حفظ الله سبحانه وتعالى للنبي القائد(صلّى الله عليه وسلم) قبل البعثة:-

كان محمد(صلّى الله عليه وسلم) قد أحـ الحفظ والرعاية ، وبغّض إليه ما كان في قومه من خرافه وسوء ، فلم يشهد أعياد الأوثان ، واحتفالات الشرك ولم يأكل مما يذبح على النصب ، وكان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى ، فضلاً عن مس الأصنام أو التقرب إليها ، وقد ذكر أن الراهب بحيرا عندما قال له : (يا غلام أسالك باللات والعزى ألا أخبرتني عما أسالك عنه)، وبحيرى قال ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) قال له : (لا تسألني باللات والعزى شيئاً فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما) فقال له بحيرا : (فبالله ألا أخبرتني عما أسالك) ، وكان أبعد أهل مكة عن شرب الخمر، وشهود الملاهي حتى أنه لم يحضر مجالس اللهو والسمر ، روى عنه (صلّى الله عليه وسلم) أنه قال : (ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتيهما عصمني الله عز وجل فيهما ، قال : قلت ليلة لبعض فتيان مكة- ونحن في رعاية غنم أهلنا- تبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ، فقال عليّ ذلك ، قال : فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيل(*) والمزامير فقلت: ما هذا ؟ قيل تزوج فلان فلانة ،فجلست أنظر فضرب الله عز وجل على إذني فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس , فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت وقلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فسألت فقيل : فلان نكح فلانة فجلست أنظر وضرب الله عز وجل على أذني ، فوالله ما

(*) الغرابيل : جمع غربال وهو الدف وشبه الغربال به لاستدارته .
- ابن منظور : مصدر سبق ذكره ، ص491.

أيقظني إلاّ مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال:ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيءٍ من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بالنبوة)[1] .

يتضح من هذا الحديث أن النبيّ(صلَّى الله عليه وسلم) كان متمتع بخصائص البشر كلها، وكان يجد في نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميولات الفطرية، فكان يحس بالسمر واللهو ويشعر بما في ذلك , وتحدثه نفسه لو تمتع بشيءٍ من ذلك كما يتمتع الآخرون ، وأيضاً يتضح أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة [2] كذلك رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) ما أستلم صنماً قط ، وكان ينهي عن ذلك في الجاهلية ، فعن أسامة بن زيد [*] عن أبيه قال : (كان صنم من نحاس يقال له اساف أو نائلة ، يتمسح المشركون به إذا طافوا فطاف رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، وطفت معه فلما مررت مسحت به فقال رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) : لا تمسه) قال أسامة بن زيد : (طفنا فقلت في نفسي : لأمسنه حتى أنظر ما يكون فمسحته، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : ألم تنه ؟) وقد زاد بعضهم أنه(صلَّى الله عليه وسلم) ما أستلم صمناً حتى أكرمه الله بالذي أنزل عليه [3] .

ب/علامات النبوة قبل مبعثه(صلَّى الله عليه وسلم)ومعرفتها عند الكهان والرهبان الأحبار:-

1/الكهان من العرب:-

كان الكهان يسترقون السمع و كانت لا تحجب عن ذلك برمي بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يزال يقع منهما ذكر بعض أمره ، ولا تلقي العرب فيه بالاً حتى بعث الله عز وجل محمد(صلى الله عليه وسلم)، فوقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرونها فعرفوها، فلما تقارب أمر الرَّسول(صلَّى الله عليه وسلم) واقترب مبعثه حجبت الشياطين عن السمع , حيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل في العباد ، وروي عن عمر بن الخطاب قال: (بينما أنا عند الإلهة في الجاهلية إذ جاء رجل بعجل فذبحه, فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً

---

(1) ابن إسحاق : مصدر سبق ذكره, ص 19 – 20 .
- الغزالى: مرجع سبق ذكره,ص60-61
(2) الصلابي , علي محمد : السيرة النبوية دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة (الجزء الثاني ، بدون مكان نشر, 2000م) ، ص 86 .
(*) أسامة بن زيد بن حارثة : حبيب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وابن حبيبه ولد بمكة ونشأ على الإسلام لان أباه كان من أوئل المسلمين , أمره رسول الله صلَّى الله عليه قبل أن يبلغ العشرين , مات بالجوف .
- محمد حجى :موسوعة الإعلام (دار الغرب الإسلامي 1417ه) الجزء الأول ، ص 15 .
(3) الذهبي : تاريخ الإسلام, مصدرسبق ذكره ، ص 81,

منه ، يقول ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا أنت فوثب القوم ، قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا , ثم نادي يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله إلا الله فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبي)[4] .

ولما بعث(صلّى الله عليه وسلم) رميت الشياطين بالشهب من السماء، ومنعت من أن تسترق السمع فقال إبليس:(ما هذا إلا لأمر قد حدث ونبي قد بعث) وأصبحت الأصنام في كل الدنيا منكسه وخمدت النار التي كانت تعبد [5] .

2/ الرهبان من النصارى:-

وجدوا صفته (صلّى الله عليه وسلم) في كتبهم ، وصفة زمانه ، ومكان مولده وهجرته كما قال تعالى :

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)[*]

قال تعالى :(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)[*1] .

قال عامر بن ربيعة [*2] :(سمعت زيد بن عمرو بن نفيل [*3] يقول لي:(إنا لتنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك حياة ورأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفي عليك قلت هلم : قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا قليله ، ولا تفارق عينيه حمرة, وخاتم النبوة بين كتفيه ، وأسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه ويكرهون ما جاء ، ويهاجر إلى يثرب فيظهر بها أمره ، فإياك أن تنخدع عنه ، فإني طفت البلاد كلها ، أطلب دين إبراهيم فكل من أسأله عنه يقول:هذا وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون : لم يبق نبي غيره) قال عامر : (فلما أسلمت أخبرت الرَّسول صلّى الله عليه وسلم قول زيد وإقرائه السلام فرد عليه الرَّسول (صلّى الله عليه وسلم) وترحم عليه، وقال: قد رايته في الجنة يسحب ذيولاً)[6] .

---

(4) البخاري : صحيح البخاري , مصدرسبق ذكره , ص 1403 .
(5) اليعقوبي : مصدرسبق ذكره ، الجزء الأول ص 112 .
(*) سورة الصف الآية (6) .
(*1) سورة الأعراف الآية (157) .
(*2) عامر بن ربيعة : هو عامر بن ربيعة بن مالك ، اسلم وهاجر إلى الحبشة والمدينة المنورة وشهد بدراً ، مات سنة 35 هجرية الموافق سنة 656م .
- الذهبي : سير إعلام النبلاء, مصدرسبق ذكره ، ص 334 .
(*3) زيد بن عمرو بن نفيل : مات قبل البعثة بخمس سنوات , رأي النبي صلّى الله عليه وسلم ، كان يحي الموءدة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لاتقتلها أنا أكفيك مؤنتها.
- العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر:الإصابة في تميز الصحابة (دارالجيل, بيروت ، 1412هـ) ج2، ص 614.
(6) ابن الأثير : الكامل في التاريخ, مصدرسبق ذكره ص 253 .

3/ الأحبار من اليهود: -

إن اليهود كان لهم علم بمبعث النبي(صلى الله عليه وسلم)، فقد روي أن يهودياً كان من جيران بني عبد الأشهل [*] فخرج عليهم ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، قال ذاك لأصحاب وثن وهم بني عبد الأشهل وهم لا يرون بعثاً كائن بعد الموت وذلك قبيل مبعث الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) فقالوا : (ويلك يا فلان وهذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون عن أعمالهم ؟) قال: (نعم فقيل :(يا فلان فما علامة ذلك ؟) قال: (نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن) وعن حسان بن ثابت [*1] قال : (والله إني لغلام يافع ابن سبع سنين أو ابن ثمان سنين أعقل ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً وهو على أطمه بيثرب يصرخ : يا معشر يهود فلما اجتمعوا إليه قالوا : (ويلك مالك) قال : (طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة) [7] . عن أبي هريرة[2*] رضي الله عنه قال :(جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال : فصعد الذئب على تل واستقر وقال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل: بالله أن رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحدثين- جبلين- يخبركم بما مضي وما هو كائن بعدكم) قال: (فكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبي صلَّى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم فصدقة النبي صلَّى الله عليه وسلم). ثم قال النبي(صلَّى الله عليه وسلم): (إنها إمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده) [8] .

(*) بنو عبد الاشهل : بطن من بني نبيت من الأوس من الازد ، هم بنو عبد الاشهل بن جشم بن الحارث ، منهم سعد معاذ سيد الأوس .

- القلقشندى ، أبو العباس احمد بن علي : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب (دارالكتاب, بيروت,1980 ,) الطبعة الثانية , تحقيق ابر اهيم الانبارى ج الأول ، ص 114 .

(*1) حسان بن ثابت : شاعر الرسول صلَّى الله عليه وسلم روي عدد من الأحاديث عن النبي صلَّى الله عليه وسلم. .

- العسقلاني :الاصابة فى معرفةالصحابة , مصدر سبق ذكره ، ص 63 .

(7) البيهقى، احمد بن الحسين بن علي أبو بكر: دلائل النبوة (دارالكتب العلمية, بيروت، 1405) الجزء الأول، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، ص 464 .

(2*)أبو هريرة: اسمه عبدا لرحمن بن عامر بن عبد ذي السرى بن طريف بن عتاب بن ابي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم، كنيته أبا هريرة لأنه وجد هره فحملها فى كمه, فقيل له ابا هريرة، كان أحفظ الصحابة لأخبار الرسول ﷺ وهو من أهل الصفة.

- العسقلاني: المصدر السابق، ج7، ص 425- 426 - 433.

(8) الندوي ، الحسين بن مسعود : الأنوار في شمائل النبي المختار (دارالضياء للطباعة والنشر, بيروت ، 1989م) الجزء الأول ، ص 22 .

ت/ مبعث النبي(صلّى الله عليه وسلم) ومراحل بعثته:-

لما بلغ محمد(صلّى الله عليه وسلم) أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين, وكافة للناس بشيراً ونذيراً, الموافق سنة 610م ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من أمن بهم وصدقهم ، فأدوا ما كان عليهم من الحق فيه, يقول الله تعالى لمحمد (صلّى الله عليه وسلم):(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) (*) (9) .

مرت بعثة النبي (صلّى الله عليه وسلم) بمراحل كما جاء في حديث عروة (*1) بن الزبير عن عائشة(*2) أم المؤمنين إنها قالت:(أول ما بدئ به رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح – ثم حبب إليه الخلاء, وكان يخلو بغار حراء(*3) فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ ؟ قال : (ما أنا بقارئ) قال : (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت : ما انأ بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)(*4) فرجع بها رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده, فدخل على خديجة بنت خويلد(رضي الله عنه) فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة : وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي) (10) فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف،وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل (*) ابن عم خديجة ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة ، أي ابن عم أسمع من ابن أخيك فقال له ورقه :(يا ابن أخي ماذا

(*) سورة آل عمران الآية (81) .

(9) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ,ا ص 56- 66 .

(*1) عروة بن الزبير بن العوام : من فقهاء المدينة السبعة ، كان من اعلم الصحابة بحديث عائشة .

- العسقلاني ، احمد بن علي : تهذيب التهذيب (دارالفكر, بيروت , 1988م) ، ج 7 ، ص 1165 .

(*2) عائشة بن أبي بكر الصديق، زوج النبي صلّى الله عليه وسلم، افقه نساء الأمة يقال لها الحميراء.

- الذهبي : سيراعلام النبلاء, مصدر سبق ذكره ،ح2 ص 125

(*3) حراء : جبل بينه وبين مكة ميل ونصف وهو جبل منفرد على طريق حنين من مكة وهو منيف صعب المرتقى لا يصعد الى اعلاه الا موضع واحد في صفاه ملساء ، وهو من جميع نواحيه منقطع لا يرقاه راق ، والموضع الذي نزل فيه جبريل عليه السلام في اعلاه من مؤخره الى شق هناك معروف .

- الحميري: مصدرسبق ذكره, ص 190

(*4) سورة العلق الايات1-3

(10) البخاري : صحيح البخاري, مصدرسبق ذكره, الجزء الأول ، ص 4 .

(*))ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، كان قد تنصر ، وقد قرأ الكتب من التوراة والإنجيل .

- ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 73 .

تري ؟) فأخبره رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) خبر ما رأي فقال ورقه :(هذا الناموس الذي نزله الله على موسي ، ياليتني فيها جذع ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ،فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) : (أو مخرجي هم) . قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) ثم لم ينشب ورقه أن توفي وفتر الوحي[11] .

أما الخبر الذي أورده ابن هشام عن كيفية بدء الوحي وفيه قال: (رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم): فجاءني جبريل ، وأنا نائم ، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ ؟ قال فغتني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، قال قلت : ما أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ؟ قال فغتني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ ، قال : فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[*1] .قال : فقرأتها، ثم أنتهي ، فانصرف عني، وهببت من نومي فكأنما كُتبت في قلبي كتاباً قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل قال: فرفعت راسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتاخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء،قال فلا أنظر في ناحية منها إلاّ رأيته ، فما زلت واقفاً حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا أعلي مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني[12].

نجد اختلاف بين الروايتين- رواية البخاري ورواية ابن هشام – ونلاحظ أن الاختلاف في عبارة (فأتاني وأنا نائم) في رواية ابن هشام قال :في أخرها فهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا ،وليس هذا موجود في رواية البخاري،الذي يدل على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان يقظة،   لأنها قالت في

أول الحديث أول ما بدىء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الرؤيا الصادقة، ثم حبب إليه الخلاء ،إلى قولها حتى جاءه الحق وهو بغار حراء فجاءه جبريل، فذكرت من هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي(صلى الله عليه وسلم) بالقرآن الكريم، ويمكن الجمع بين الروايتين بان النبي(صلى الله عليه وسلم) جاءه جبريل عليه السلام في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة

---

(11) البخاري : مصدر سبق ذكره ،ج4 ص 4 .

(*1) سورة العلق الاية 1-3 .

(12) ابن هشام : المصدر السابق ص 70 ، 71 ، 72 ، 73 .

عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف، ذكر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي في أحوال مختلفة فمنها النوم كما قالت عائشة[127]وكذلك رواية البخاري لاتنافي رواية ابن هشام فإنه يجوز أن يكون أول أمر الرسول(صلى الله عليه وسلم) الرؤيا ثم وكل به اسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بغار حراء فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا له وتمرينا إلى أن جاءه جبريل فكلمه بعد ماغطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ماجرى له مع جبريل ولم تحك ماجرى له مع اسرافيل اختصارا للحديث،أو لم تكن وقفت على قصة اسرافيل[128]يتضح أن البعثة مرت بمراحل وهي:

1/الرؤيا الصالحة – الصادقة- :-

وهى أول مابُدي به رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) من النبوة كما قالت السيدة عائشة، فكان لا يري رؤيا في نومه إلا جاءت كما رآها، عن عبد الله بن أبي بكر(*) إنه كان من بدء أمر الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) أنه رأي في المنام رؤيا فشق ذلك عليه ، فذكر ذلك لزوجته خديجة فقال لها إنه رأي أن بطنه أخُرج فطُهر وغُسل ثم أُعيد كما كان ، فقالت له أبشر فإن الله تعالى لا يصنع بك إلا خيراً[129] يراد بها هنا رؤى جميلة, ينشرح لها الصدر وتزكو بها الروح، ولعل الحكمة من ابتداء الله تعالى رسوله (صلّى الله عليه وسلم) بالوحي بالمنام ليتدرب عليه ويعتاده ، والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وقيل إن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر ، ولم ينزل عليه شيء من القران في النوم بل نزل كله يقظة، فكان (صلّى الله عليه وسلم) يري الرؤيا الصادقة في النوم فتجئ في اليقظة كاملة واضحة كما رآها في النوم لا يغيب عليه منها شيء ، وقد شبهتها السيدة عائشة وهي أفصح العرب بظهور ضوء الصبح ينفلق عنه غبش الظلام من كمال وضوحها[130]. لقد طالت فترة الرؤيا حتى خشي على نفسه ، فأسر بمخاوفه إلى خديجة وأظهرها على ما يري, وأنه يخاف عبث الجن به، فطمأنته، وجعلت تحدثه بأنه الأمين وبأن الجن لا يمكن أن يقترب منه , وأنه لم يدر بخاطرها ولا بخاطره أن الله يهيأه إلى النبأ العظيم[131].

2 /سلام الحجر والشجر عليه(صلّى الله عليه وسلم) :-

---

(127) السهيلى : مصدر سبق ذكره ,ص400

(128) ابن كثير:البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره ، ج، 3ص7-8

(*)عبد الله بن أبي بكر الصديق: اسلم قديماً، شهد الطائف مع الرسول صلّى الله وسلم رمي بسهم فمات في خلافة أبيه.

- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكرة,ج 1 ، ص 263.

(129) ابن سيد الناس : مصدرسبق ذكره ، ص 113 .

(130) الصلابي , علي محمد : مرجع سبق ذكره ص 97 .

(131) هيكل : مرجع سبق ذكره , ص 121 .

عن جابر بن سمرة (*) قال : قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) :(إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) [132]كان رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة إذ خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم) حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يري إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) كذلك يري ويسمع ما شاء الله أن يمكث وقد حدث بذلك عن نفسه ، وليس في ذلك كبير أشكال فقد سخر الله الجمادات للأنبياء قبله ، فعصا موسي التقمت ما صنع سحره فرعون بعد أن تحولت حية تسعي ثم رجعت كما كانت ، ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتي عشرة عيناً ، وكذلك غيره من الأنبياء سخر الله لهم ما شاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وعلو شانهم. [133]

3/التحنث في غار حراء :-

كان رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) ، عندما اقتربت نبوته حبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث – يتعبد – فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، وكان يحب الخلاء والإنفراد عن قومه لما يراهم عليه من الضلال والانحراف المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وكان يجاور شهر رمضان من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية، وكان إذا قضي جواره من شهره ذلك أول ما يبدأ به الكعبة فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك قبل أن يدخل بيته، وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة، هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع فقيل شرع نوح، وقيل شرع إبراهيم وهو الأشبه الأقوى ، وقيل موسي ، وقيل عيسي،وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به [134]

وجد سيدنا محمد (صلَّى الله عليه وسلم) في التحنث مجالاً مناسباً لطلاقة التفكير والتأمل ، مستلهماً ما في الكون من معطيات , وأختار غار حراء بعيداً عن ضوضاء مكة, وعبث العابثين من أهلها ، وكان اختياره صلَّى الله عليه وسلم لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ، وليكون انقطاعه عن شواغل الأرض ، وكانت نقطة

(*) جابر بن سمرة بن جناده يقال ابن عمروبن جندب بن حجير بن رئاب يكني أبا خالد ، اسلم وصلي مع النبي صلَّى الله عليه وسلم توفي بالكوفة في خلافةعبدالملك بن مروان فى ولاية بشر على العراق .
- العسقلاني : تهذيب التهذيب , مصدر سبق ذكره ج2 ، ص 35

([132]) مسلم : مصدرسبق ذكره الجزء 7 ، ص 58 .

([133]) بك : مرجع سبق ذكره ، ص 19 .

([134]) ابن كثير : البداية والنهاية, مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، 9 – 10 .

تحول لاستعداده لما ينتظره من الأمر العظيم فيستعد لحمل الأمانة الكبرى ، وتغير وجه الأرض ، وتعديل خط التأريخ، دبر الله له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة ثلاث سنوات، ينطلق في هذه العزلة شهراً من الزمان, وهذه العزلة التي حببت إليه هي تعهد خاص من الله سبحانه وتعالى لتربيته وتأديبه في جميع أحواله [135] .

4/نزول القرآن الكريم على محمد (صلّى الله عليه وسلم) عام 610م :-

بينما كان النبي (صلّى الله عليه وسلم) في غار حراء يتعبد إذ فجاءه جبريل عليه السلام بالقران الكريم أي جاء بغتة على غير موعد سابق، كما قال تعالى :(وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) [*]. وكان نزول القران الكريم يوم الاثنين فقد سُئل (صلّى الله عليه وسلم) عن صوم يوم الاثنين؟ فقال :(ذاك يوم ولدت فيه ويوم أُنزِلَ عليّ فيه) وقال ابن عباس:(ولد نبيكم محمد(صلّى الله عليه وسلم) يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين)والمشهور أنه بعث في شهر رمضان كما قال تعالى :(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ)[*1]. وكان ابتداء الوحي إلى الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وقيل في الرابع والعشرين منه[136] إن الغط ثلاث مرات إشارة إلى أن النبي(صلّى الله عليه وسلم) ، يحصل له ثلاث شدائد ثم يحصل له الفرج بعد ذلك ، فكانت الأولى إدخال قريش له (صلّى الله عليه وسلم) في الشعب والتضييق عليه, والثانية اتفاقهم على قتله(صلّى الله عليه وسلم)، والثالثة خروجه من أحبّ البلاد إليه ، وكان(صلّى الله عليه وسلم) يلقي من الوحي شدة وثقل كما قال تعالى:(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)[*2] فكان ذلك لحكمة عظيمة ؛ وهي بيان أهمية هذا الدين وعظمته, وشدة الاهتمام به، وأن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن، حيث تلقي النبي(صلّى الله عليه وسلم) كلام الله بواسطة جبريل عليه السلام, وشاهده وسمعه لذلك أصيب بالرعب مما سمع، وأسرع إلى بيته يرجف فؤاده, وهذا يدل على أنه لم يكن متوقعاً الرسالة التي سيكلف بها[137].

وفي هذه الآيات إشادة بالقلم والعلم ومنزلته في بناء الشعوب والأمم ، وفيها إشارة واضحة إلى أن أخص خصائص الإنسان العلم والمعرفة ، وفي ذلك إظهار لمكانة ومنزلة العلم في الإسلام فأول كلمة في النبوءة تصل إلى الرَّسول (صلّى الله عليه وسلم) هي الأمر بالقراءة , ومازال الإسلام يحث على العلم ويأمر

([135]) المبار كفوري : الرحيق المختوم, مصدر سبق ذكره, ص 58 ..
(*) سورة النمل الآية (86) .
([*1]) سورة البقرة الآية (185)
([136]) ابن كثير : السيرة النبوية, مصدرسبق ذكره ، ص 392
([*2]) سورة المزمل الآية (5) .
([137]) السباعي : مرجع سبق ذكره, ص 98 – 99 .

به، ويرفع درجة أهله، ويميزهم على غيرهم قال تعالى :(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [*].قال تعالى :(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) [*1].

إن مصدر العلم النافع من الله عز وجل ، فهو الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وهو منهج رسمه الله سبحانه وتعالى لتعلم البشرية ، وأمية الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) حيث أنه لا يقرا ، ولا يكتب كما ظهر من سياق الآيات كانت هي السياج الذي حقق الأمن الثقافي والمعرفي من خطر التيارات الثقافية المعادية ، ووصف كل أهله بالأميين وصف بأنه أُمي كما قال تعالى :(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)[*2]. (138).

وعندما انصرف عنه الوحي(صلَّى الله عليه وسلم) أسرع إلى بيته، وقلبه يضطرب فليس من اليسير على الكيان البشري الاتصال بالكيان الملائكي، فهذا الاتصال مما يهز الكيان البشري هزّا عنيفاً ، لذلك حتى عندما دخل البيت كان يرتجف، وصاح زملونى زملوني فالقوا عليه ما توافر من الأغطية والثياب ، حتى إذا ذهب عنه الروع قال لزوجه خديجة مالي؟ لقد خشيت على نفسي وحدثها بما رأي ، سمعت خديجة من زوجها ما حدث له ، فانفرجت أساريرها ، وفاضت عواطفها. [139].

لقد ظهرت أهمية اختيار السيدة خديجة(رضي الله عنها) ، زوجاً للنبي (صلَّى الله عليه وسلم) في هذا الوقت العصيب ، فقد هدأت من روع النبي (صلَّى الله عليه وسلم)، حينما جاءها فزعاً مضطرباً ترتعد فرائصه، لا يدري حقيقة ما رأه ، لكنها اهتدت إلى عشرتها معه،لتهدئ من روعة ، ولتؤكد له ولنفسها أن ما رأه حقيقة وليس وهماً، فمن كان على أخلاقه هذه من إكرام وصلة رحم, فإن الله لا يمكن أن يسلمه إلى وهم أو ضلال أبداً ، وهذا التصرف يدل على رجاحة عقلها وحسن تصرفها وفضلها ، وسلامة فطرتها وكان موقف السيدة خديجة من أشرف المواقف التي تحمد لامرأة في الأولين والأخرين ، وذكرته بما فيه من فضائل ، وبهذا الرأي الراجح والقلب الصالح ، استحقت أن يذكرها رب العالمين ، فيرسل إليها السلام مع الروح الأمين ، فسرعان ما تراجعت نفس النبي(صلَّى الله عليه وسلم) القائد وهدأت واطمأنت بفضل هذه الزوجة الصالحة الحكيمة[140].

(*)سورة المجادلة الآية (11) .

(*1) سورة الزمر الآية (9) .

(*2) سورة الأعراف الآية (157) .

(138) عوض الكريم, مأمون السيد إدريس:إستراتيجية الرسول صلَّى الله عليه وسلم (شركةالسودان لمطابع العملة, الخرطوم ، 2009م) ص 45 .

(139) الأسمر: مرجع سبق ذكره، ص 83 .

(140) السباعي، مصطفي : مرجع سبق ذكره ,الطبعة الخامسة ، ص 96 .

وألقت كلمة ورقة بن نوفل الطمأنينة في نفس الرسول القائد(صلّى الله عليه وسلم) وعرفته أن ما مر به من تجربة لم تكن إلا استهلالاً لأعظم رسالة ، ولا شك أن ذلك أثار في نفسه الشوق لمواصلة الاستماع إلى ذلك النداء المقدس[141].وقد أجاب بما يعلمه من الكتب السابقة عن هيئة هذا الناموس[*] الذي كان ينزل على الأنبياء السابقين ، والدليل على صدق ورقة قد جاء في ثنايا الحديث فقد أكد أن قوم النبي(صلّى الله عليه وسلم) سيمنعونه ويعادوه ثم يخرجونه من بلدته ويحاربونه، وما لبث أن توفى ورقة بعدها مباشرة، ولقد صدقت مقولة ورقة في ذلك ، فقد أخرجه قومه ،وحاربوه وقاتلوه،وقد ساعدت شخصية ورقة على تثبيت فكرة النبوءة في قلب النبي القائد(صلّى الله عليه وسلم) وعقله تثبيتاً منطقياً وعملياً وعلمياً[142].

قالت خديجة رضي الله عنها للرسول(صلّى الله عليه وسلم) : ياابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال:نعم ،فجاءه جبريل ، فأعلمها ، فقالت:قم فاجلس على فخذي اليسرى ،فقام(صلّى الله عليه وسلم) فجلس عليها فقالت :هل تراه؟ قال: نعم ،قالت:فتحول فاقعد على فخذي اليمني، فجلس عليها ، فقالت :هل تراه ؟ قال نعم، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله(صلّى الله عليه وسلم)، في حجرها ثم قالت :هل تراه؟ قال لا .قالت: يا ابن عم أثبت وأبشر فو الله إنه لملك ، وما هو بشيطان[143].

وروي أن خديجة رضي الله عنها أدخلت رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) بينها وبين درعها[*]، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول(صلّى الله عليه وسلم) إن هذا لملك وما هو بشيطان[144].

السيدة خديجة رغم تصديقها بكل ما قاله محمد(صلّى الله عليه وسلم) وما قاله ورقة لكنها، أرادت أن تعاين الأمر بنفسها فتيقنت عند ذهاب الملك بعد أن ألقت خمارها بأنه ليس بشيطان ، لأنه لو كان شيطاناً لظل يشاهدها ، وأدركت ذلك عن بصيرة، وبذلك تكون السيدة خديجة قد تنقلت في إدراكها للحقيقة ، فقد وصلت إليها مرة عن طريق الاستنباط ، ومرة أخرى عن طريق المعرفة بالأمر, ومرة أخرى عن طريق التجربة, وبذا تكون أدركت الحقيقة بكل وسائل الوصول إليها والسيدة خديجة إنما تفعل ذلك لأنها

---

(141) سالم ، عبد الرحمن احمد : مرجع سبق ذكره ص 52 .

(*) الناموس: هو جبريل عليه السلام واهل الكتاب يسمون جبريل الناموس ، وقيل ان الناموس هو صاحب سر الملك او الرجل الذي يطلعه على سره وباطن امره ويخصه بما يستره عن غيره .

- ابن منظور: مصدر سبق ذكره ، ص243 .

(142) غنيمي ، مصطفى عبد العاطي : مرجع سبق ذكره ، ص 97.

(143) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ , مصدر سبق ذكره ، ص 254

(*) درعها : درع المرأة ثوب تجوب المرأة وسطه وتجعل له يدين وتخيط فخديه ، ودرع المرأة ايضا قميصها ، وهو ايضا الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها .

- ابن منظور: مصدر سبق ذكره ، ص81 .

(144) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، الجزءالثانى, ص 75.

تعلم أنها سوف تضحي كثيراً بوقوفها إلى جانب النبي(صلَّى الله عليه وسلم) ، سواء أكانت هذه التضحية مادية أو معنوية، فهي تاجرة فسوف تتأثر تجارتها بهذه الدعوة الجديدة ، وكذلك فإن الكم الهائل من المعاناة بجوار زوجها ليس سهلاً ميسورا[145].

ث- فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه :-

عندما انقطع الوحي حزن عليه النبي(صلَّى الله عليه وسلم) كثيراً، وغدا منه مراراً كي يتردي من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما طلع على قمة جبل لكي يلقي بنفسه تبدي له جبريل فيقول له: (يا محمد ، إنك رسول الله حقاً)، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك ، فإذا أوفي بذروه جبل تبدي له جبريل ، فقال مثل ذلك[146].عن جابر بن عبد الله[*1] قال: سمعت رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثة: (فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه رعباً فرجعت فقلت: زملوني زملوني فدثروني،ثم تتابع الوحي.[147].

كان انقطاع الوحي فيه مصلحة للنبي(صلَّى الله عليه وسلم) ، فقد ذهب عنه الروع ، وتثبت في أمره ، وتهيأ لاحتمال مثل ما سبق حين يعود، وحصل له التشوق والانتظار، وكانت هذه هي بدء رسالته(صلَّى الله عليه وسلم) ، وهي متأخرة عن النبوءة بمقدار فترة الوحي وإن في انقطاع الوحي ثم استمراره تأكيد لحقيقة أن الوحي من عند الله تعالى، أنقطع جبريل عليه السلام عن النبي(صلَّى الله عليه وسلم) فترة من الزمان،اختلف العلماء في مدتها قيل :إنها كانت ستة أشهر،وقيل:إن الأقرب إلى الصواب هو ما روي عن بن عباس[*] إن فترة انقطاع الوحي كانت أربعين يوماً وقيل إنها كانت أياماً [148].

ج/مراتب الوحي الذي نزل على النبي القائد(صلَّى الله عليه وسلم):-

---

(145) غنيمى: مرجع سبق ذكره ، ص 96 .

(146) ابن كثير : السيرةالنبوية, مصدر سبق ذكره ، ص 386.

(*1) جابر بن عبد الله : هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمه : يكنى ابا عبد الله شهد العقبة الثانية مع ابيه وهو صبي, شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، توفى سنة74 ه وكان عمره اربع وتسعين سنة الموافق سنة 695م.

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره : ص 162 – 163

(147) مسلم : مصدر سبق ذكره ، 98 .

(*) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي يكنى ابا العباس ولد قبل الهجرة بثلاثة سنين وكان له ثلاثة عشر سنة عندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولد بالشعب قبل خروج بني هاشم منها، مات بالطائف سنة68هـ الموافق689 م في ايام بن الزبير وكان عمره سبعون سنة وقيل احدى وسبعون سنة وقيل اربعة وسبعين سنة

-ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره ، ص 284 .

(148) مهدي, رزق الله احمد : مرجع سبق ذكره, ص89.

قد كمل الله تعالى لنبيه محمد(صلّى الله عليه وسلم) من مراتب الوحي مراتب عديدة منها:-

1. الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحي الرسول ﷺوكان لا يري رؤيا إلاّ جاءت كما هي .
2. ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال النبي صلّى الله عليه وسلم: (إن الروح الأمين قد نفث في روعي إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجملوا في الطلب) [149].
3. إنه كان (صلّى الله عليه وسلم) يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وهذه الحالة كان يراه الصحابة أحياناً.
4. إنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد وحتى راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها .
5. أنه يري الملك في صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين.
6. ما أوحاه الله من فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.
7. كلام الله تعالى إليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسي بن عمران وهذه المرتبة ثابتة لموسي قطعاً بالقرآن (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) [*] وثبوتها لنبينا محمد (صلّى الله عليه وسلم) في حديث الإسراء والمعراج .
8. وقد زاد بعض العلماء مرتبة ثامنة وهي تكليم الله ً من غير حجاب وهذا على مذهب من يقول إنه (صلّى الله عليه وسلم) رأي ربه تبارك وتعالى وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف ، وأن جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة أي عدم رؤية النبي صلّى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى[150].

هكذا كانت مراتب الوحي الذي أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) فهي مراتب متعددة ومتنوعة.

ح/ فرض الصلاة وتحديد أوقاتها على النبيّ(صلّى الله عليه وسلم):-

عن هشام بن محمد[*1] قال : أتي جبريل رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له برسالة الله عز وجل يوم الاثنين فعلمه الوضوء وعلمه الصلاة وعلمه، أوائل سورة ، العلق ، وكان لرسول (صلّى الله عليه وسلم) يوم الاثنين يوم أن أوحُي إليه (أربعون سنة) ثم كان أول شيء

([149]) البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى: شعب الإيمان ، مكتبةالرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 2003م، ج2، ص406.
(*) سورة النساء,الاية,164
(150) ابن القيم, محمد أبي بكربن أيوب: زاد المعاد في هدى خير العباد(مؤسسة الرسالة , بيروت ،1994م) الجزءالأول ص 78 .
[*1]) هشام بن محمد : هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ابو المنذر الاخباري التسابة العلامة مات سنة204 ه الموافق سنة 825م
- العسقلاني , احمد بن علي بن حجر : لسان الميزان (مؤسسة الاعلى للمطبوعات – بيروت – 1986 م) : ج6 ص96

فرض الله عز وجل من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الشرك والأصنام وخلع الأنداد الصلاة(151).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افترضت الصلاة على رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعا وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين، وعن بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل (عليه السلام)، ورسول(صلّى الله عليه وسلم) ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، كما رأي جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلي به، وصلي رسول(صلّى الله عليه وسلم) بصلاته،ثم أنصرف جبريل (عليه السلام) ، فجاء رسول(صلّى الله عليه وسلم) خديجة فتوضأ لها ليريها، كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله (صلّى عليه وسلم), ثم صلّى بها رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، كما صلّى به جبريل فصلت بصلاته، وذكر أن الصلاة قبل الإسراء كانت قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ، وشهد لهذا قوله وتعالى:(وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار)(*) وعن عروة عن عائشة قالت:(فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) إلى المدينة ففرضت أربعا) وقيل إن الإسراء و فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة فزيد في صلاة الفجر أي زيد فيها حيث أكملت خمساً، فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ويكون قولها فرضت الصلاة ركعتين قبل الإسراء، وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس(152).

عن ابن عباس قال : (لما افترضت الصلاة على الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) أتاه جبريل(عليه السلام) فصلي به الظهر حين مالت الشمس ثم صلّى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلّى به العشاء الأخرة حين ذهب الشفق ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه فصلي به الظهر من غدٍ حين كان ظله مثله , ثم صلّى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول, ثم صلّى له الصبح مسفراً غير مشرق ثم قال: يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس) (153).

---

(151) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، مصدرسبق ذكره ، ص 534 – 534 .
(*) سورةغافر,الاية55
(152) السهيلي : مصدر سبق ذكره ، ص 422.
(153) نفس المصدر : نفس الصفحة

خ- الأساليب النبوية للدعوة الإسلامية :-

1/ الدعوة في مرحلة الكتمان :-

استجاب الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) للأوامر الإلهية التي صدرت بالتبليغ ، وقد جاءت الأوامر واضحة في الآيات التي نزلت بعد آيات سور العلق وهي قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)(*1) وهذه الآيات تضمنت تكليف للرسول(صلَّى الله عليه وسلم) بالإنذار أي تبليغ كلمة الله ، وهنا يدرك أنه أمام مهمة محددة ولم تكن تلك المهمة التي أنيطت بالرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) سهلة ، بل كانت بالغة الصعوبة والتعقيد ، لقد كان عليه أن يبلغ كلمة التوحيد وشريعة الإسلام إلى قوم تأصلت فيهم روح الوثنية ، وسيطرت عليهم عادتهم وتقاليدها، وكان من حكمته (صلَّى الله عليه وسلم) أن بدأ أمره هذا سراً، ولم يجهر بدعوته على الملأ والدعوة مازالت وليده ناشئة لم تكتسب بعد أنصاراً، ولهذا كان أسلوبه في تلك المرحلة أن يدعو من يثق فيه ويطمئن إليه من أهله وخلانه سراً (154).

استمرت الدعوة سرية لمدة ثلاث سنوات وبدأها بالدعوة لتوحيد الله ونبذ كل مظاهر الشرك، وكذلك تنفيذ لأمر الله عز وجل في قوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (*) أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوءة (فحدث) أي أذكرها وأدع إليها،فجعل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهل بيته وخاصته, وذكر لهم أن الله بعثة هادياً ومبشراً ونذيراً، وقد حصل على عدة علامات من علامات النبوة , وكان الوحي الإلهي أقواها, وكان أول من أمن به وصدقه زوجته خديجة بنت خويلد, فخفف الله بذلك عن نبيه (صلَّى الله عليه وسلم) ، فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك،إلاّ فرج الله عنه بها إذا رجع إليها(155).

كانت تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله ، وقال(صلَّى الله عليه وسلم) :(أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب) (156).

القصب هو اللؤلؤ المجوف وبشرت ببيت، وذلك لأنها كانت ربه بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وأيضا فأنها أول من بني بيتاً في الإسلام بتزويجها رسول الله(صلى عليه وسلم)

(*1) سورة المدثر الايات 1-7 .

(154) سالم: مرجع سبق ذكره ، ص34 , ص54

(*) سورة الضحى الاية (11)

(155) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 77.

(156) عبد الباقي, محمد, فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيهما اتفق عليه الشيخان ، دار الحديث ، القاهرة، 198م،ج1، ص 764.

ورغبتها فيه, وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وإن كان أشرف منه, وقوله(صلَّى الله عليه وسلم) لا صخب فيه ولا نصب ؛لأنه عليه السلام دعاها إلى الإيمان فأجابته عفواً ، ولم تحوجه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصبت عليه حليلته،ولا أن ينصب ، بل أزالت عنه كل نصب, وآنسته من كل وحشة, وهونت عليه كل مكروه, وأراحته بمالها من كد ونصب، فوصف منزلها الذي بشرت به بالصفة المقابلة لفعاله أو صورته، أما قوله من قصب ولم يقل من لؤلؤ وإن كان المعني واحد، ولكن اختصاصه هذا اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل ، أنها(رضي الله)عنها كانت قد أحرزت قصب السبق إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنساء ، والعرب تسمي السابق محرزاً للقصب[157].

كانت السيدة خديجة أول من صلَّى بعد النبي(صلَّى الله عليه وسلم), ثم بعدها على ابن أبي طالب ، وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ،أنه كان في حجر رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) قبل الإسلام حيث جاء عن مجاهد بن جبر[*] قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ،وكان أبو طالب ذا عيال كثر فقال رسول الله عليه وسلم للعباس[*1]:-وكان من أيسر بني هاشم- يا عباس بن عبد المطلب يا عماه إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما تري من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ من بنيه رجلاً، فنكفهما عنه قال العباس: لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) نعم فانطلقا[158].حتى أتيا أبا طالب فقالا (إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه)،فقال لهما أبو طالب:(إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما)،فأخذ رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) علياً فضمه إليه،وأخذ العباس جعفراً[*2] فضمه إليه فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله (صلى الله عليه

(157)نفس المرجع , ص 87 – 79

[*] مجاهد بن جبر : يكنى أبا الحجاج , مولى قيس بن السائب المخزومي قيل مات وهو ساجد توفى بمكة سنة 103ه الموافق سنة724م وكان عمره ثلاث وثمانين سنة كان فقيها عالماً ثقة كثير الحديث.

- ابن سعد : مصدر سبق ذكره : ج5 : ص 466

(*1) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف كنيته ابو الفضل كان من اكابر قريش في الجاهلية والاسلام هو عم النبي صلى الله عليه وسلم اسلم قبل الهجرة وكتم اسلامه توفي بالمدينة سنة 32 هـ الموافق 653 م .

- حجي ، محمد : مرجع سبق ذكره ، ص416 م.

(158) الطبري : تاريخ الرسل والملوك , مصدر سبق ذكر ه ، 538 .

(*2) هو جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابو عبد الله، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، احد السابقين الى الاسلام ، اخو علي بن ابي طالب وشقيقه كان يكنيه النبي صلى الله عليه وسلم بابو المساكين ، هاجر الى الحبشة فاسلم النجاشي ومن معه على يديه ، ثم هاجر الى المدينة استشهد بمؤتة في ارض الشام سنة 8 هـ الموافق 629 م .

- العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ص485 ،486 ،487

وسلم) حتى بعثة الله نبياً، فاتبعه على وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[159]وهذا موقف منه (صلى الله عليه وسلم) يدل على مروءته ورده لجميل عمه عليه .

قال عفيف [*3]: (كنت أعمل بالتجارة، فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فأتيه أبتاع منه وأبيعه قال فبينما نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي تجاه الكعبة ،وخرج غلام فقام يصلي معه فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو ؟ فقال :هذا محمد بن عبد الله يزعم إن الله أرسله ، وأن كنوز كسري[*4] ستفتح عليه،وهذه امرأته خديجة بنت خويلد أمنت به،وهذا الغلام ابن عمه آمن به) قال محمد بن كعب[*]:(أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي،أسلم على قبل أبو بكر، وكان على يكتم إيمانه خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبو ه قال أسلمت؟ قال: نعم قال: وازر ابن عمك وانصره) [160].

ثم أسلم زيد بن حارثه[*1] وكان أول ذكر صلّى وأمن بعد علي بن أبي طالب ، فقد كان زيد مولى لخديجة بنت خويلد فراه رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) عندها فاستوهبه منها فوهبته له، فأعتقه رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وتبناه ، وذلك قبل أن يوحي إليه ، وكان أبو ه حارثه قد جزع عليه جزعاً شديداً وبكي عليه حين فقده ، ثم قدم عليه وهو عند رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) , فخيره رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال له: إن شئت فأقم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال : بل أقيم عندك ، فلم يزل زيد بن حارثة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى أبطلت عادة التبني [161].

جاء في قصة إسلام أبى بكر الصديق أنه لقي رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) فقال: (أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك ألهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا؟) فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):(بلي إني رسول الله ونبيه بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق،أدعوك يا أبا بكر إلى الله

---

(159) الطبرى: المصدر السابق ، ص 338-538.
(*3) عفيف : اسمه شرحبيل وعفيف لقب ، اسلم فيما بعد.
- العسقلاني : المصدر السابق ،ج4 ص 151
(*4) كسرى : يزدجرد بن شهر يار بن برويز المجوسي الفارسي .
- الذهبى: سير أعلام النبلاء ، مصدر سبق ذكره : ص 109
(*)محمد بن كعب بن مالك ولد في زمان النبى صلّى الله عليه وسلم وادرك النبي صلّى الله عليه وسلم .
ـــ ابن عبد البر: مصدرسبق ذكره ص429
(160) ابن كثير : السيرة النبوية، مصدر سبق ذكره ، ص 429 – 431.
(*1) زيد بن حارثه بن شراحبيل بن كعب بن عبد العزي من الموالي اسبقهم إلى الاسلام, حب الرسول صلّى الله عليه وسلم ولم يسم الله تعالى صحابيا باسمه إلا زيد, تزوج ام ايمن قتل بمؤتة سنة 8هجرية الموافق سنة629م.
- ا بن عبدالبر: المصدر السابق، ص162
(161) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 87 – 88 .

وحده لا شريك له ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته) وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر فأسلم و كفر بالأصنام وخلع الأنداد وآمن بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق ، روى أن رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) قال :(ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنه كبوه وتردد ونظر إلا ابا بكر) هذا لأنه كان يري دلائل نبوة النبيّ صلّى الله عليه وسلم، ويسمع أثاره قبل دعوته، فحين دعاه كان قد سبق فيه تفكره ونظره فأسلم في الحال[162].

ابتدأ أبو بكر أمره وأظهر إسلامه ودعى الناس ، وأظهر على بن أبى طالب وزيد بن حارثة إسلامهما، فكبُر ذلك على قريش، فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعى إلى الله ورسوله، وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه محبباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمور لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه عدد من المسلمين منهم الزبير بن العوام[*] وعثمان بن عفان[*1]، وطلحة بن عبيد الله[*2] وعبد الرحمن بن عوف[*3] ومعهم أبو بكر وسعد بن أبي وقاص[*4] فانطلقوا حتى أتوا رسول(صلى الله عليه وسلم) فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام وبما وعدهم الله من الكرامة فأمنوا وأصبحوا مقرين بحق الإسلام , فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله(صلّى الله عليه وسلم), وأمنوا بما جاء من عند الله تعالى, فهم الرعيل الأول وطليعة الإسلام [163].

---

(162) البيهقي ،دلائل النبوة, مصدر سبق ذكره ، ص 33 – 34 .

(*)الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد, احد العشرة المبشرين بالجنة ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- العسقلانى:الاصابة فى تمييز الصحابة, مصدر سبق ذكره ج2 ص553

(*1) هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، هو ذو النورين وامير المؤمنين ، اسلم في اول الاسلام دعاه ابوبكر الى الاسلام فاسلم ، وكان يقول: اني رابع اربعة في الاسلام ، وهو احد العشرة المبشرين بالجنة .

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ص749 -750.

(*2)طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو احد العشرة المبشرين بالجنة من اصحاب الشورى.

– نفس المصدر , ص529

(*3) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبد الحارث بن زهرة يكنى ا با محمد ولد بعد عام الفيل

_ ابن الأثير: المصدر السابق ، ص708

(*4) هو سعد بن مالك بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، واحد السابقين الاولين الى الاسلام ، شهد بدر والحديبية ، احد الستة اهل الشورى ، اول من رمى بسهم في سبيل الله ، من اخوال النبي صلى الله عليه وسلم .

- الذهبي : سير اعلام النبلاء ، مصدر سبق ذكره ، ص 92-93-99 .

(163) ابن إسحاق : مصدر سبق ذكره ، ص 120.

فكان هذا الرعيل الأول هو القاعدة الصلبة التي قامت عليها الدولة الإسلامية،وهم الذين نشروا وطبقوا تعاليم الإسلام التي غيرت وجه الدنيا،وملأتها عدلاً ورحمة, من أوائل المسلمين على سبيل المثال لا الحصر أبو سلمة(*5)، والأرقم بن أبي الأرقم(*6)، وخباب بن الأرت(*7)

عبد الله بن مسعود(*)، وعامر بن فُهيرة (*1)، وعمار بن ياسر(164). ومن السابقين الأوائل من المسلمين بلال بن رباح(*2) وكذلك ورقة بن نوفل وذلك بدليل قوله (صلَّى الله عليه وسلم) : (قد رأيته ، فرأيت عليه ثياباً بيضاً فأحسب لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض) شهد بلال بدراً والمشاهد كلها مع الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم)، وكان من المعذبين في الله , فاشتراه الصديق فأعتقه، كان يؤذن لرسول الله (صلَّى الله عليه وسلم)، كان خازنه على بيت ماله (165).

أولاً : الصلاة في شعاب مكة سرا :-

بدأ محمد (صلَّى الله عليه وسلم) يؤدي الرسالة ، ويدعو من قومه أولئك الذين تربطهم به روابط القربى القريبة ، أو الصداقة القوية أو من يتوقع منهم تلبيه الدعوة وقبول الحق ، فلبى الدعوة أولئك النفر لما عرفوا من أخلاقه وصدقه ، وكان(صلَّى الله عليه وسلم) حذراً يقظاً في هذه البداية ولم يظهر الدعوة في مجامع قريش العامة خوفاً على أصحابه لذلك كان (صلَّى الله عليه وسلم) إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، ويخرج معه على ابن أبي طالب مستخفياً من أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان

(*5) هو ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، اسمه عبد الله وامه بره بنت عبد المطلب بن هاشم هاجر الهجرتين ، جرح يوم احد ومات بسببه في سنة 3 هـ الموافق 624 م .
- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره ، ص 38 .

(*6) الارقم بن ابي الارقم ، اسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، يكنى ابا عبد الله امه تماضر بنت حزيم السهمية ، كان من السابقين للاسلام قيل اسلم بعد عشرة شهد بدر واحد والمشاهد كلها ، توفي في خلافة معاوية 25هـ الموافق645 م.
- العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سبق ذكره ، ص44.

(*7)خباب بن الارت بن جندله, وهو عربي لحقه ا ستعباد في الجاهلية فبيع بمكه, من السابقين للاسلام كان سادس ستة في الاسلام عذب في الله شهد بدر واحد توفى بالكوفة سنة37 هجرية الموافق سنة658م.
- ابن الاثير:المصدر السابق , ص 316

(*) عبد الله بن مسعود بن غافل بن خبيب بن شمخ بن قار بن مخزوم بن كامل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هزيل بن خزيمة بن مدركة بن الياس ، حليف بن زمرة ، كان اسلامه قديماً مات بالمدينة سنة 32 ه الموافق سنة 653م دفن بالبقيع .
- ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفوة الصحابة مصدر سبق ذكره، ص671

(*1) عامر بن فهيرة:كان مولى من مولاى الازد, اشتراه ابوبكر , وكان يرعى غنمه, اسلم وعذب فى الله شهد بدروأحد.
– البلاذرى : مصدر سبق ذكره ص83

(164) الزغبى ، محمد عفيف : مرجع ذكره ، ص 42 – 43 .

(*2) بلال بن رباح : مولى ابي بكر الصديق أمه حمامه ، وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم , من السابقين الاولين الذين عذبوا في الله شهد بدر ، شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة, يقال انه حبشى وقيل من مولدي الحجاز توفى بداريا في سنة 20هجرية الموافق سنة641م.
- الذهبى: سير اعلام النبلاء , مصدر سبق ذكره , ص 347

(165) الاصبهاني : مصدرسبق ذكره ص 343.

الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا[166].وكذلك كان الصحابة الذين أسلموا معه في هذه المرحلة إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب , فاستخفوا فيها فبينما سعد بن أبي وقاص ونفر من الصحابة, يصلون في شعاب مكة إذ اطلع عليهم نفر من المشركين ، منهم أبو سفيان بن حرب وغيره فسبوهم وعابوهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي جمل فشجه فكان هذا أول دم أريق في سبيل الله[167] .

ثانياً : دار الأرقم المؤسسة السرية التربوية الأولى :-

من الأساليب الدقيقة التي أتبعها الرسول(صلى الله عليه وسلم) لحماية الدعوة الإسلامية في مهدها ، اتخاذ هذا المقر السري بعد أن حدثت تلك المصادمة في شعاب مكة , وكان ذلك المقر وتلك الدار هي دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كانت على جبل الصفا, بعيدة عن أعين المشركين ، وبقي فيها (صلّى الله عليه وسلم) قرابة أربع سنوات، يعلم أصحابه أصول الدين والصلاة وتدارس معهم القرآن الكريم ،وقد اجتذب خلالها نفر من قريش، وكان ذلك أسلوب إداري منه (صلّى الله عليه وسلم) يواكب تلك المرحلة[168].

ولكي يتم بناء نواة اجتماعية وتربوية ودينية ؛ فكان(صلّى الله عليه وسلم) حذراً يقظاً في تعامله مع الكفار ليس خوفاً منهم , فهو يعلم بأن الله يحميه من الناس , ولكن لكي يحمي المسلمين الذين أمنوا معه، وتعليماً للدعاة والقادة من بعده وإرشادًا لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والحذر وعدم التهور- قبل اكتمال النضج- من الوصول إلى الغايات والأهداف،وفي هذا المجتمع الجاهلي الوثني الذي يتخبط في الظلمات، بدأ (صلى الله عليه وسلم) بهذه المجموعة الصغيرة والصفوة المختارة والتي تضاعفت مع مرور الأيام ، كان (صلّى الله عليه وسلم) يتعهدهم ويعلمهم ليصل بهم إلى أن يكون كل واحد منهم أمة تنقذ أمة وقد كان ذلك ، فكان يتعامل معهم(صلّى الله عليه وسلم) في دار الأرقم كالنبتة الطيبة يحيطها بما يحميها بالأسلاك والأشواك ويحفظها، حتى تستوي على عودها، فكانت دار الأرقم ذلك المشتل الذي نبتت فيه هذه النبتة الطيبة ، وكانت مقراً سرياً للقاء القائد مع هذه الجماعة المؤمنة بعيداً عن عيون قريش ، ولم يأمرهم بنقد غيرهم ومواجهتهم، بل كان حريصاً

---

(166) ابن سيد الناس : مصدر سبق ذكره ، ص 125 .
(167) ابن الاثير :الكامل فى التاريخ, مصدر سبق ذكره ، ص 258
(168) ابو طالب : مرجع سبق ذكره ، ص 28.

على تعليمهم أمور دينهم أولاً وإرشادهم وصناعتهم ليكونوا مصلحين، وقد كان هذا المقر مجهولاً لاستخبارات العدو سنين عديدة، وهذه المرحلة وبهذه السياسة النبوية لم يثر هذا الوضع غضب قريش، مادام القوم مكتفين بأنفسهم منكفين على ذواتهم ، ولا يوجد صدام بين الجماعة والمجتمع ، فالفكرة غير معلنة إلا لمن يرجو انضمامه وإسلامه. [(169)].

قام (صلّى الله عليه وسلم) ، بتربية نخبة من أصحابه وتأهيلهم وإعدادهم للقيادة ، وكما قام كذلك بتدريبهم جميعاً على الجندية ، فصار المجتمع النبوي كله قادة وجنود[(170)]، وكانت دار الأرقم مرحلة إعداد وتكوين, واختار (صلّى الله عليه وسلم) خيرة الرجال، وأحسن الزعامات ،وركز على القيادات المؤثرة ، وقال(صلّى الله عليه وسلم): (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) .[(171)]

وذلك لأن طبيعة الدعوة في بدايتها تحتاج إلى هذه العناصر الصلبة، ولا يمكن أن تقوم دولة اذا لم يوجد رجال وجماعة قوية تحميها وتضحي من أجلها[(172)].

وقد نجحت السرية تماماً في إخفاء مركز الدعوة- دار الأرقم- عن عيون قريش فقد كان الطفل والمرأة من أوعي الناس لذلك، فهذا على بن أبي طالب ابن العاشرة يستخدم السرية في وصول أبا ذر الغفاري[(*)] إلى الرَّسول (صلّى الله عليه وسلم) ليعلن إسلامه فقال له: (فإذا أصبحت فاتبعني فان رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق ماء وفي رواية : قمت إلى حائط كأني أصلح نعلي وأمضي أنت ، فإن مضيت فأتبعني حتى تدخل مدخلي) وأما المرأة ، فأم جميل بنت الخطاب[(*1)] عندما ضرب المشركون أبا بكر الصديق فأغمي عليه فلما أفاق سأل أمه وكانت مشركة ، بقوله ما فعل رسول الله عليه وسلم؟، فقالت: والله ما لي علم بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت :إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أذهب معك إلى ابنك فقالت

---

(169) جمال ، عبده احمد نعمان : العمل السياسي في السيرة النبوية من البعثة حتى الدولة،رسالة ماجستير غير منشورة (كلية التربية حنتوب, جامعة الجزيرة ، 1999م) ص

(170) ناجي سعيد: التربية القيادية في العهد النبوي وأساليبها، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية حنتوب،,جامعة الجزيرة, 2000م، ص 12.

(171) مسلم: صحيح مسلم،ج7، ص 181.

(172) علي هزاع: الفقه السياسي للرسول صلى الله عليه وسلم في تكوين الدولة، رسالة ماجستير غير منشورة، حنتوب ، الجزيرة، 2000م، ص 44.

[(*)] ابوذر الغفاري : هو جندب بن جناده بن سفيان بن عبيد من بنى غفار ، صحابي من كبارهم ، قديم الاسلام ، يضرب به المثل في الصدق مات بالربذه من قرى المدينة .

- محمد حجى : مصدر سبق ذكره : ص 218

(*1)ام جميل بنت الخطاب:أخت عمر بن الخطاب امراة سعيد بن زيد واسمها فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشية العدوية ، اسلمت قديماً أول الاسلام مع زوجها سعيد قبل اسلام اخيها عمر , كانت سبب اسلام اخيها عمر .

- ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره : ج3 : ص 395

:نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنقاً[*2] فدنت منه أم جميل وقال لها : فما فعل رسول الله(صلّى الله عليه وسلم)؟ قالت هذه أمك تسمع قال:فلا شيء عليك منها،قالت سالم صالح قال: فأين هو ؟ قالت: في دار الأرقم[173] . كانت دار الأرقم لفتى من بني مخزوم[*3] يدعي الأرقم بن الأرقم وهي الدار ، المعروفة اليوم بدار الخيزران ، وكان لهذا الاختيار سمة أمنية فالدار تقع على جبل الصفا[*] في مكان يزدحم فيه الناس ، مما يقلل فرصة المراقبة والرصد ، وكذلك تميز هذا الاختيار بخاصية أمنية أخرى وهي أن قبيلة الأرقم بن أبي الأرقم كانت من القبائل المنافسة لقريش مما يبعد عنها الشبهة إذ لا يستقيم عقلاً أن يختفي محمد وصحبه في دار عدوهم,كما إن حداثة إسلام الأرقم مع حداثة سنه لا تلفت الأنظار إلى داره، إنما تتجه الأنظار إلى دور كبار القوم أمثال أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم ، واتخذت في الدار كافة الاحتياطات الأمنية، فكان هناك ثقب في الباب ينظر به إلى الطارق[174] .

حفظت السرية الدعوة في مهدها من الدخلاء والمنافقين, فلا يجسر على الدخول فيها إلا من قويت همته ولانت عزيمته، كما عملت السرية على معالجة الصفات العربية الذميمة وما فيها من حدة الطبع ، وصلابة الفكر، والنصرة القبلية ، فمالت للخضوع إلى صوت العقل والجماعة ، والميل إلى المرونة وتألف بذلك مجتمع صحي جيد من الأحرار والعبيد والرجال والنساء ، قد امتزجت أفكاره ومشاعره بدماء هذا الدين الجديد ، وكان لذلك كله أثره في تهذيب الذات العربية وظهورها في شخصية إسلامية جديدة ، وكان لهذا التفاعل الحيوي في الصفات النقية الجديدة أثره في صلابة البناء النفسي لشخصيه المسلم في سنوات الاضطهاد العشر في مكة[175] .

كان (صلّى الله عليه وسلم) يدرك أن حياته على الأرض محدودة ، لذلك لابد له من إعداد جيل من الرواد ، يعي مقومات الرسالة وأهدافها ، ويحملها منطلقا بها إلى الأفاق عبر تتابع الزمان وتنوع المكان ، فالرسالة عالمية القصد تربط ابن الأرض بأسباب السماء ، وتحكم علاقة المخلوق بخالقه ليعمر الحياة بهدية

(*2) هو الساقط المهزول من الرجال ، وقيل ايضا دنق وجهه اي هزل وقيل دنق وجهه اذا صفر لونه .
- ابن منظور: مصدر سبق ذكره ، ص 105 .
(173) الصالحي : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثاني ، ص 315 – 139 .
(*3) بنو مخزوم: بطن من لؤى بن غالب بن قريش ،وكان لمخزوم من الولد عمرو وعامر وعمران منهم خالد بن الوليد وابو جهل عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعيد بن المسيب المشهور .
القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، مصدر سبق ذكره ، ص 135.
(*) جبل الصفا هو مكان مرتفع من جبل ابي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الاسود والمشعر الحرام .
- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ص411.
(174) عوض الكريم: مرجع سبق ذكره ، ص 49 – 50.
(175) غنيمى: مرجع سبق ذكره ، ص 102.

تعالى ،ويعيش في حمي محمي ، وحرم محرم،وكان توفيق الله تعالى لرسوله(صلّى الله عليه وسلم) كبيراً في إعداد جيل الرواد الأوائل الذين تمثل فيهم عمق الإيمان ، وكفاية الإنسان وكل ما يمكن أن يتوافر لبني البشر من ذكاء وقدرة وحكمة وحنكه , وشجاعة وتضحية، ليحملوا تبعات الرسالة من بعده ، فقد اعتمد اختياره لهؤلاء الرواد على المقومات دون النظر إلى ما تعارف عليه الناس من تقسيم الطبقات ، لذلك حرص صلى الله عليه وسلم على التركيز على النوعية، لذلك نجد الرعيل الأول فيهم السيد الشريف المتربع على ذروه الشرف عشيرته وقومه ، والعبد الرقيق ، والثري العريض الثراء، والفقير المعدوم المحروم ،والقوي الشديد البطش، والضعيف المهزول، والذكي الواسع الحيلة ومحدود القدرات والبسيط ، ولم يكن سبك هذا النسيج المتنافر من الناس في المقومات، المتباين في الصفات والقدرات المتباعد في الطبقات , ممكناً لولا حكمة القائد محمد(صلّى الله عليه وسلم)، الذي صاغ هذا النسيج من هذا التفاوت، فغدا الجميع وكأنهم خلقوا متساوين في معالي المقومات، وأرفع القدرات, وخصال الرجولة ،وخلال البطولة وخلائق النبل ، وصدق العزم، وطهارة النفس, وحسن الخلق والسلوك على أساس من الندية الكاملة، جمعت الجميع أخوه الإسلام وحملت هذا الإخوة التقدير والتوقير والتكريم، فأصبح الأرقاء المتعبدون أنداداً في الإخوة للسادة وسادة السادة والفقراء المدقعون غدوا أنداداً للأغنياء الموسرين ، والبسطاء غدوا أنداداً للأقوياء وهذه التربية النبوية أنتجت أجيالاً رائعة من القادة، فمنهم من على المستوي السياسي والمستوي العسكري والمستوي الاقتصادي ، والمستوي العلمي فهكذا كانت تربية القائد محمد(صلّى الله عليه وسلم) ونفعها للبشرية جمعاء[176].

إن أغلبية الرواد الأوائل من المسلمين كانوا شباباً من الجنسين وأن الإسلام انتشر في الأفاق بحرارة إيمان الشباب, وتضحية وشجاعة وإقدام الشباب ، فقد كان صلّى الله عليه وسلم يستشيرهم في كل أمر, وقد كان لهم الصف الأول في الحرب في كل موقعة، ولهم الرأي المسموع في كل موقف[177].ومما تجدر الإشارة إليه أن الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة دخل فيها الأشراف والموالي والنساء والأطفال والعظماء في قومهم، ولم يكن لرسول الله (صلّى الله عليه وسلم) سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين , وليس معه مال أو ما يُرغبْ فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوي الثروة منهم ثروتهم ويتبعوا الرسول (صلّى الله عليه وسلم) ليأكلوا من فضل ماله، بل كان الكثير منهم واسع الثروة عظيم الجاه في قومه كأبي بكر وغيره، والذين اتبعوه من الموالى اختاروا الأذى والتعذيب والجوع والموت والمشقات مع إتباع الرَّسول (صلّى الله عليه

---

(176) الاسمر: مرجع سبق ذكره ، ص 175 – 177 .

(177) نفس المرجع ، ص 178.

وسلم) ، بحيث لو تبعوا سادتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشه ،اللهم ليس ذلك إلا من هداية الله وسطوع نور الحق عليهم حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة،وما عليه الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) من الهدي والحق[178] .

2/ الدعوة في مرحلة الجهر والإعلان :-

أولاً:إنذار عشيرة النبي(صلَّى الله عليه وسلم) الأقربين :-

استمرت الدعوة السرية ثلاث سنوات، صقلت الكوادر الإسلامية وتعلمت، وأصبحت مؤهله لأن تحمل عبْ الدعوة, وأن تتحمل كل معاناة بكل صبر فلما نزل قوله تعالى:(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[*] يقول جل ثناؤه لنبيه محمد (صلَّى الله عليه وسلم): وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة رحم وحذرهم من عذابنا أن ينزل بكفرهم، عن أبي هريرة عن النبيّ(صلَّى الله عليه وسلم) أنه قال :لما أنزل الله تعالى :(وأنذر عشيرتك الأقربين) قال النبي(صلَّى الله عليه وسلم): (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ياعباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) [179]

قال ابن عباس لما نزل قوله عز وجل (وانذر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) حتى صعد الصفا فهتف :يا صباحاه فقالوا :من هذا الذي يهتف ،قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه،فقال (يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب) فاجتمعوا إليه فقال :(أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجيل أكنتم مصدقي) قالوا ما جربنا عليك كذباً قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال : فقال : أبو لهب تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا . فنزلت هذه السورة(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)[*1] [180] فالرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) دعا عشيرته إلى الإسلام والإيمان وكانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ

---

(178) بك: مرجع سبق ذكره، ص31.
(*) سورة الشعراءالاية214
(179) مسلم ، مصدرسبق ذكره ،ج1، ص 133
(*1) سورة المسد الاية 1 .
(180) مسلم : المصدر السابق ، ص 134

، فقد فاصل الرَّسول (صلّى الله عليه وسلم) قومه على دعوته ، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم ، إن عصبيه القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الأتي من عند الله ، وفي ذلك التنظيم اهتمام منه صلّى الله عليه وسلم بدرجات المسئولية التي بدأت من بيته ثم أهله من الأعمام والعمات(181).بعد ما قاله(صلّى الله عليه وسلم) للقوم على جبل الصفا انصرفوا ، فبعضهم يفكر فيما قال النبي صلّى الله عليه وسلم وبعضهم يضحك مما قال أبو لهب ، وأنصرف النبي (صلّى الله عليه وسلم) وفي نفسه الشريفة ما فيها، فهذا الذي واجهه بذلك الكلام هو عمه الذي يرجو نصرته، ولكن لم يترك الخالق نبيه يعانى من قول عمه ، وإنما أنزل في عمه قرآنا يتلي على مدي الأيام والسنين ، فلم يعد يعرف في مكة إلا بكنيته الجديدة (أبو لهب) (182).

لم يفقد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأمل ولم تضعف عزيمته، وكان نزول تلك الآيات في أبي لهب بمثابة تشجيع للنبي(صلّى الله عليه وسلم) ، وكانت سابقة فال ومقدمه بشارة بأن الله سينصر الحق على الباطل ويتم نوره لو كره المشركون، فكان ذلك حافزاً قوياً على النشاط في إذاعة دعوة الحق والمضي في سبيلها مؤمناً كل الإيمان وواثقاً كل الثقة بأن يدي أبي لهب هالكتان وأنه لن يتمكن من العبث بالدعوة والوقوف في سبيل انتشارها بين أهل مكة (183).

وبعد هذا الموقف تمايزت الصفوف بين عشيرته (صلّى الله عليه وسلم) منها من أسلم كعلي بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب ، ومنهم من بقي على دين قومه وساند النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) كأبي طالب ومنهم من عاداه كأبي لهب ، فكسب محمد(صلّى الله عليه وسلم) فأبو طالب أقسم على منعه وهو ذو مكانة عالية في عشيرته ومعظّم في قريش ، ولا أحد يجسر على خفر ذمته ، أو يعتدي على من يحميه ، هكذا ضمن الحماية والرعاية رغم اختلاف الدين، وفي الوقت نفسه قام بإنذار عشيرته كما أمره الله(184)

ثانياً : دعوة العامة :-

كان أول إعلان الإسلام في عشيرة النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) الأقربين ، ثم انتقل إلى دعوة العامة ، وفي ذلك مسايرة من الدعوة الإسلامية إلى ظروف التكوين العربي ، آنذاك ، فقد أمر النبي (صلّى الله

---

(181) مهدي , رزق الله أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص 63.
(182) الاسمر : مرجع سبق ذكره ، ص 115
(183) النجار، محمد الطيب: القول المبين في سير سيد المرسلين (دارالندوة الحديثة, بيروت , 1978م) الجزء الاول ، ص 115.
(184) الاسمر:المرجع السابق ، ص 111 – 112 .

عليه وسلم) أن يدعو عشيرته الأقربين ، لأنهم بحكم عصبية الرحم والقرابة سيقفون إلى جانبه ويؤازرونه ويكونون عوناً له،وحماية في وجه العصبيات الأخرى على الأقل في بداية الدعوة ، وقد كان فقد وقف عمه ابي طالب عوناً له رغم أنه لم يعتنق دين الإسلام (185) .

ثم انتقل (صلّى الله عليه وسلم) إلى مرحلة أخرى, وهي مرحلة تنفيذ الأمر الإلهي دون تردد ، وأمر أن يعرض عن المشركين ولو كانوا أقرب الأقربين كابي لهب وغيره ،وفي ذلك قضاء على كل مظهر من مظاهر العصبية القبلية المنافية للدين الإسلامي ، وبهذا النمو يفتح المجال واسعاً لنجاح الدعوة بغلبة العقيدة على غلبة العصبية (186).

كان كفار قريش غير منكرين لما يقوله محمد (صلّى الله عليه وسلم)، وكان إذا مر بهم في مجالسهم يشيرون إليه ويقولون:غلام بني عبد المطلب يكلم السماء ، فلم يزالوا كذلك حتى أظهر عيب ألهتهم ، وأخبر أن أباءهم ماتوا على الكفر والضلال , وإنهم في النار فأبغضوه وعادوه وآذوه (187).

أمر الله تعالى رسوله (صلّى الله عليه وسلم) ، أن يصدع بما جاءه منه وأن ينادي الناس بأمره وأن يدعو إليه ، و لما أعلن الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) الإسلام بين قومه ،أجمعوا على خلافه وعداوته إلاّ من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل، وقد حدب على الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ومضي رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) على أمر الله مظهراً لأمره ، ولا يرده عنه شيء (188).

لما رأت قريش أن رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ،لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب ألهتهم ورأوا أن عمه آبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم؛ مشي رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا : (يا آبا طالب إن ابن أخيك قد سب ألهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه) فقال: لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ، وأستمر الرَّسول(صلّى الله عليه وسلم) في دعوته ، يظهر دين الله ويدعو إليه ،ثم تطور الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) بينها , فتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضا عليه، ثم جاءوا مرة أخرى إلى أبي طالب فقالوا: (يا أبا

(185) الشريف ، احمد إبراهيم : الدولة الإسلامية الأولى (دارالقلم, القاهرة ، 1965م) ص 33.
(186) عوض الكريم : مرجع سبق ذكره ، ص 54.
(187) البلاذرى : مصدر سبق ذكره ص 53.
(188) هارون, عبد السلام محمد ، تهذيب سيرة ابن هشام (مكتبةالسنة ,القاهرة - 1979م) ص 54 – 55.

طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا, وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب ألهتنا حتى تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين) ، ثم انصرفوا عنه فبعث أبو طالب إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فقال له :(يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا : لي كذا وكذا ـ للذي كانوا قالوا له فأبق عليَ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق) فظن[189].رسول الله (صلَّى عليه وسلم) أنه قد بدأ لعمه فيه بَدَاء، وإنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم): يا عم (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) ثم استعبر رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) فبكي ثم قام، فلما ولي ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي ، فاقبل عليه رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) فقال: (اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أ تخلى عنك أبداً) فأظهرت قريش عداوتها للمسلمين واتفقوا بينهم على من في القبائل من أصحاب محمد (صلَّى الله عليه وسلم) الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله(صلَّى الله عليه وسلم) منهم بعمه أبو طالب، وقد قام أبو طالب حين رأي قريش تصنع ذلك في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى حماية ومنع الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم)، فاجتمعوا إليه، وأجابوه إلا أبو لهب رفض بشدة[190].

د- أساليب قريش لدحر القيادة النبوية :-

في تاريخ الرسل والأنبياء الذين يرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى الناس نجد أنهم يحصلون على أنواع من الإيذاء والعذاب، ومحمد صلَّى الله عليه وسلم خير الرسل والأنبياء وجد كثيراً من صور الإيذاء حتى يبعد عن مهمته تلك , لكنه صبر حتى أظهر الله سبحانه وتعالى دينه في الأرض، وأنشأ أول دولة إسلامية في الأرض تقوم بشرع الله تعالى، وقريش عندما رأت أن أثر هذه الدعوة لم يكن محدوداً، قامت في وجه محمد (صلَّى الله عليه وسلم) وأخذت تمارس أساليب لدحر هذه الدعوة بصور كثيرة منها [191].

1/ الاتِّهام بالجنون:-

---

(189) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص100 .
(190) نفس المصدر , ص100 ، 101 ، 102 .
(191) أبو طالب:مرجع سبق ذكره، ص 35.

وفي ذلك نزل قوله تعالى:(وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)(*)وقد أجابهم الله تعالى بقوله:(مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (*1) فكانوا ينادونه بالجنون حتى يبعدوا الناس عنه(192).

2/الاتّهام بالسحر:-

في ذلك قوله تعالى:(وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (*) .وقال تعالى: (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً) (*1)وقد تحير الوليد(*2) بن المغيرة فيما يصف به القرآن الكريم ، فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه المعاندين ، فقال لهم : (يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وأن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً...) ومع استبعادهم أنه كاهن أو شاعراً,أو ساحر فإنهم اتفقوا على أن يقولوا للناس إنه ساحر،وأنزل الله في الوليد (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ)(* 3) ثم أخذوا يلتقوا الناس الوافدين على مكة يحذرونهم من أمر محمد, وشاء الله أن تصدر العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها (193).

3/الاتّهام بالكذب:-

قال تعالى :(وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)(*4),وقالوا : إن القرآن من عند البشر (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (*5).

4- أسلوب السخرية،والاستهزاء ،والضحك ،والغمز،واللمز، والتعالي على المؤمنين:-

يقول الله تعالى عن سخريتهم من الذين أمنوا :(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)(*6) ويقال أن هناك امرأة قالت للرسول (صلّى الله عليه وسلم) ساخرة مستهزئة :(إني لأرجو أن

(*) اسورة الحجر,الآية (6)
(*1) سورة القلم, الآية (2)
(192) أبو طالب ، المصدر السابق ، ص 35 .
(*) سورة ص ,الآية (4)
(*1)سورة الفرقان , الآية (8).
(*2)الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمروبن مخزوم بن يقظة , يكنى ابا عبد شمس ,احد المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم, مات بعد الهجرة,ودفن بالحجون.
- البلاذرى: مصدرسبق ذكره ، ص 60
(*3) سورة المدثر الآية (23 – 24) .
(193) الطبرى، محمد بن جرير:,تاريخ الرسل والملوك(دارالمعارف,الفاهرة,1960 م) ص412
(*4) سورة ص الآية (4) .
(*5) سورة النحل الآية (103) .
(*6) سورة الأنعام الآية (53) .

يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً) فأنزل إليه تعالى :(وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) (*7)

قال النضر بن الحارث (*) مستهزئا:اللهم أن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم فنزلت:(وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)(*1) .

وقال الله تعالى عن ضحكهم وغمزهم :(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ)(*2) .

ومن منطلق الاستعلاء والسخرية ، قال المشركون للنبي(صلّى الله عليه وسلم) : (لا نرضي بمجالسة أمثال هؤلاء – يعنون بلال وخباب – فاطردهم عنك) فهم النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) بذلك طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم فأنزل الله : (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) (*3) (194).وذلك تكبر وتعالي على فقراء المسلمين .

5/ طلب المعجزات من الرّسول(صلّى الله عليه وسلم) :-

ومن ذلك قولهم :(وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ) (*4) وقولهم :(وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ) ولذا أمر الله الرّسول (صلّى الله عليه وسلم) أن يقول لهم كما جاء في الآية نفسها(...سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً)(*5)

(*7) سورة الضحى الآيات (1-3) .

(*) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار من قريش صاحب لواء المشركين ببدر كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شيا طينها له إطلاع على كتب الفرس ابن خالة النبي(صلى الله عليه وسلم)

– الزركلي: مصدر سبق ذكره, ص33 .

(*1) سورة الأنفال الآية (32 -33) .

(*2) سورة المطففين الآية (29 – 31) .

(*3)سورة الأنعام الآية (52) .

(194) الطبري: تفسير الطبرى, مصدر سبق ذكره ،ج11 ص 374 – 376 .

(*4) سورة الفرقان الآية (7 – 8) .

(*5) سورة الإسراء الآية (90 – 91) .

وسألوه أن يسير لهم جبال مكة ، ويقطع لهم الأرض ليزرعوها ويبعث لهم من مضى من الآباء الموتى ، ليسألوه عن صدق محمد ورد الله عليهم في قوله :(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً) (*6) أي لا أصنع من ذلك إلا ما شاء الله(195) .

لقد كان طلبهم على وجه العناد لأعلى وجه طلب الهدى والرشاد فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا قال ابن عباس رضي الله عنهما :(سأل أهل مكة رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحى عنهم الجبال، فيزرعوا – أي يزرعوا مكانها – فقيل له : إن شئت أن تستأنى(*) بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا ، فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم، قال: لا ، بل أستاني بهم)، فانزل الله تعالى :(وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا)(*1) (196) .

6/ المساومات :-

لقد حاولت قريش من خلال هذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية ، في منتصف الطريق ، وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه ، ويترك النبيّ(صلّى الله عليه وسلم) بعض ما هو عليه قال تعالى :(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)(*2) .

و قالوا له أعبد إلهتنا يوماً ، ونعبد إلهك يوماً ،فأنزل الله تعالى سورة الكافرون :(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)(*3) وحسمت هذه المساومة الهزيلة ، لقد ساوموا عمه فيه ، حين اقترحوا على عمه أبو طالب أن يعطوه واحد من أبناء المشركين بدلاً عن محمد(صلّى الله عليه وسلم) فيأخذوه ويقتلوه لكنه رفض وبشدة هذا العرض من الكفار(197).

7/ الترغيب :-

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب ، فأرسلت عتبة بن ربيعة الذي قال للرسول (صلّى الله عليه وسلم) : (يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من

(*6) سورة الرعد الآية (31) .
(195) مهدي ، رزق الله أحمد : مرجع سبق ذكره،ص 18 .
(*) تستأني : هي من الاستئناء وهو بمعنى التأني فاستأنى الشي انتظر اوانه وتمهل .
- مسعود، جبران ، معجم الرائد ،(دار العلم للملايين ،1992) ص54 .
(*1) سورة الإسراء الآية (59) .
(196) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، مصدر سبق ذكره ،ج17 ص 476
(*2) سورة القلم الآية (9) .
(*3)سورة الكافرون الآيات (1- 6) .
(197) مهدي ، رزق الله أحمد ،مرجع سبق ذكره،ص102.

أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه) [198].

ذ- صور من تعذيب قريش للرسول القائد (صلَّى الله عليه وسلم) والمسلمين:-

عندما لم تثمر كل الأساليب السابقة في صد ودحر النبي (صلَّى الله عليه وسلم)القائد وأصحابه عن دينهم لجأت قريش إلى تعذيب الرَّسول(صلَّى الله عليه وسلم) والمسلمين .

1- تعذيب الرَّسول (صلَّى الله عليه وسلم) القائد :-

لقد استفحل إيذاء المشركين للرسول(صلَّى الله عليه وسلم) في الفترة العلنية ، لغضبهم منه حين أضحي يظهر شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة ، قال أبو جهل لقومه لأجلسن لمحمد غداً بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو أمنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) ينتظره، وغدا رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) كما كان يغدو, فقام يصلى، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعله، فلما سجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره , حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ؛ لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه [199].

عن عروة بن الزبير[*] قال : سألت عمرو بن العاص [*1] فقلت : أخبرني عن أشد شيءٍ صنعه المشركون برسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) ، قال :(بينما النبي (صلَّى الله عليه وسلم) يصلي في حجر

---

(198) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ،ج2 ص 131 .

(199) ابن هشام: مصدرسبق ذكره , ص 136

(*) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب الإمام عالم المدينة أبو عبدالله القرشي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولد سنة 23ه .

- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مصدر سبق ذكره، ص 421.

(*1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، اسلم قبل الفتح ، أمير مصرفى خلافةعمر رضى الله عنه ومعاوية بن ابى سفيان, يكنى أبا عبد الله .

- العسقلاني : الاصابة فى تمييزالصحابة , مصدر سبق ذكره ،ج4 ص 650 .

الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط[*2] ، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) ، وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيِّنات من ربكم)[200].

ومن الذين كانوا يؤذون النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) أبو لهب بن عبد المطلب عمه (صلّى الله عليه وسلم)، فكان أشد عليه من الأباعد، فكان يرمي القذر على بابه لأنه كان جاراً له فكان الرَّسول (صلّى الله عليه وسلم) يطرحه ويقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا،وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب[*] فكانت كثيراً ما تسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتتكلم فيه بالنمائم، وخصوصاً بعد أن أنزل الله تعالى فيها وفي زوجها سورة المسد[201].

عن عبد الله عمر[*1] قال :(بينما رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يصلي عند البيت و أبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جذور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جذور فيأخذه فيضعه على كتفي محمد إذا سجد ، فانبعث أشقي القوم فأخذه ، فلما سجد النبيّ(صلّى الله عليه وسلم) وضعه بين كتفيه قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض وأنا قائم أنظر, و لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) والنبيّ (صلّى الله عليه وسلم) ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فاخبر فاطمة بنته (صلى الله عليه وسلم) فجاءت وهي جويرية – بنت صغيرة – فطرحت عنه ، ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضي النبيّ(صلّى الله عليه وسلم) صلاته رفع صوته ، ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثاً ، وإذا سأل سأل ثلاث ، ثم قال النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ثـم قال : اللهم عليك بأبي جهل بن هشـام وعتبة بن ربيعـة[*2].

(*2) عقبة بن ابي معيط : هو عقبة بن ابان بن ابي عمرو بن اميه وكان يكنى ابا الوليد ، كان اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذى له ، اسر يوم بدر وقتل وصلب.
- البلاذري : مصدر سبق ذكره , ص 65 – 66 .

(200) ابن كثير : السيرة النبوية, مصدر سبق ذكره ، ص 470 .

[*] ام جميل بنت حرب بن أمية:هي اروى زوجة ابي لهب وهي ام جميل العوراء: نزلت في زوجها وفيها سورة المسد
- شكوال, خلف بن عبد الملك : غوامض الاسماء المبهمة الواقعة في مبثوث الاحاديث المسنده (عالم الكتب, بيروت ، 1407) تحقيق د. عز الدين على السيد . محمد كمال الدين عز الدين : ص 191

(201) بك: مرجع سبق ذكره ، ص 19 .

[*1] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط, الامام القدوة شيخ الاسلام ، ابو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ، اسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع ابيه و لم يحتلم, اول غزواته الخندق وهو ممن بايع تحت الشجرة, بيعة الرضوان, روى علماً كثيراً نافعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابيه وعن ابي بكر وعثمان وعلى وغيرهم.
- الذهبى: ,سير أعلام النبلاء , مصدر سبق ذكره : ج3 : ص 204

[*2] عتبة بن ربيعة : هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف يكنى ابا الوليد ، قتل يوم بدرالموافق سنة 623م قتله على بن ابي طالب عليه السلام وكان عمره سبعون سنة.
- البلاذري : مصدر سبق ذكره , ص 67

ومنهم أيضاً شيبة بن ربيعــة [*]، والوليد بن عتبة ، ومنهم ايضاً أمية بن خلف[*1] وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه. فوَالذي بعث محمد بالحق لقد رأيت الذين سمي صرعي يوم بدر سنة 623م) [202].

روي أن آبا جهل[*2] اعترض رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) فأذاه وشتمه ، ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان التميمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ، ثم أنصرف عنه ، فعمد إلى نار لقريش عند الكعبة ، فجلس معهم ولم يلبث حمزة[*3]بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يرجع إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نار من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعزُّ قريش وأشدها شكيمة ، وكان يؤمنذ مشركاً على دين قومه ، فلما مرّ حمزة بمولاة عبد الله بن جدعان - و كان رسول الله(صلَّى الله عليه وسلم) قد رجع إلى بيته - ، قالت له : (يا آبا عمارة لو رأيت ما لقي إبن أخيك محمد من أبي الحكم أنفاً ، وجده هاهنا فآذه وشتمه وبلغ منه ما يكره، ثم أنصرف عنه ولم يكلمه محمد) فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله تعالى به من كرامته فخرج سريعاً لا يقف على أحد ، كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت، معداً لأبي جهل أن يقع به ، فلما دخل المسجد الحرام نظر إليه جالساً في القوم، فاقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة شديدةً ، وقامت رجال من قريش إلى حمزة لينصروا آبا جهل ، فقالوا : (ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت) ، فقال حمزة : (وما يمنعني ، وقد استبان لي منه ذلك ؟ أنا أشهد أنه رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) وأن الذي يقول الحق ، فوالله لا أنزع ، فامنعوني أن كنتم صادقين) قال أبو جهل :(دعوا آبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً)، وتم حمزة إسلامه .

(*) شيبه بن ربيعة بن عبد الشمس ويكنى أبا هاشم كان شيبة يجتمع مع قريش فيما تكيده لرسول الله ﷺ من الأذى غير أنه لا يتولى ذلك بيده قتل يوم بدر ، قتله عبيدة بن الحارث وكان شيبة أثنى من عتبة بثلاثة سنين.

- البلاذري ، مصدر سبق ذكره ، ص 67.

[*1] امية بن خلف : هو امية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو يقال له الغطريف قتل يوم بدرالموافق سنة 623م وهو من اشراف قريش في الجاهلية ، أمه صفية بنت اسد عمرو بن علاج بن ابي ابي سلمه الثقفي .

- الزبيرى, ,مصعب بن عبدالله بن مصعب : نسب قريش (دارالمعارف,القاهرة ,بدون تاريخ نشر) ص 128

(202) البيهقي: دلائل النبوة ، مصدرسبق ذكره ، ص 166 ..

[*2] أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ، كناه النبى صلَّى الله عليه وسلم آبا جهل لأنه كان يكني قبل ذلك آبا الحكم ، وقال لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل .

- البلاذرى: , المصدر السابق ، ص 57 .

[*3]حمزة بن عبد المطلب: هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة أرضعتها ثويبة مولاه أبي لهب،ولد قبل النبي ﷺ بسنتين، اسلم السنة الثانية من البعثة قتله وحشي سنة 3 هجرية الموافق 624م فى موقعة أحد.

- العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، مصدر سبق ذكره ,ج2، ص 122.

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون منه [203]. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يقول : (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : إما عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام) فكان أحبهما إلى الله : عمر بن الخطاب[204] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه قال لعمر رضي الله عنه : لم سميت الفاروق ؟ فقال : (أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدري للإسلام ، وأول شيء سمعته من القرآن ووقر في صدري ! (الله لا اله إلا هو له الأسماء الحسنى) فما في الأرض نسمة أحب إلى من نسمة رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) فسألت عنه ؟ فقيل لي : هو في دار الأرقم ، فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوساً في الدار، ورسول الله (صلّى الله عليه وسلم) في البيت، فضربت الباب ، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة : مالكم ؟ فقالوا : عمر ، فخرج رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) , فأخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة لم أتمالك أن وقعت على ركبتي فقال : ما أنت بمنته يا عمر؟ فقلت: أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد الحرام فقلت :يا رسول ألسنا على الحق، أن متنا أو حيينا ؟ قال : بلي فقلت: ففيم الخفاء والاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجنَّ فخرجنا صفين ، حمزة في صف ، وأنا في صف – له كديد ككديد الطحن – حتى دخلنا المسجد الحرام ، فلما نظرت إلينا قريش إصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط ، فسماني رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) بالفاروق) [205].

2/ تعذيب المشركين للمسلمين :-

أشتد تعذيب المشركين على كل من أسلم، فلقد أوذي أبو بكر الصديق عندما قام خطيباً يوماً في المسجد الحرام ، فضربه المشركون ضرباً شديداً، والذي ضربه هو عتبة بن ربيعة فكان يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تميم – قومه – يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر رضي الله عنه، وحملوه في ثوب إلى منزله ولا يشكون في موته وأقسموا لئن مات أبو بكر (رضي الله) عنه ليقتلن عتبة بن ربيعة[206].

أجتمع يوماً أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القران يجهر لها به قط ، فأرادوا أن ينشروا القران بين أهل بين مكة، وقالوا: نريد رجلاً ليسمعوه؟ فقال عبد الله بن مسعود[*] (رضي الله عنه) : أنا، فقالوا: أنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم أن أرادوه قال: دعوني فإن الله سيمنعني، فغدا ابن مسعود حتى أتي المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها, فقام عند المقام ثم قرأ من القران رافعاً به صوته ثم استقبلهم يقرؤه فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا: إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد(صلّى الله عليه وسلم)، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ،فقال ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً ، فقالوا:لا حسبك ، قد

---

(203) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 128 – 129 .

(204)الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى : صحيح الترمذي (دار احياء التراث العربي ، بيروت،بدون تاريخ نشر) ،ج5 ،ص 617 .

(205) عبد الوهاب : مرجع سبق ذكره ، ص 90 – 91 .

(206) ابن كثير : البداية والنهاية ، مصدر سبق ذكره ،ج3 ص 40 .

أسمعتهم ما يكرهون[207]. ومن الذين عذبوا بلال بن رباح الحبشي، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه سيده في الرمضاء على وجهه وظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقي على صدره ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى, وكان يقول وهو يعذب أحد أحد ، فراه أبو بكر فأبدل أمية بغلام كافر وأخذ بلال فاعتقه[208].،وكان بني مخزوم يخرجون عماراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، ويعذبونهم بحر الرمضاء فمر بهم النبيّ(صلّى الله عليه وسلم) فقال : صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة ، فمات ياسر في العذاب ، وأغلظت امرأته سمية[*] القول لأبي جهل ، فطعنها في قلبها بحربه فماتت وهي أول شهيدة في الإسلام , وشددوا على عمار العذاب بالحر تارة وبوضع الصخرة على صدره تارة أخرى وبالتغريق بالماء تارة أخرى فقالوا : لا نتركك حتى تسب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً ، ففعل فتركوه ، فأتي النبيّ(صلّى الله عليه وسلم) يبكي ، فقال : ما وراءك ؟ قال شر يا رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) ؟ كان الأمر كذا وكذا قال : كيف تجد قلبك؟ ؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فقال: يا عمار إن عادوا فعد[209].

عن سعيد بن جبير [*1] قال : قلت لعبد الله بن عباس : (أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟) قال: (نعم والله ، كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : اللات والعزي إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، حتى إن الجعل[*2] ليمر بهم فيقولون له : هذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم افتداءً منهم مما يبلغون من جهده) [210].

كل ذلك يعايشه (صلّى الله عليه وسلم) وهو صابر محتسب ، ويخطط وينظم في أوج تلك الايذاءات والاضطهادات، ويدعو الناس إلى الإيمان به ، رابط جأشه ، ضابط لعزيمته وإرادته لم تنهار قواه العقلية ولا النفسية ، ولم يستسلم للأمر ، ولم ينهزم ولم يتعجل النتائج لأنه يعلم أن أي دعوة لابد أن تلاقي عقبات ، وكل قيادة لابد أن تحصل على منغصات ومضايقات ، وأي إدارة جديدة لابد أن تحصل على مثبطات ، فلم يكن أمام الرَّسول صلّى الله عليه وسلم إلا الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، والصبر والثبات والاستمرار في الدعوة مع التخطيط الجيد ، والتنظيم المحكم والقوة في التبليغ بالأدلة والحجج والبراهين القوية ويستمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم في دعوته غير متسرع النتائج،بل عمل بفكر سليم وإيمان راسخ[211].

---

(207) الطبري : تاريخ الرسل والملوك, مصدر سبق ذكره ، ص 549 .
(208) ابن الأثير :الكامل في التاريخ, مصدر سبق ذكره ، ص 261 .
(*) سمية بنت خيا ط : والدة عمار بن ياسر , كانت أمة لابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وكان ياسر حليف لابي حذيفة فزوجه سمية فولدت له عمار فاعتقه ابو حذيفة ، وكانت من السابقين الى الاسلام قيل : كانت سابع سبعة في الاسلام ، وكانت ممن عذب في الله عز وجل اشد العذاب فهي أول شهيدة في الاسلام وكان قتلها قبل الهجرة .
- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره , ص 1369
(209) نفس المصدر, ص 261.
(*1) سعيد بن جبير: الامام الحافظ المقرئي المفسر الشهيد ابو محمد ويقال: ابو عبد الله الاسدي الوالي الكوفي احد الاعلام، كان من كبار العلماء، كان يختم القران فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان قتله الحجاج بن يوسف.
- الذهبي: سير اعلام النبلاء , مصدرسبق ذكره, ج4 : ص 221
(*2) الجعل : دابة سوداء من دواب الارض قيل هو ابو جعران .
- ابن منظور : مصدر سبق ذكره ، ص110.
(210) هارون, : مرجع سبق ذكره ، ص 66 – 67 .
(211) أبو طالب : مرجع سبق ذكره،ص 39 .

جاء خباب بن الأرت إلى رسول (صلّى الله عليه وسلم) وهو متوسد برده في ظل الكعبة، وقد بلغ بخباب ما بلغ به فقال:(يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟) ، فقعد (صلّى الله عليه وسلم) ووجهه محمراً فقال : (إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهـرن الله تعالى هذا الأمـر حتى يسـير الراكـب من صنعـاء[*] إلى حضـرموت[*1] لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) [212]. يقول ذلك (صلّى الله عليه وسلم) وهو يري نفسه وقومه من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وهم في غير قليل من العذاب والتنكيل، قد لا يتصور القائد ما سيكون عليه حاله وأصحابه من رخاء مستقبلاً إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه في بادي الأمر ، إلا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) [213].

وخلاصة القول إن الله سبحانه وتعالى حفظ محمداً (صلى الله عليه وسلم) في طفولته وهيأه لمهمة الرسالة منذ نعومة أظافره، وذلك ببعض الوسائل مثل حادثة شق الصدر, وسلام الحجر عليه , ثم الرؤيا الصالحة في المنام، ثم التضرع للتعبد في غار حراء، وأخيراً نزول جبريل عليه بالوحي ومعرفة الكهان والنصارى واليهود بعلاماته ثم هيأ له الله تعالى مقابلة ورقة بني نوفل، ويجد الراهب فيعلم أنه نبي هذه الأمة، فعندما نزل عليه الوحي وجد السيدة خديجة خير زوجة وخير وزيرة وكان لها الأثر الكبير في ثباته، ووقفت بجانبه حتى أطمأن وعمل على نشر الدعوة ، وذلك بأساليب إلهية تدل على حكمة ذكائه، فبدأ بالمرحلة السرية ثم الجهرية بعد ذلك، وكان لهذا الأسلوب الأثر الكبير في حفظ الدعوة والمسلمين في تلك المرحلة، فوقفت قريش ضده وحاولت إرجاعه بوسائل متنوعة منها التعذيب والتكذيب والاتّهامات، لكنه صبر حتى تحقق له النصر من عند الله تعالى.

---

[*] صنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة وهي باليمن بينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً،وصنعاء قصبة اليمن، وأحسن بلادها ، تشبه دمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها ، وقيل سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالخ وهو الذي بناها وطول صنعاء ثلاث وستون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة .

- الحموي ، مصدر سبق ذكره، ص 426.

[*1] حضرموت: ناحية واسعة في شرق عدن بقرب البحر , وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف, وبها قبر هود عليه السلام، وهي مخلاف من مخاليف اليمن بينها وبين البحر رمال، وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخاً وقيل مسيرة احد عشر يوماً.

- نفس المصدر, ص 270.

(212) البخاري: مصدر سبق ذكره،ج3، ص 1398.

(213) أبو طالب : المصدر السابق، ص 39 .

الفصل الثالث

هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) القائد إلى المدينة والحفاظ على الدعوة والأمة الإسلامية

أ - الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة[*]:-

لما رأي رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) القائد ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالي، ثم حماية عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد, وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) فخرج بعد ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم , فكانت أول هجرة في الإسلام, وكان عدد المهاجرين الأوائل إلى الحبشة عشرة[*1] [214] وكان خروجهم إلى الحبشة في رجب سنة خمس من البعثة الموافق سنة 615م , وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين راكب وماش ، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة[215] وكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية [*2], وقيل قد أبطأ على الرسول (صلّى الله عليه وسلم) خبرهما فقدمت امرأة وأخبرته أنها رأتهما , وقد حمل عثمان امرأته على حمار[216].

اختار الرسول (صلّى الله عليه وسلم) الحبشة لتكون هي دار الهجرة ؛ وذلك لأن بها ملك عادل يسمي النجاشي[*3]لا يظلم عنده أحد ، فخرج المهاجرون متسللين سراً ، وذلك في سنة 615م حتّى وصلوا ميناء الشعيبة[*]، فخرجت قريش في أثرهم حتّى جاءوا البحر حيث ركبوا ولم يدركوا منهم أحداً، و قدموا أرض

(*)الحبشة تقابل بلاد الحجاز وبينهم البحر ، واكثرهم نصارى وهي ارض طويلة عريضة ، مادة من شرق النوية الى جنوبها : وهم الذين ملكوا اليمن قبل الاسلام أيام الأكاسرة ، ملكها يسمى النجاشي وهي كلمة حبشية تستخدم لقب للملك وتعنى العطية. .

- زناتى, أنور محمد على : عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب(جامعةعين شمس, مصر ، بدون تاريخ نشر)، ص 112

(*1)اوائل المهاجرين الى الحبشة هم : عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وامراته سهلة بنت سهل بن عمرو ، الزبير بن العوام ، مصعب بن عمير ، عبد الرحمن بن عوف ابو سلمة بن عبد الاسد ، وامراته ام سلمه بنت ابي امية بن المغيرة ، عثمان بن مظعون وكان على راس هؤلاء المهاجرين ، عامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حتمة ، ابو شبره بن ابي رهم ، ويقال ابو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ويقال هو أول من قدمها ، سهل بن بيضاء .

- ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 164 – 165

(214)نفس المصدر، نفس الصفحة.

(215)ابن كثير : البداية والنهاية ، مصدر سبق ذكره ص 84

(*2) رقية : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امها خديجة ، تزوجها عتبة بن ابي لهب قبل النبوة قيل قبل الهجرة ثم طلقها بعد ان طلب منه ابوه ذلك عند ما نزل في ابي لهب اية قوله تعالى (تبت يدا ابي لهب) فاسلمت مع امها واخوتها ثم تزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه الى الحبشة الهجرتين ، وولدت من عثمان عبد الله وبه كان يكنى ولكنه توفى وعمره ست سنوات ثم هاجرت الى المدينة بعد عثمان ومرضت قبيل بدر وخلف النبي صلى الله عليه وسلم عليها عثمان ، فتوفيت والمسلمون ببدرالموافق سنة 623 م.

-الذهبي : , سير أعلام النبلاء, مصدر سبق ذكره ,ج 5 ، ص 250 – 251

(216)العسقلاني : فتح الباري ، مصدر سبق ذكره ، ج 7 ، ص 188

(*3)النجاشي : اسمه اصحمة ، كلمة نجاشي تعني اسم لكل ملك يلي الحبشة ، ويقال انه اعتنق الاسلام في وقت متأخر ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب عليه.

- البلاذري : مصدرسبق ذكره الجزء الاول ، ص 438 .

(*) الشعيبة : هي مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكه ومرسى سفنها قبل جده وقيل قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن .

- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 51

الحبشة فجاوروا بها خير جار، أمّنهم على دينهم وعبدوا الله، كان عدد المهاجرين قليل، ولكن كان لهجرتهم هذه شأن عظيم في تأريخ الإسلام؛ فهي كانت برهان ساطع لأهل مكة يدل على منتهى إخلاص المسلمين وتفانيهم في احتمال ما يصيبهم من المشقات والأذى والخسائر والحرمان في سبيل التزامهم بالدين وتمسكهم بعقيدتهم(217).

الرسول (صلّى الله عليه وسلم) القائد فضّل الحبشة دون سواها مهاجراً للمسلمين ؛ لما عرفه عن النجاشي من عدل وصلاح مما يتيح للمسلمين في دياره أن يتمتعوا بالأمن والطمأنينة، وينعموا بحرية العبادة , وكذلك كانت الحبشة مكاناً تجاريًا معهوداً لقريش ، بل كانت من الأماكن التي تروج فيها تجارتهم وتتسع فيها أرزاقهم؛ ومن هنا كان من الطبيعي أن يجد فيها المسلمون المهاجرون مصدر رزق وسعة فيه عن طريق التجارة، وما كانوا سيعيشون عالة على أحد، بل عاشوا في رخاء وأمن واستقرار(218).

من أسباب اختيار الحبشة للهجرة إنها أرض صدق، وشعبها أهل كتاب وهم أقرب للمسلمين من الوثنين يقول الله تعالي: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)(*1) كذلك لهم معرفة بدين الإسلام،وذلك لأن الإنجيل بشّربه فقال تعالي:(وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)(*2) وملكها لا يظلم عنده أحد، فعدل الحاكم ومساواته في المعاملة بين الرعية حقوقاً وواجبات من أهم مظاهر الأمن لأي دولة(219).

عاد بعض المهاجرين من المسلمين إلى مكة بعد هجرة الحبشة الأولى، وذلك حيث بلغهم إسلام أهل مكة، وكان خبر يفتقد الصحة ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره ، أن رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) جلس يوماً مع المشركين فأنزل الله تعالي:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)(*3) فقرأها عليهم حتّى ختمها فسجد وسجد من كان هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس, وأن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم، فطار ذلك الخبر وانتشر حتّى بلغ مهاجرة الحبشة بها فظنوا صحة ذلك، فأقبلت منهم طائفة وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل(220).

---

(217)رضا, محمد : مرجع سبق ذكره ، ص 114
(218) سالم : مرجع سبق ذكره ، ص 68
(*1)سورة المائدة الاية 82
(*2) سورة الصف الاية 6
(219)عوض الكريم: مرجع سبق ذكره ،ص 66
(*3) سورة النجم الاية (1- 2)
(220)ابن كثير:السيرة النبوية , مصدرسبق ذكره ج2 ، ص 56 – 57

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي (صلّى الله عليه وسلم) بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، و المشركون سجدوا معارضة للمسلمين إذ أنهم سجدوا لمعبودهم ، أو أنهم سجدوا بلا قصد أو خافوا من مخالفة المسلمين في ذلك المجلس، و سجد الجن والإنس إي لم يكن السجود خاص بالإنس بلا قصد ، وعن الأسود بن يزيد(*)عن عبد الله رضي الله عنه قال: (أول سورة نزلت فيها سجده (والنجم) قال: (فسجد رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً) [221] .

هذه الهجرة هزت أركان المجتمع المكي ، وأوجدت للمسلمين مكاناً يأمنون فيه على أنفسهم من ويلات العذاب، مما جعل قريش تستخدم سلاح الإشاعة فقد أشاعوا أن قريش قد أسلمت مستغلين سجود بعض المشركين عندما سجد رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، بعد تلاوة قوله تعالي: (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)(*1) إلا إنهم وقد صدعت روعة الحق عنادهم وأجبرتهم على السجود رغم أنفهم، فعندما انتبهوا افتروا كذباً على رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وقالوا: إنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وكان هذا بغرض إيهام هؤلاء المهاجرين باستتباب الأمن في مكة بعد حالة الود والتقارب التي مثلها هذا الافتراء ، فانطلي الموقف عليهم فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس العام (الخامس من البعثة) إلا أن الحقيقة تكشفت لهم عندما وجدوا الاضطهاد والتعذيب مستمر ولم يتمكنوا من دخول مكة إلا في حماية من أجارهم من عظماء القوم, ومنهم من رجع إلى الحبشة ولم يدخل مكة[222].

من الأسباب التي شجعت هؤلاء المهاجرين على العودة إلى مكة بعد ثلاث أشهر فقط من خروجهم أنهم كانوا قليلو العدد وفي الكثرة بعض الأنس، خصوصاً أنهم كانوا من أشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة فكانوا يتوقون إلى العز والسؤدد الذي كانوا يتمتعون به[223].

ب/ هجرة المسلمين الثانية إلى أرض الحبشة:-

لما قدم أصحاب النبي (صلّى الله عليه وسلم) مكة من الهجرة الأولى أشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً فأذن لهم رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) في الخروج إلى أرض الحبشة

(*) الاسود بن يزيد: هو الاسود بن يزيد النخعي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً ولم يره ، ادرك الجاهلية معدود في كبار التابعين الكوفيين كان فاضلاً ، عابداً ، ورعاً ، سكن الكوفه .
- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 20
(221)البخاري : صحيح البخارى, مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 1842
(*1) سورة النجم الاية 62
(222)عوض الكريم: مرجع سبق ذكره ،ص 68 – 69
(223) بك : مرجع سبق ذكره, ص 45

مرة ثانية ، فكانت هجرتهم الثانية أعظم مشقة ، ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى , وأشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم فقال: (عثمان بن عفان يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الثانية إلى النجاشي ، ولست معنا) فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلم): (أنتم مهاجرون إلى الله وإليّ , لكم هاتان الهجرتان) الذين هاجروا كان منهم الرجال وكان منهم النساء ، فأقام المهاجرون بالحبشة عند النجاشي بأحسن جوار(224).

هجرة هؤلاء الأشراف جعلت قريش تتعقبهم في مأواهم الجديد، ولأنها خشيت أن تحدث حماية النجاشي لهم تأثيراً إيجابياً على الدعوة في داخل شبة الجزيرة العربية، فيتزايد إتباع هذا الدين وتشتد شوكة هؤلاء المهاجرين فيعودوا إلى مكة أكثر قدرة في تقديم كل صور العون لدعوة الإسلام، كان لهذه الهجرة أثر كبير في نشر الإسلام، فقد ذاع بين العرب إن فريقاً من القرشيين هاجروا إلى الحبشة فراراً بدين تلقوه عن نبي بمكة، وبذلك سمع عن الدين الإسلامي من لم يسمع به من قبل ، كما أنه كان لخروج هذه الجماعة أثر في تخفيف حدة عداء قومهم، لأنهم رأوا أن كل فريقاً أضطهد أو أذي في دينه هاجر به إلى مكان بعيد(225).

وتقول أم سلمة بنت أميَّة (*) زوج الرسول (صلّى الله عليه وسلم) :(لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالي لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريش ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين منهم جلدين, وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدما كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريق إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة (*)وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم، وطلبوا منهما أن يدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن يكلما النجاشي فيهم ، ثم يقدما إلى النجاشي هداياه ويطلبا منه أن يسلمهم إليهما، فخرجا حتى قدما على النجاشي والصحابة عنده بخير دار عند خير جار, فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي, وقالا : لكل بطريق منهم أنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم, وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم

---

(224)ابن سعد : مصدر سبق ذكره ، ص 207

(225)السهيلي : مصدر سبق ذكره، ص 153

(*)ام سلمة بنت امية : هي هند بنت ابي امية المعروف بزاد الراكب بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند ابي سلمة بن عبد الاسد بن هلال وهي اول ظعينه دخلت المدينة مهاجرة ، هاجرت من قبل إلى الحبشة.

- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره ص 629

(*) عبد الله بن ابي ربيعة : هو عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي كان من اشراف قريش في الجاهلية ، اسلم يوم الفتح ، وكان من احسن الناس وجهاً.

- ابن الاثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره ، ص 606

ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلي بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم[226].

ثم أنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: (أيها الملك أنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم ، لتردهم إليهم وهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليه وعاتبوهم فيه)، وكان عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص لا يريدا أن يسمع النجاشي كلامهم , فقالت بطارقته حوله: (صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم)، فغضب النجاشي و قرر عدم تسليمهم إلى وفد قريش ، ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ، فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا،نظم المسلمون أنفسهم واختاروا جعفراً أميراً ومتحدثاً عنهم ليرد على دعاوى مندوبي قريش, وقالوا لا نقول في عيسى إلا ما قاله فيه القرآن الكريم، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله, فقال النجاشي للصحابة ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا دينى ، ولا في دين أحد من هذه الملل[227] فقال جعفر: (أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف حتّى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم , وحسن الجوار , والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش, وقول الزور, وأكل مال اليتيم, وأمرنا بالصلاة والصيام ، وعدد عليه أمور من الإسلام ، قال: فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك) فقال النجاشي: (هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟) قال : نعم ، فقرأ عليه سطراً من(كهيعص)[*] فبكي النجاشي وأساقفته، وقال النجاشي :(إن هذا والذي جاء به عيسي يخرج من مشكاة واحدة،انطلقا، والله لا أسلمهم إليكما أبداً) [228].

---

(226)ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 33

(227)نفس المصدر، ص 335

(*) سورة مريم : الاية 1

(228)ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 335

لما خرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من عند النجاشي ، قال عمرو بن العاص والله لأتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم[*1]، فقال: له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقي الرجلين، لا تفعل فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا قال والله لأخبرنه بأنهم يزعمون أن عيسي بن مريم عبداً، ثم غدا عليه من الغد ثم ذكر للملك إنهم يقولون في عيسي بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم ليسألهم عنه، ولم ينزل بهم مثلها قط فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسي بن مريم اذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم:(ماذا تقولون في عيسي بن مريم؟) فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (صلّى الله عليه وسلم)هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول) فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال: والله ماعدا عيسي بن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته حين قال ما قال: فقال:(إن نخرتم،والله أذهبوا فأنتم شيوم[*2]بأرضي، من سبكم غرم ما أحب أن لي دبراً [*3]من ذهب واني أذيت رجلاً منكم،ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجه لي بها، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي، فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه)، فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به[229].

هذا هو موقف النجاشي إزاء من هاجر إلى أرضه من المسلمين وفي هذا الجو الآمن عاش المهاجرون حياة طيبة بعيدة عن الاضطهاد والذل ، والظاهر أن هذا النجاشي كان رجلاً راشداً نظيف العقل، حسن المعرفة بالله، سليم الاعتقاد في عيسي بن مريم (عليه السلام)، وكانت مرونة فكره هي سر المعاملة الجميلة التي وفرها لأولئك اللاجئين لمملكته الفارين بدينهم من الفتن[230].

هكذا لم تنجح وفادة قريش للنجاشي ، وباءت محاولاتهم بالفشل وجاءت بنتائج عكسية على المشركين ، إذ زاع بين العرب أن فريقاً من القرشيين هاجروا إلى الحبشة فراراً بدين تلقوه عن نبي بمكة ، وبذلك سمع عن الدين الإسلامي ممن لم يسمع به من قبل فأغرى هذا الأمر بعض المسلمين الذين يكتمون إسلامهم من

(*1) خضراءهم: خضراء كل شي اصله واختصر الشي قطعه من اصله والعبارة تعني انه يريد قطع الحياة عنهم
- ابن منظور : مصدر سبق ذكره ، ص243.
(*2)شيوم : الشيوم الآمنون .
ابن هشام : المصدر السابق ص,337
(*3) دبراً من ذهب : بلسان الحبشة جبل من ذهب.
- نفس المصدر، نفس الصفحة
(229)ا بن هشام : المصدر السابق , ص 337
(230)الغزالى : مرجع سبق ذكره ص102

الإسراع بالهجرة أو الدخول في الإسلام عندما علموا أن المسلمين في الحبشة أصبحوا في مأمن من عذاب قريش[231].

ت/ المقاطعة العامة وحصار الشعب :-

أشتد المشركون على المسلمين كأشد ما كانوا حتّى بلغ المسلمين الجهد وأشتد عليهم البلاء ، واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) علانية، فلما رأي أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب ، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) شعبهم, فمنهم من فعل ذلك حمية، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) واجتمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتّى يسلموا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتّى يسلموه للقتل ، فلبث بنو هاشم في شعبهم بمنى ثلاث سنوات، وأشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)،وكان كل هم أبي طالب في هذه المرحلة حماية رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) من الاغتيال ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فاضطجع على فراشه، حتّى يرى ذلك من أراد مكراً به واغتياله، فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه، أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه[232].وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين نبيء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الموافق سنة616م، وكان خروجهم في السنة العاشرة الموافق سنة619م[233]. كتبت قريش هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ألا يبايعوا أحداً من بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يعاملوهم حتّى يدفعوا إليهم محمد فيقتلوه، وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً ثم حصرت قريش رسول الله(صلّى الله عليه وسلم)وبني هاشم في الشعب ثلاث سنين حتّى أنفق رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ماله وأنفق أبو طالب ماله، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها وصاروا إلى حد الفقر والفاقة [234].

---

(231)سرور: مرجع سبق ذكره ، ص 76

(232)البيهقي : دلائل النبوة, مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص 191

(233)ابن سيد الناس : مصدر سبق ذكره 168

(234)اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ص 115

بلغ الضيق والضنك بالمحصورين وانقطع عنهم العون ، وقلّ الغذاء حتّى بلغ الجهد أقصاه، فسمع بكاء أطفالهم من وراء الشعب، وعضتهم الأزمات العصيبة،ولم يبق لدي المحصورين شيء يؤكل ، فكان أحدهم يأتي السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب ويقول: (يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتّى لا يدركوا معكم شيئاً، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن لاخسار عليكم) فيزيدون عليهم السلعة قيمتها أضعافاً حتّى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضايقون من الجوع، وليس في يده شيء يطعمهم به،ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتّى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً، ذاق المسلمون ومن معهم من بني هاشم كل أصناف الحرمان، ويروى سعد بن أبي وقاص قوله:(خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول فإذا قطعة من جلد بعير يابسة، فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ورضضتها بالماء فقويت بها ثلاثاً)[235].

ثم جاءت عملية نقض هذه المقاطعة وهى مرحلة جديدة تمثل انتصاراً حاسماً لرسول الله(صلّى الله عليه وسلم) بعد هذه المحنة القاسية، التي لم تكن تملك الدعوة فيها إلا حماية قائدها، والصبرعلى الجوع والعطش والمعايشة مع أنصارها المشركين دون إحراز أي تقدم في مجال الدعوة،إن نقض المقاطعة تحدي لقريش وغطرستها[236]،فبعد ثلاث سنين تلاوم رجال من قريش من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، فأجتمع أمرهم من ليلتهم على نقص ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه[237].

ثم بعث الله عز وجل على صحيفتهم_ التي فيها المكر برسول الله (صلّى الله عليه وسلم) _الأرضة فلم تدع فيها اسماً هو لله إلاّ أثبتته فيها ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان فذكر رسول الله (صلى عليه وسلم) ذلك لأبي طالب، فقال له أبو طالب: أ ربك أخبرك بهذا؟ قال:نعم,فقال ابوطالب :فوالله مايدخل عليك أحداً,ثم خرج إلى قريش, فقال يامعشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا,فهلّم صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخي فأنتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها ؟ وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي , فقال القوم : رضينا ,فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا ,فإذاهي كما كما قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم),فزادهم ذلك شراً[238], فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم[*] نحن برآء من هذه الصحيفة ،

---

(235)الغزالي : مرجع سبق ذكره ، ص 107
(236)الغضبان :مرجع سبق ذكره ، ص 62.
(237)البيهقي : مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص191
(238)ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص377
(*) هم : ابو البحتري والمطعم بن عدي ، زهير بن ابي امية بن المغيرة وزمعه بن الاسود ، هشام بن عمرو .
- البيهقى:دلائل النبوة ، مصدر سبق ذكره ,ص191

فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل[239]إن إصرار قريش على غيها قد برز سافراً بعد هذه الحادثة ولكن الهزيمة الداخلية في أعماقهم كانت كبيرة، وإصرار الملأ هذا لم يكن ليقنع كل شخصيات مكة وبروز هذا الظلم الصارخ حدأ ببعض الشخصيات في مكة أن تتحرك لدفع هذا الظلم، وأدي هذا إلى تفجير الوضع داخل مكة وفي صفوف المشركين الأمر الذي أدي إلى تمزيق الصحيفة وإنهاء الحصار[240].

ث /وفاة السيدة خديجة بنت خويلد وأبو طالب بن عبد المطلب:-

في العام العاشر للبعثة الموافق سنة 619م بعد خروجهم من الشعب توفي هذين الشخصين المهمين في حياة القائد محمد (صلّى الله عليه وسلم)، كان موت أبي طالب في أول ذي القعدة ويقال: للنصف من شوال وله بضع وثمانون سنة، أن بين موت أبي طالب وموت خديجة بنت خويلد شهر وخمسة أيام، ويقال: خمسة أيام، ويقال: خمسة وعشرين يوما, ويقال: ثلاثة أيام، وكان موتها قبل موته ، ودفنها رسول الله (صلّى

الله عليه وسلم) بالحجون،ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ[241]وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، فعظمت المصيبة على رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) بهلاكهما, فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم):(ما نالت قريش مني شيئاً اكرهه حتّى مات أبو طالب) فوصل الأمر إلى أن ينثر بعضهم التراب على رأسه، وحتى أن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلّى ، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يخرج ذلك على العود, ويقول: أي جوار هذا يا بني عبد مناف! ثم يلقيه بالطريق[242].لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أميَّة [*] فقال:(أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميَّة: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يعرضها عليه ويعيد تلك المقالة حتّى قال أبو طالب في أخر كلامه:علي ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول لا اله إلا الله, فقال (صلّى الله عليه سلم) (والله لاستغفرنّ لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله تعالى في أبي طالب : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [*1] [243].

---

(239)نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(240)الغضبان: المرجع السابق ذكره، ص 6

(241)البلاذري : مصدر سبق ذكره ص 102

(242)ابن الاثير : الكامل في التاريخ , مصدر سبق ذكره 271

(*) عبد الله بن ابي امية بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم, واسم ابي امية حذيفة , وهو اخو ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم ,وامه عاتكة بنت عبد المطلب , أخت عبد الله والد الرسول الله صلى الله عليه وسلم, كان يقال لابيه زاد الركب لانه كان اذا سافر معه احد كان زاده عليه, وكان شديد العداوة على المسلمين, اسلم وشهد فتح مكه وحنين والطائف, ورمى من الطائف بسهم فقتله فمات يؤمئذ.

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة: مصدر سبق ذكره ، ص 581

(*1) سورة القصص الاية56

(243)البخاري : صحيح البخارى, مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 1788

عندما مات أبو طالب وخديجة في عام واحد ، تتابعت المصائب عليه (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان أبو طالب درعاً حصيناً للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام ، كان يسكن إليها (صلى الله عليه وسلم) عند الشدائد والمحن ، فكان ذلك عام حزن عليه (صلى الله عليه وسلم)(244).

ج/ خروج النبي القائد (صلَّى الله عليه وسلم) إلى الطائف(*2): -

لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) من الأذى ما لم تكن تناله منه في حياة أبي طالب، فخرج رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) إلى الطائف، في شوال سنة عشر من النبوة الموافق سنة 619م يلتمس النصرة من ثقيف (*) والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل(245) .

فخرج إليهم ومعه زيد بن حارثة في شوال سنة عشر من بعثته(صلى الله عليه وسلم) لما أنتهي رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ ساده ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة(*1) وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح(*2) فجلس إليهم رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم)(246)فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له نصرته ونصره الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم له: سوف يمزق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الأخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال ثالث: والله لا أكلمك أبداً إن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك، فقام رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله (صلَّى الله عليه وسلم) أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس

---

(244)مهدي، رزق الله: مرجع سبق ذكره، ص 129.

(*2)الطائف : على مرحلتين من مكة وقيل بينهما ستون ميلا وكان اسمها وج سميت بوج بن عبد الله الحي من العمالقة ، ثم سكنتها ثقيف ، فبنوا عليها حائط مطيفا بها فسموه الطائف ، مياهها عذبة وهواؤها معتدل وفواكهها كثيرة .

- الحميري : مصدر سبق ذكره, ص 379

(*) ثقيف : بطن من هوازن من العدنانية وثقيف اسمه قيس بن منبه بن بكر ، وهم من بقايا ثمود ، الثقيف في اللغة الحاذق ، كانت منازلهم بالطائف منهم الحجاج بن يوسف.

- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب , مصدر سبق ذكره ، ص 69

(245)مهدي، رزق الله: المرجع السابق ، ص 130.

(*1) هم:عبد ياليل بن عمرو,ومسعود بن عمرو,وحبيب بن عمرو.

_السهيلي: مصدرسبق ذكره، ج2ص228.

(*2) بطن من بني هصيص من قريش العدنانية ، وهصيص هو بن كعب بن لؤي له من الولد حذافة وسعد .

- القلقشندي : المصدر السابق ، ص141 .

(246)المباركفوري: مصدر سبق ذكره، ص 100.

وألجاؤه إلى حائط لعتبه بن ربيعة وشيبه (*3) بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء من كان يتبعه فعهد إلى ظل حبله(*4) من عنب فجلس فيه[247].

وعندما عاد الرسول القائد (صلّى الله عليه وسلم) من الطائف ، وعزم على دخول مكة، قال له زيد بن حارثة :(كيف تدخل مكة وهم أخرجوك منها) فقال : (يا زيد أن الله تعالى جاعل لما تري مخرجاً, وأن الله ناصر دينه ومظهر نبيه)، ثم أرسل إلى مطعم بن عدى(*) أن يدخل في جواره فقال نعم: ودعا بنيه وقومه وأمرهم أن يلبسوا السلاح وأن يقفوا عند أركان البيت، فدخل رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ومعه زيد بن حارثة حتّى أنتهي إلى البيت الحرام، فقام مطعم بن عدي على راحلته ، فنادي يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم ، فانتهى رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)إلى الركن فاستلمه وصلّى ركعتين وانصرف إلى بيته ومطعم بن عدى وولده مطيفون به[248]

كانت الطائف تبعد عن مكة نحو الخمسين ميلاً سارها محمد صلّى الله عليه وسلم على قدميه جئية وذهاباً[249].

ح/ الرسول القائد (صلّى الله عليه وسلم) يعرض نفسه على القبائل:-

في ذي القعدة سنة عشرة من النبوة الموافق أوائل يوليو سنة 619م عاد رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) إلى مكة بعد الطائف ,وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يعرض نفسه في المواسم على القبائل العربية يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتّى يبين لهم ما بعثه الله تعالي به، وكان أبو لهب يفرق الناس من حوله ، فكان عندما يقف (صلّى الله عليه وسلم)على منازل القبائل من العرب فيقول :(يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن

(*3)شيبه بن ربيعة هو شيبه بن ربيعة بن عبد شمس ويكنى ابا هاشم كان شيبه يجتمع مع قريش فيما تكيده لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى غير انه لا يتولى ذلك بيده قتل يوم بدر ، قتله عبيده بن الحارث بن عبد المطلب وكان شيبة اسن من عتبه بثلاث سنين .

- البلاذري : مصدرسبق ذكره , ص67

(*4) حبلة : نوع من العنب بالطائف بيضاء محددة الاطراف متداحضة العناقيد .

- الحسيني : مصدر سبق ذكره ، ص 6965.

(247)السهيلي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 228

(*) مطعم بن عدي : هو مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ويكني ابا وهب كان اقل اصحابه اذى للنبي صلى الله عليه وسلم ، هو الذي قام بامر بنى هاشم وبنى المطلب حتى خرجوا من الشعب ، مات في صفر سنة 2 هجرية قبل بدر باشهرالموافق سنة 623م.

- البلاذري : مصدر سبق ذكره ، ص 68

(248)ابن سعد : مصدر سبق ذكره ، ص 212

(249)الغزالي : مرجع سبق ذكره ، ص 113

تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتّى أبين عن الله ما بعثني به)، وكان خلفه أبو لهب يقول:(يا بني فلان أن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم من الجن) [250].فهذا هو موقف أبى لهب فقد كان من ألد الأعداء للرسول(صلى الله عليه وسلم)وللمسلمين.

1/ التقاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) بوفد الخزرج عند العقبة[*]:

لما أراد الله تعالي إظهار دينه، وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له، خرج رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة في موسم حج سنة احد عشر من النبوة الموافق يوليو سنة 620م لقي رهطاً من الخزرج, أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا نفر من الخزرج[*1] قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم ، قال: أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا: بلي فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام, وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل علم وكتاب، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم إن نبياً مبعوثاً الآن قد جاء زمانه نتبعه نقتلكم معه، فلما كلم رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : (تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك) ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد أمنوا وصدقوا[251] .

من هنا بدأت بذور الخير والنور تنتشر ، وأبدل الله سبحانه وتعالي رسوله (صلّى الله عليه وسلم) بأفضل من ثقيف، فهم الأنصار الذين أمنوا به دفعه واحدة دون سابق دعوة ، أرسلهم الله تعالي إلى ذلك المكان،

(250)ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص 270

[*] العقبة : هي عقبة بين منى ومكه بينها وبين مكه نحو ميلين وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة ، والعقبة بالتحريك وهو الجبل بعرض للطريق فياخذ فيه وهو طويل صعب الى صعود الجبل .

- الحموى : مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 134

[*1] اسماء النفر من الخزرج (رهط الخزرج) – هم ستة نفر من الخزرج بن زرارة ابن عدس (ابو امامه) وعوف بن الحارث بن رفاعه رافع بن مالك بن العجلان – قطبه بن عامر بن حديده – عقبة بن عامر – جابر بن عبد الله.

- ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ص 277 – 278

(251)ابن سيد الناس : مصدر سبق ذكره ص 205

ولقاهم رسوله (صلّى الله عليه وسلم) فأسلموا وبدأ نور الإسلام في الظهور، وبدأت سحب الظلام تتبدد ففشا الإسلام في ديار الأنصار عندما رجعوا إلى المدينة حتّى لم تبق دار إلا ودخلها الإسلام(252).

2/بيعة العقبة الأولى :-

في العام القادم (الثاني عشر من النبوة)الموافق يوليو سنة 621م قدم من الأنصار اثنا عشر رجلاً (*)إلي الرسول (صلّى الله عليه وسلم) ، منهم خمسة من الستة الذين لقوه وأمنوا به في العام الماضي، فبايع هؤلاء رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) عند العقبة البيعة الأولى، ولم يكونوا قد أمروا بالقتال بعد، فلما حان انصرافهم بعث رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) معهم ابن أم مكتوم(*1) ومصعب بن عمير ليعلما من أسلم منهم القرآن الكريم وشرائع الإسلام، ويدعوا من لم يسلم إلى الإسلام، فنزلا بالمدينة وكانا في ضيافة أبي أمامه أسعد ابن زرارة (*2)وكان مصعب بن عمير يؤمهم، فجمع بهم أول جمعة بالإسلام في هزم حرة بني بياضه في نقيع يقال له نقيع الخضمات (*3) وهم أربعون رجلاً(253).

---

(252)أبو طالب : مرجع سبق ذكره،ص 50.

(*)الرجال هم : اسعد بن زراره ، عوف بن الحارث، معاذ بن الحارث ، رافع بن مالك ، عباده بن الصامت ، يزيد ابن ثعلبه بن خزمه ، عقبة بن عامر بن نابي ، قطبه بن عامر بن حديده ، ذكوان بن عبد قيس بن خلده ، العباس ابن عباده بن نضله ، وهم من الخزرج ، ابو الهيثم بن التيهان واسمه مالك ، عوين بن ساعده وهم من الاوس .

- ابن هشام : مصدر سبق ذكره ج2 ، ص 279 – 280 – 281

(*1) ابن أم مكتوم : مختلف في اسمه فاهل المدينة يقولون : عبد الله بن قيس بن زائده بن الاصم بن رواحه القرشي العامري ، اما اهل العراق فسموه عمرا ، امه هي عاتكه بنت عبد الله بن عنكثه بن عامر بن مخزوم ، من السابقين المهاجرين المسلمين, كان ضرير مؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

- الذهبي : سير اعلام النبلاء , مصدر سبق ذكره ، ص 360

(*2)اسعد بن زرارة : هو اسعد بن زراره بن عدي بن عدس بن عبيد بن ثعلبه بن غنم بن مالك بن النجار ، السيد النقيب لبنى النجار ، ابو امامه الانصاري الخزرجي ، من كبراء الصحابه ، توفى بالذبحه ، لقى النبي صلى الله عليه وسلم بمكه قبل العقبة الاولى بسنة مع خمسه نفر من الخزرج فامنوا به الموافق سنة620م.

- الذهبي: سير أعلام النبلاء المصدر السابق, ص 299 – 300 .

(*3) هزم حره بنى بياضه – نقيع الخضمات : الهزم باجماع اصل اللغة يعني المنخفض من الارض / الحره ارض ذات حجاره سود نخره كانها احرقت بالنار ، بنى بياضه بطن من بطون الانصار وهو بياضه بن عامر بن زريف ، النقيع في اللغة تعني القاع وقيل الموضع الذي يستنقع فيه الماء ، نقيع الحضمات هو من اوديه الحجاز بدفع سيله الى المدينة يسلكه العرب الى مكة.

- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ص 245 ، ج2 ، ج5 ، ص 301 ، ص 405

(253)ابن حزم على بن احمد بن سعد : جوامع السيرة (دارالمعارف, مصر ، 1900م) المحقق احسان عباس الجزء الاول ، ص 72 – 73.

أسلم على يدي مصعب وابن أم مكتوم خلق كثير من الأنصار،فأسلم في جملتهم سعد بن معاذ(*4)

وأسيد بن حضير(*5)

وأسلم بإسلامها جميع بني عبد الأشهل(*) في يوم واحد من الرجال والنساء وما تأخر عن الإسلام إلا رجل واحد وهو الأصيرم(*1) (254).

عن عبادة بن الصامت(*2) قال(بايعنا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) ليلة العقبة الأولي ونحن اثنا عشر رجلاً فبايعناه، بيعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، وذلك قبل أن تفرض الحرب فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة وإن غشيتم شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عذب) قال عبادة في حديث أخر: (بايعنا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلي النفقة في العسر واليسر، وعلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذنا فيه لومة لائم, وعلي أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه ما نمنع أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة) (255).

3/ اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم القائد مصعب بن عمير لنشر الإسلام في يثرب:-

بايع هؤلاء الأنصار الرسول (صلّى الله عليه وسلم) هذه البيعة القوية المليئة بالحيوية والنشاط والرغبة في اعتناق الإسلام ، وقد أختار رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) مصعب بن عمير لهذه المهمة وذلك لمواصفات دينية وإدارية وشخصية وعلمية اجتمعت في مصعب يدركها رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)

(*4) سعد بن معاذ : هو سعد بن معاذ بن النعمان ابن أمرئ القيس ، اهتز عرش الرحمن لموته مناقبه مشهورة هو من الانصار من قبيلة الاوس .
- الذهبي : سير اعلام النبلاء ، المصدر السابق ؛ ،ص 279 – 280
(*5) اسيد بن حضير : هو اسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس الانصارى الاشهلي ، اسلم على يد مصعب بن عمير ، كان ممن شهد العقبة الثانية وهو من النقباء ليلة العقبة ، شهد بدر ، واحد وجرح يوم احد سبع جراحات وكان من اهل الراي.
- ابن عبد البر: مصدر سبق ذكره ص 30
(*) بنو عبد الاشهل : بطن من بنى النبيت من الاوس من الازد القحطانية هم بنو عبد الاشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت .
- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب, مصدر سبق ذكره ، ص 113
(*1) الاصيرم هو عمرو بن ثابت بن وقيش ويقال اقيش ابن زغبه بن زاغوراء بن عبد الاشهل الانصاري امه بنت اليمان اخت حذيفة والاصيرم لقبه استشهد يوم احد فدخل الجنة ولم يصلي صلاة قط .
- العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة : مصدر سبق ذكره , ج4 , ص 608
(254)الذهبي:سير اعلام النبلاء، مصدر سبق ذكره، ص 291.
(*2)عباده بن الصامت : هو عباده بن الصامت بن قيس بن اصرم بن فهر بن ثعلبه خزرجي انصاري شهد العقبة الاولى والثانية كان نقيب على القوافل, شهد بدر واحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره ص 573
(255)الذهبي : سير اعلام النبلاء ، المصدر السابق ، ص 291 – 292

منها، تجويد مصعب لقراءة القرآن الكريم وكذلك الحيوية والشباب والنشاط الذي يتمتع به مصعب بن عمير رضي الله عنه، وغزارة علم مصعب رضي الله عنه، وأن مصعب من الذين عانوا قبل ذلك من مشقة الهجرة فهو ممن هاجر إلى الحبشة، وأيضاً من أسباب اختيار مصعب هو أن الدعوة تحتاج إلى كلمة بليغة وصدر رحب وحكمة سديدة ، وبعد نظر ثاقب فيتجلي ذلك في خلق مصعب رضي الله عنه وقدرته على الإقناع الصحيح فهو الذي يؤلف بين القلوب المتآلفة ويقرب بين القلوب المتنافرة، لذلك كان مصعب مميزاً وخير سفير وخير خبير, فقد كون بحكمته صورة مشرقه عن الإسلام فأسلم على يديه الكثير في عام واحد مع توفيق الله له وإخلاصه، فهو الذي كان سبباً في إقناع وإسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ الذين أسلم بإسلامهما معظم أهل المدينة، إن مصعب ابن عمير رضي الله عنه تسبب في بيعة العقبة الثانية؛ تلك البيعة التي عززت مكانه الإسلام ورسول الله (صلّى الله عليه وسلم) عند أهل يثرب ، فالعقبة الأولي كانت المقدمة التمهيدية لبناء الدولة الإسلامية،أما البيعة الثانية فهي الخطوة الرئيسية، فبعد أن تمكن رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) من معرفة أهل يثرب عن طريق مصعب بن عمير، استطاع بعد ذلك أن يمسك بزمام الأمور فعرض على أهل يثرب بنود جديدة ومواثيق جديدة ، وبقاء مصعب عام كامل في يثرب يدعو إلى الإسلام أسس بذلك نواة للإسلام، بل من الممكن أن نقول أن المدينة كلها أسلمت، لذلك تستحق المدينة طلعة رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، وتأسيس الدولة الإسلامية فيها، وذلك من حكمته (صلّى الله عليه وسلم) في إرساله لمصعب[256].

4/ بيعة العقبة الثانية 622 -623 م :-

كانت بيعة العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من المبعث(622م) [257]وذلك عندما رجع مصعب بن عمير إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند العقبة في أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من الكرامة والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله[258].

ولنأخذ الحديث من بعض ما قاله كعب بن مالك رضي عنه من بيعة العقبة الثانية وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:(خرجنا في حجاج قومنا ، وقد صلّينا وفقهنا ومعنا البراء بن

---

(256)ابو طالب : مرجع سبق ذكره ، ص 51 – 53
(257)ابو الفداء : تاريخ ابي الفداء , مصدر سبق ذكره – ص183
(258)ابن هشام : مصدر سبق ذكره , ص 438

معرور سيدنا وكبيرنا ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج،وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لها .

فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل،خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،نتسلل[259]مستخفين، تسلل القطا،حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا[*] - ومعهم امراتان من نسائهم- فاجتمعوا بالشعب ينتظروا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) حتى جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له[260].

فلما جلسوا كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال :(يا معشر الخزرج – وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار بالخزرج ، خزرجها وأوسها – أن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وأنه قد أبي إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ؛ فأنتم وما تحملتهم من ذلك ، وإن كنتم ترون مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ؛ فإنه في عز و منعه عن قومه وبلده . قال : (فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت) [261]. فتكلم الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) ، وتلا القرآن الكريم ورغب في الإسلام ثم قال (صلى الله عليه وسلم):(تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) ثم أخذ البراء ابن معرور[*1] بيده ثم قال: (والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما

---

(259)الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سبق ذكره، ص 416.

(*)اسماء من شهد العقبة الثانية : اسيد بن حضير – ابو الهيثم بن التيهان – سلمة بن سلامه – ظهير بن رافع – ابو برده بن نيار – نهير بن الهيثم بن نابي – سعد بن حيثمه – رفاعة بن عبد المنذر بن زنير – عبد الله بن جبير بن النعمان – معن بن عدي بن الجد – عويم بن ساعده – ابو ايوب خالد بن زيد – معاذ بن الحارث – عوف ومعوذ وهم بنو عفراء – عمارة بن حزم – اسعد بن زرارة – سهل بن عتيك – أوس بن ثابت بن المنذر – ابو طلحة زيد بن سهل – قيس بن ابي صعصعه – عمرو بن زيد بن عوف – عمرو بن غزية – البراء بن معرور – ابنة بشر بن البراء – سنان بن صيفي – الطفيل بن النعمان – معقل بن المنذر – سعد بن الربيع – خارجه بن زيد – عبد الله بن رواحة – بشير بن سعد – عبد الله بن زيد – خلاد بن سويد – ابو مسعود عقبة بن عمرو – زياد بن لبيد – قروة بن عمر بن وذقه – خالد بن قيس بن مالك – رافع بن مالك – زكوان بن عبد قيس – عبادة بن قيس بن عامر – اخوة الحارث بن قيس – يزيد بن سنان – مسعود بن زيد – الضحاك بن حارثة – يزيد بن خدام – جبار بن صخر – الطفيل بن مالك – كعب بن مالك – سليم بن عامر – قطبة بن عامر – ابو المنذر يزيد – ابو اليسر كعب بن عمرو – صيفي بن سواد – ثعلبه بن غنمه – عمرو بن غنمه – عبس بن عامر – خالد بن عمرو -عبد الله بن انيس – عبد الله بن عمرو بن حرام – جابر بن عبد الله – معاذ بن عمرو بن الجموح – ثابت بن الجزع – عمير بن الحارث – خديج بن سلامه – معاذ بن جبل – عبادة بن الصامت – العباس بن عباده بن نضله – ابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبه – عمرو بن الحارث بن ليده – رفاعة بن عمرو بن زيد – عقبة بن وهب – سعد بن عباده – المنذر بن عمرو, اما المراتان فام عمارة نسيبة بنت كعب
ام منيع اسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي.

- ابن كثير : السير النبوية , مصدر سبق ذكره, ج2 , ص 209 – 210 – 211- 212

(260)الطبري: المصدر السابق، ص 416.

(261)ابن الاثير : الكامل في التاريخ , مصدر سبق ذكره – ص 274

(*1)البراء : هو البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن كعب كنيته ابو بشر ،كان احد النقباء كان نقيب بنى سلمه واول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى في قول واول من استقبل القبلة واوصى بثلث ماله وتوفى أ ول الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

نمنع منه أزرنا(*2), فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب) فأعترض الكلام ، أبو الهيثم(*) بن التيهان فقال يا رسول الله: (إن بيننا وبين الناس حبالا ، وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت أن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟) فتبسم رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وقال :(بل الدم الدم، والهدم الهدم ، أنتم مني وانا منكم ، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم) (262) .

قال العباس بن نضله(*1): (يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنها إذا أنهكت أموالكم وأشرافكم قتلا تركتموه واسلمتوه فمن الأن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والأخرة ، وإن كنتم ترون أنكم مستعلنون به وافون له فهو والله خير الدنيا والأخرة قالوا : فما لنا بذلك يا رسول الله ؟ قال : الجنة ، قالوا أبسط يدك) وبايعوه (263).

قال أسعد بن زرارة(*2) عندما قام الناس للبيعة:(رويدا يأهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل ، إلا ونحن نعلم إنه رسول الله وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف فأما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة ، فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة ، فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا :(أبسط يدك يا أسعد بن زراره فو الله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها) (264).

عندما تأكد لأسعد موقف قومه ضرب على يد الرسول(صلى الله عليه وسلم) مبايعا, ثم تتابع القوم رجلا رجلا لمبايعة الرسول(صلى الله عليه وسلم) مبشرا بالجنة من وفي بها(265).

وقيل إن أول من ضرب على يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبايعا هو البراء بن معرور(266)

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة : مصدر سبق ذكره – ص 108

(*2) أزرنا : تعني النساء والاهل وان العرب تكني النساء بالأزر .

- ابن منظور : مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 16 .

(*) ابو الهيثم بن التيهان : التيهان اسمه مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم حليف بن عبد الاشهل كان احد النقباء ثم شهد بدر قيل توفى سنة 20 او 21 هجرية الموافق سنة641م او642م.

- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره , ج2 , ص 71

(262)ابن الاثير : الكامل في التاريخ , مصدر سبق ذكره – ص 274

(*1) العباس بن نضلة : هو العباس بن عباده بن نضله بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج شهد بيعة العقبة الثانية ، كان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكه وشهد بيعة العقبتين ، قيل كان في النفر الستة من الانصار اسلم قبل سائر الانصار قتل يوم احد شهيد الموافق سنة624م.

- ابن عبد البر : المصدر السابق, ص 244

(263)الذهبي : تاريخ الاسلام – مصدر سبق ذكره – ص 299

(*2)أسعد بن زرارة: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بني النجار كنيته أبو إمامة، وهو من أول الأنصار إسلاماً، وكان أول من قدم بالإسلام إلى المدينة ، شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة بايع فيها وهو أول من صلى الجمعة بالمدينة في هزمه من حره بني بياضة، مات في السنة الأولى من الهجرة في شوال الموافق 622م.

- البلاذري: مصدر سبق ذكره ، ص 44.

(264)صالحي : مرجع سبق ذكره , ج3

(265)ابن سيد الناس : مصدر سبق ذكره , ص 219

(266)ابن الأثير :المصدر السابق, ص 274

وعندما تمت البيعة قال لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخرجوا إلى منكم اثني عشر[*] نقيبا ليكونوا على قومهم , فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج ، وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم , وأنا كفيل على قومي[267].

كان هؤلاء النقباء بمثابة قيادة سياسية تمثل كل فروع الخزرج والأوس , وقيادة عسكرية تستطيع أن تقود قومها إلى حرب الأحمر والأسود من الناس حين يقتضي الأمر ذلك فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا[268].

أرجع رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أمر اختيار النقباء للمسلمين أنفسهم وفي ذلك تعليم إلى الأمة الإسلامية أن تقوم باختيار من يمثلها ، بحرية تامة دون أي تدخل من السلطة العليا في ذلك على خط الهدى النبوي العظيم, فليس في الدنيا أحد أعظم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا أرشد منه رأيا في الوجود ومع ذلك لم يعط نفسه هذا الحق إنما تركه للسبعين من الأنصار ليقوموا بدورهم في الانتخاب الحر المباشر النزيه لممثليهم ,هكذا تمت بيعة العقبة الثانية التي كان لها أثر فعال وكبير في تكوين الدولة الإسلامية الأولى وانتشار الإسلام وحمايته[269].

لقد تمت بيعة العقبة بتخطيط ، وحسن تنظيم من قبل الرسول القائد(صلى الله عليه وسلم)، يدل على براعة إدارية قوية ، وذكاء متقد ، ودراسة عميقة للاستفادة من الظروف الاجتماعية والثقافية وحتى الجغرافية والتاريخية لصالح الدعوة حتى خرجت بيعة العقبة الثانية خروجا ناجحا ، وبذلك تعتبر مفتاح خير للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ومنطلق إشعاع في الدعوة الإسلامية إلى المدينة المنورة , حيث بعدها هاجر رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه رضوان الله عليهم إلى المدينة المنورة التي صارت القاعدة الرئيسية للدولة الإسلامية الأولى ، وتتجلى أسس التخطيط الدقيق في اختيار مصعب بن عمير وإرساله إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن الكريم وشرائع الدين الإسلامي ، وليقوم بنشر الإسلام ، فكان أول سفير

---

[*] اسماء النقباء الاثنى عشر : من الاوس : اسيد بن حضير ، ابو الهيثم بن التيهان – سعد بن حيثمة ، من الخزرج : ابو امامة اسعد بن زرارة – رافع بن مالك الزرقي – سعد بن عباده – المنذر بن عمرو – البراء بن معرور – سعدبن الربيع-عبدالله بن رواحة-عبادة بن الصامت-عبدالله بن عمرو.
-البلاذرى: مصدر سبق ذكره , ص108
(267)عبد الوهاب : مرجع سبق ذكره , ص 88
(268)الغضبان : مرجع سبق ذكره ، ص 152.
(269)نفس المصدر ، ص 153 - 154.

له(صلى الله عليه وسلم) في المدينة[270]ولقد كان اليهود السبب الرئيس في سرعة دخول أهل المدينة في الإسلام وذلك من ثلاثة زوايا :

الأولى :- اعتقادهم بنزول كتاب من السماء على موسى[*]عليه السلام قد هيأ أهل المدينة إلى الاعتقاد بنزول كتاب من السماء على محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ثانيا :- إنهم أذاعوا بين الناس عن قرب مجيء النبي الخاتم وكشفوا عن أوضاعه.

ثالثا :- وعدهم لأهل المدينة من الأوس والخزرج في إتباع هذا النبي (صلى الله عليه وسلم) وقتالهم على ذلك[271] .

إن استقرار مصعب في المدينة وإخلاصه في مهمته على خير وجه هيأ الظروف لنشر الإسلام فلقد قامت الجمعة ، واجتمعت الأوس والخزرج لأول مرة على كلمة سواء، فانحصرت الخلافات بينهم ، وتولدت لغة جديدة من الوفاق حول هذا النبي (صلى الله عليه وسلم)، وشعر الأنصار بضرورة وجود النبي (صلى الله عليه وسلم) بينهم لسلامتهم قبل سلامته، فلم يعد الخلاف حول قدوم النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وإنما صار الخلاف حول شروط هذا القدوم, وهي شروط لم يلح النبي(صلى الله عليه وسلم) على ثبوتها، بل أصر على إقرارها الأنصار أنفسهم[272]شدد العباس عم النبي(صلى الله عليه وسلم) على شروط قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) للمدينة ، حرصا على سلامته (صلى الله عليه وسلم) , وحفظا لكرامته في وجوده بينهم، وكانت شروط هذه البيعة هي حماية النبي(صلى الله عليه وسلم) من أعدائه؛ كما يحمون ويحفظون أبناءهم ونساءهم مهما كان حجم التضحيات في ذلك, والبيعة تنص على حمايته (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة المنورة، وبين لهم العباس أن النبي (صلى الله عليه وسلم) في منعه من أهله، فأبرز بذلك صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) في عزها الذي يليق بها، كما استطاعت الشخصية الإدارية للرسول(صلى الله عليه وسلم)أن تنزه الدعوة ذاتها من كل شائبة تشوبها ، فهو لم يعد أهل المدينة من الوفاء إليه سوى الجنة, لكنه أكد على وقوفه معهم إذا انقلب اليهود عليهم، وبذلك خلص النبي (صلى الله عليه وسلم) دعوته من كل زخارف الدنيا وجعلها خالصة لله تعالى ، وشخصيات العقبة من الشخصيات الهامة في تاريخ الإسلام ، لأنهم حملوا أعباء المخاطرة

---

(270)ابو طالب : مرجع سبق ذكره : ص 59-60

[*]موسى عليه السلام : موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، وام موسى يو خابد، واسم امراته صفوراً بنت شعيب النبي، ولد بمصر ارسل رسولا الى فرعون ، تربى في بيت فرعون عندما القته امه في البحر حينما خافت عليه من القتل بواسطة فرعون فالتقطته اسيا بنت مزاحم امراة فرعون.

- ابن الاثير : الكامل في التاريخ , مصدر سبق ذكره : ص 55

(271)غنيمى : مرجع سبق ذكره ، ص 170.

(272) نفس المرجع، ص170 ,171

بحياتهم أمام رجال مكة،،شهدت المرأة بيعة العقبة ، فتحملت المسؤولية والمخاطرة والتضحية فلم ترض لنفسها السلبية أو التهميش ، ومن أبرز جوانب التخطيط النبوي هو قدوم مصعب بن عمير إلى مكة يخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما تم في المدينة قبل حلول موسم الحج (حج السنة الثالثة عشرة)، وأيضا كانت هناك اتصالات سرية بين النبي(صلى الله عليه وسلم) والمسلمين من أهل المدينة حين وصولهم مكة للمبايعة وتحديد الزمان (الثلث الأول) من الليلة الوسطى من أيام التشريق للاجتماع بهم والمبايعة, وتحديد المكان بالشعب الذي عند العقبة في الجمرة الأولى من منى ، وهو مكان يبدو أنه كان في القديم آمنا ولذلك اختاره(صلى الله عليه وسلم) وقد أحسن(صلى الله عليه وسلم) اختيار الليلة الوسطى من ليالي التشريق حيث لن يعد هناك متسع من الوقت كبير لمشركى مكة لو علموا بالخبر لتنفيذ ما يحلو لهم تنفيذه ، حيث سينفر الحجاج بعد انتهاء الليلة التالية أو التي بعدها بعد انتهاء أعمال الحج ؛ ولذلك لم يتمكن مشركو مكة من تنفيذ مآربهم لأنهم ظلوا بين مصدق ومكذب للخبر إلى أن تحقق لهم صحة الخبر ولكن بعد فوات الأوان(273).

خ /القيادة النبوية والتخطيط للهجرة إلى يثرب :-

إن القيادة النبوية المحمدية تتعدى حدود القيادة العادية، وهذا صحيح ذلك لأن محمد (صلى الله عليه وسلم) مؤيد بالوحي من عند الله تعالى ، قال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(*) إلا أن الله سبحانه وتعالى لم ينف عنه صفه البشرية في قوله تعالى □□) إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ)(*1) فهو(صلى الله عليه وسلم) بشر لكن لا يعلم الغيب وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالإقتداء به في جميع أعماله وأفعاله وأقواله ، قال تعالى :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)(*2) . لذلك فإن محمداً(صلى الله عليه وسلم) قائد بشري يخطط وينظم وينفذ ويستشير أصحابه ، إن قيادة وتخطيط رسول الله(صلى الله عليه وسلم) للهجرة مع حسن تصرفه وذكاؤه وقوة إيمانه وتوكله على الله تقوم على عمله للأسباب وتركة نجاح العمليات لله سبحانه وتعالى وفي ذلك منتهى التوكل على الله (274) .

ثم يأتي اختيار يثرب مكانا لهجرة المسلمين لعوامل جغرافية واجتماعية ، فقد تميزت يثرب بموقع إستراتيجي حصين فهي محاطة بالحرات من جهة الشرق والغرب، والجبال من جهتي الشمال والجنوب مما

(273)ابو طالب : مرجع سبق ذكره , ص 61
(*)سورة النجم الاية 3-4
(*1) سورة الكهف الاية 110
(*2) سورة الاحزاب الاية 21
(274)أبو طالب : المرجع السابق ، ص 101.

يوفر لها حماية أمنية طبيعية ، كما تميزت يثرب بخصوبة التربة ومن أمهات المراكز الزراعية، ووقوعها على طريق القوافل التجارية التي تربط بين اليمن والشام يكفل لها ازدهاراً زراعياً وتجارياً يحققان تنمية اقتصادية، وهو أحد جوهري الأمن في النظرية الإسلامية ، كما يحقق الموقع الحصين جانب من القوة المادية الجوهر الأمني الأخر في ذات النظرية يكمله وجود قوة بشرية مدربة تحمي تلك التنمية وتدافع عن ذلك المكان ، وهي التي اكتملت بهجرة المسلمين من مكة إلى يثرب مع وجود قوة مساندة تعاهدت على الدفاع والحماية تمثلت في الأنصار، كذلك تهيأت ظروف سياسية واجتماعية جعلت اختيار يثرب ملائم, فالعلاقات السكانية بين فئات أهل المدينة - اليهود من جهة والأوس والخزرج من جهة أخرى وبين كليهما من جهة أخرى- كانت متأزمة، تأزما وصفه أحد الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند العقبة بقوله :(إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة من الشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك فستقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك وتعرض عليهم الذي جئناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك) وقد شعر كلا الطرفين إن الالتفاف حول زعامة سياسية واحدة من بينهم صعب المنال وأجمعوا إن هذه الزعامة لا بد أن تأتي من الخارج(275).

بعد ذلك فتح الرسول(صلى الله عليه وسلم القائد) لأصحابه باب الهجرة إلى يثرب بمجرد أن تكونت للإسلام قاعدة هناك ، وذلك بعد بيعة العقبة الثانية ، وقال لهم في ذلك : (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً تأمنون فيها) وقال(صلى الله عليه وسلم): (إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين(*) وهما الحرتان) (276).

فشتان مابين هجرة المسلمين إلى الحبشة وهجرتهم إلى المدينة ، ففي هجرة الحبشة قال(صلى الله عليه وسلم) : لأصحابه عندما أشتد عليهم الأذى من قريش (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجاً) فهو لجوء سياسي مؤقت لفترة قصيرة حتى يجعل الله تعالى لهم مخرج اخر ومستقر دائم ، أما الهجرة إلى المدينة فهي الرحيل إلى بلد الإسلام وأهل الإسلام ، حيث كان الفرج والمخرج (277).

---

(275)عوض الكريم : مرجع سبق ذكره , ص 74- 75 – 76

(*) لابتين : هي تثنية لابه التي تعني الحرة وجمعها لاب واللابه هي الارض التي كستها الحجارة السوداء .
- الحموي : مصدر سبق ذكره ، ج5 ، ص 3 .

(276)ابن سعد : مصدر سبق ذكره: ص 226

(277)الطبري :تاريخ الرسل والملوك, مصدر سبق ذكره: ص 419

بعد بيعة العقبة أصبح الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون يشعرون بأن قوة جديدة تقف إلى جانبهم ، وأن أرضاً طيبة تتهيأ لاستقبالهم وأخذ الأوس والخزرج بعد رجوعهم إلى يثرب يبشرون بالدعوة الإسلامية بين أهليهم وذويهم فتقع من نفوسهم موقع الرضا والقبول، ويمدون أيديهم لتأكيد البيعة التي التزم بها إخوانهم الذين سبقوهم إلى لقاء محمد (صلى الله عليه وسلم)[278] .

هكذا أشرقت يثرب بنور الحق وانتشرت فيها مبادئ الإسلام وأصبحت مكاناً مناسباً يأمن فيه المسلمون على أنفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين ، أما مكة فقد أشتد فيها الأذى بالمسلمين ، حتى أصبح عيشهم فيها جحيما لا يطاق ، من أجل ذلك أمر الرسول(صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالهجرة إلى المدينة ، فصاروا يتسللون من مكة في ظلام الكتمان والخفاء ، يحذرون قريشاً ، ويرجون ألا تحول بينهم وبين الانتقال من هذا الوسط المؤذى الظالم إلى جو المدينة الطاهر النقي ، وكانت هذه الهجرة مبعث سعادة نفسية للمسلمين لأنهم شعروا بالحرية ، وأخذوا يعبدون الله وينشرون دينه ، وكانت ضربه قاضية على المشركين في مكة إذ خاب أملهم وأفلت المسلمون من قبضتهم[279].

كـــان أول مـن قـدم المدينـة مـن أصحــــاب رسـول الله (صـلى الله عليـه وسلـــم) أبـو سلمــــه بـن عبـــد الأســـد[*]، ثـم قـــدم بعـــده عـامر بـن ربيعــه[*1] معــه امراتــه ليلــى بنـت أبــي حثمــة[*2]فهــي أول ظعينة قدمت المدينة ، ثم قدم أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وسلم)

أرتــالا فنزلـوا علــى الأنصــار فــي دورهـم فـآووهم ونصــروهم ووآسـوهم وكـان ســالم مـولى أبــي حذيفــة[*] يـؤم المهــاجرين بقبــاء قبـل أن يقـدم رسـول الله(صــلى الله عليــه وسـلم) ، فخـرج المسـلمون فــي

---

(278)النجار: مرجع سبق ذكره، ص 170.

(279)نفس المرجع ، ص 170-171-172.

(*)ابو سلمة بن عبد الاسد : بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي اسمه عبد الله بن عبد الاسد وامه بره بنت عبد المطلب بن هاشم هاجر الهجرتين جرح يوم احد ومات بسببه فى 3من الهجرة الموافق سنة 624م

- بن عبد البر : مصدر سبق ذكره – ج2 – ص 38

(*1) عامر بن ربيعة ابن كعب بن مالك ، من السابقين للاسلام ، هاجر الهجرتين شهد بدر توفى قبل مقتل عثمان بن عفان بايام سنة 35 هـ الموافق سنة656م.

- الذهبي : سير اعلام النبلاء , مصدر سبق ذكره , ج3 : ص 334

(*2) ليلى بنت ابي حتمه بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي القرشية ، هاجرت الهجرتين وهي ام عبد الله بن عامر وبه تكنى.

- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره , ص 1410

(*) سالم مولى ابي حذيفة : هو سالم بن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من اهل فارس من اصطخر قيل انه من عجم الفرس من كرمد كان من فضلاء الموالي من المهاجرين ، كان يؤم المهاجرين في قباء وفيهم عمر بن الخطاب .

- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره , ص 196

هجـرتهم إلــى المدينــة وتكالبـت قـريش علـيهم، واغتاظـت علــى مـن خـرج مـن فتيـانهم، وخـرج المسـلمون جميعـاً إلــى المدينــة فلـم يبـق بمكـة مـنهم إلا رسـول الله (صـلى الله عليـه وسـلم) وأبـو بكـر وعلـى أو مفتونـاً محبوساً أو مريضاً أو ضعيفاً عن الخروج[280].

1/مؤامرة قريش :-

أدركت قريش خطورة الموقف بعد أن رأت مسلمي مكة يلحقون تباعاً بإخوانهم من أهل يثرب، إن هذا كان يعني لديهم أن تصبح يثرب حصناً للإسلام بمن أسلم من أهلها ، وبمن انضم إليهم من مسلمي مكة، وهذا يترتب عليه أولا تهديد لأمن قريش بمكة ويترتب عليه ثانيا تهديداً لتجارة قريش إلى الشام لأن يثرب تقع في طريق بين مكة والشام، وكان أكثر ما يفزع قريش أن يلحق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأصحابه بيثرب، لأنه إن فعل أصبحت للمسلمين هناك قيادة توشك أن تجتاحهم بحرب تقضي على نظامهم كله، إن قريشاً لما رأت إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة ، فخشيت قريش خروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[281].

كان هذا أخطر اجتماع عقدته قريش في دار الندوة ، ولهذا حضره ممثلون[*1] من كل قبيلة من قبائل قريش، فلما حضروا إلى دار الندوة في ذلك اليوم الذي يسمى يوم الزحمة ، اعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ ، قال شيخ سمع بالذي تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصا ، وقالوا أجل ، فدخل معهم[282] .

وقد اجتمع فيها أشراف قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا ، فتشاورو ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، حتى يصيبهم ما أصابهم ، فقال الشيخ : (لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب

---

(280)ابن سعد: مصدرسبق ذكره ص226.

(281) نفس المصدر ، ص226.

(*1) هم سفيان بن حرب ، وشيبة وعتبة ابن ربيعة ، وطعمية بن عدي ، وجبر بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث بن كلده ، وابو البحتري العاص بن هاشم ، وزمعه بن الاسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام ، وابو جهل بن هشام ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وامية بن خلف ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش.
- السهيلي : مصدر سبق ذكره , ص 205

(282)الطبري :تاريخ الرسل والملوك, مصدر سبق ذكره : ص 420

هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي) [283] .

فتشاور أشراف قريش ثم قال قائل منهم : نخرجه من أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، قال الشيخ : (لا والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد, دبروا فيه رأيا غير هذا) ، فقال أبو جهل بن هشام: (والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد) قالوا : (وما هو يا أبالحكم ؟) قال : (أري أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم) قال الشيخ : (القول ما قال الرجل، هذا الرأي ولا رأي غيره) فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له[284].

هذا هو مكرهم الذي أنقذه الله تعالى منه ، فلم يتخلى عن حبيبه وخليله ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، بل أوحى إليه بما دبر له أعداؤه في دار الندوة, وأمره أن يهاجر من مكة إلى المدينة متمماً لنوره ولو كره الكافرون يقول الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[*] ويقول الله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[*1] .

لما اتخذ المشركون قرار قتل النبي(صلى الله عليه وسلم) أتي جبريل عليه السلام إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأمر من الله تعالى وأخبره بما تم في دار الندوة وأذن الله له في الخروج بالهجرة وقال له : لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه) [285] وكان أبو بكر يريد صحبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لذلك علف راحلتين لمدة أربعة أشهر [286]أحدهما تسمى القصواء وقد دفع ثمنها رسول الله(صلى الله عليه وسلم)[287] .

---

(283)نفس المصدر ، ص 420.

(284)ابن هشام: مصدر سبق ذكره, ص 420

(*) سورة الانفال , الاية 30

(*1) سورة الطور الاية 30

(285)ابن كثير :البداية والنهاية , مصدر سبق ذكره, ج3 , ص 216

(286)البيهقي : دلائل النبوة ، مصدر سبق ذكره , ج2 , ص 337

(287)السهيلي : مصدر سبق ذكره , ص 315

قالت عائشة: فبينما كنت يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر , قالت : فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاستأذن فأذن له فدخل ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر : (أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال: (فإني قد أذن لي في الخروج) فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): نعم ، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين, قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (الثمن) , قالت عائشة فجهزناهما أحسن جهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر(*2) قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين[288].

ولم يعلم بخروج رسول الله (صلى عليه وسلم) أحد حيث خرج إلا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما على ابن أبى طالب فإن الرسول(صلى عليه وسلم) أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس بمكة أحد عنده شي يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته[289].

2/خروجه (صلى الله عليه وسلم)إلى الهجرة:-

عاد (صلى الله عليه وسلم) من بيت أبي بكر إلى بيته ينتظر مجئ الليل ليقوم بما أمره به الله من الهجرة من مكة إلى المدينة ، في رحلة كانت حاسمة بين الدعوة في مكة مع الاضطهاد والمطاردة والحوار مع الكافرين دون جدوى ، وبين إقامة دولة إسلامية على أساس العقيدة ، وهي مرحلة خالدة ستكون حداً فاصلاً بين الحق والباطل ، وسيتقرر مصير الإسلام والمسلمين بها[290]. لما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مكانهم ، قال لعلى بن أبي طالب : (نم على فراشي وتسجى ببردى هذا الحضرمي الأخضر ، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيئاً تكرهه منهم)

(* 2)أسماء بنت أبي بكر : هي أسماء بنت عبد الله بن عثمان القرشية التيمية زوج الزبير بن العوام وهي أم عبد الله بن الزبير أمها قيلة وقيل قتيله بنت عبد العزى بن عبد أسعد،كانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها، وكان عبد الله بن أبي بكر أخا لأسماء شقيقها ، عاشت طوال عمرها وعميت ولها مائة سنة.
البلاذري : مصدر سبق ذكره، ص 1309

[288]ابن الاثير : الكامل في التاريخ , مصدر سبق ذكره, ص 276
- ابن كثير : المصدر السابق , ص 218

[289]ابن هشام : مصدر سبق ذكره, ص11

[290]النجار: مرجع سبق ذكره , ص 175

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينام في برده ذلك إذا نام ، ولما اجتمعوا له وبهم أبو جهل ، فقال وهم على بابه: (إن محمداَ يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات, وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها) [291]خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأخذ حفنه من تراب في يده ثم قال : ذلك و أنت أحدهم ، ردا على مقالة أبي جهل في مقالته السابقة, وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الأيات من سورة (يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ* تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ* وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ)[*] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراب[292].فأتي المتآمرون آت ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمد قال خيبكم الله, والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متشجياً ببرد رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فيقولون والله إن هذا لمحمدا نائم عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على (رضي الله عنه)عن الفراش ، فقالوا والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا[293]يقال إن السبب المانع لهم من الاقتحام عليه في الدار مع قصر الجدار وإنهم إنما جاءوا لقتله ، وذلك لأنهم عندما هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا العرب أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج[294]ثم أتى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أبا بكر فخرجا من خوخه لأبي بكر في ظهر بيته ثم عمدا إلى غار بثور – جبل بأسفل مكة- فدخلاه واحتمل معه أبو بكر ماله كله معه خمسة ألاف درهم أو ستة ألاف درهم, عندما خرج (صلى الله عليه وسلم) ودع مكة وقال(صلى الله عليه وسلم) :إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله تعالى ولولا أن أهلك أخرجوني منك ماخرجت منك[295]وكان خروجه (صلى الله عليه وسلم) من بيته ليلة 27 من صفر سنة14من النبوة الموافق12 سبتمبر سنة 622م.

---

[291]ابن كثير :البداية والنهاية ، مصدر سبق ذكره , ج 3, ص 216
[*] سورة يس الاية (1- 9)
[292]السهيلي : مصدر سبق ذكره , ج2 , ص 308
[293]ابن هشام : مصدر سبق ذكره , ج3 : ص 9
(294)السهيلي : مصدر سبق ذكره , ص 308
(295)ابن سيد الناس : مصدر سبق ذكره ص 239

3/ في الغار(*):-

عندما انتهى الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر الصديق إلى الغار قال : أبو بكر للرسول(صلى الله عليه وسلم) : (مكانك يا رسول الله حتى استبريء لك الغار فدخل فاستبراه حتى إذا كان في أعلاه تذكر أنه لم يستبر الجحرة ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة) فدخل فاستبرأ ، ثم قال: أنزل يا رسول الله ، فنزل الرسول (صلى الله عليه و سلم) إلى الغار , كانت مدة إقامته (صلى الله عليه وسلم) مع أبي بكر في الغار ثلاثة ليال بعدها انطلقوا إلى المدينة المنورة وأشتد خلالها طلب المشركين لهم حتى انتهوا إلى باب الغار حتى إذا كانوا من النبي(صلى الله عليه وسلم) قدر أربعين ذراعا نظر أولهم فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرف أن ليس فيه أحد[296]، إن قريش خلال هذه الأيام الثلاثة بلغ اجتهادها في طلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فاتبعت أثاره حتى انتهت إلى غار ثور فرأوا عليه نسج العنكبوت فقالوا هاهنا انقطع الأثر، وعندما هم بعضهم بدخول الغار قال أحد منهم له: وما أربكم؟ إذ الغار وعليه من نسج العنكبوت ما عليه والله إني لأري هذا النسج قبل أن يولد محمد[297].

وقال أبو بكر رضي الله عنه للرسول(صلى الله عليه وسلم) في هذا الموقف العصيب: إن نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا فقال له (صلى الله عليه وسلم): (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهم) [298]فأنزل الله تعالى(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (*).

هناك ثلاثة أشخاص قاموا بأدوار مهمة خلال إقامة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الغار ، وهم عبد الله بن أبي بكر الذي كان يقضي نهاره في قريش يسمع ما يقولون في شأن رسول الله(صلى الله على وسلم) وأبي بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، ثم عامر بن فهيرة مولي أبي بكر رضي الله عنه الذي كان يرعى في عيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهم بغنم أبي بكر فاحتلبا منها ما يكفيهما من اللبن, وكان عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى مضت الثلاث وسكن عنهما

(*) يوجد في جبل ثور وهو جبل بمكة عالي اغبر يرى منه جميع نواحي مكة المرتفعة وثور هو فحل البقر.
- الحموي: مصدر سبق ذكره ، ص 87
(296)البلاذري : مصدر سبق ذكره , ص 113
(297)ابن سعد : مصدر سبق ذكره , ص 228 – 229
(298)البلاذري: مصدر سبق ذكره ، ص 112
(*) سورة التوبة الأية 40

الناس[299]كان (صلى الله عليه وسلم) وأبوبكر الصديق قد استاجرا عبد الله بن أريقط [*1] وكان هاديا ماهرا وأمناه على ذلك وسلما إليه راحلتيهما ، وواعده غار ثور بعد ثلاث[300].

4/ السير إلى المدينة المنورة:-

بعد ثلاثة أيام في الغار في ليلة الاثنين غرة ربيع الأول سنة 1هجرية الموافق16 سبتمبر سنة 622م انطلق الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر الصديق ومعهما عامر بن فهيرة والدليل عبد الله بن أريقط فأخذ بهم طريق السواحل[301]

تحرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائد الركب بعد أن أتخذ جميع الأسباب التي في مقدور البشر لينجو من الأعداء، كان مطمئناً ولسانه رطب بذكر الله بينما كان أبو بكر يكثر الالتفات حرصاً على سلامة الرسول(صلى الله عليه وسلم)[302]. قال أبو بكر الصديق خرجنا ليلا فاحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، ثم رفعت لنا صخرة فأتيناها ولها شيء من ظل، قال: ففرشت لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) فروة معي، ثم اضطجع عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فانطلقت انفض ما حوله فإذا انا براع قد أقبل في غنيمة يريد من الصخرة مثل الذي أردنا فسألته لمن أنت يا غلام ؟ فقال: انا لفلان فقلت له هل في غنمك من لبن ؟ قال: نعم، قلت : له هل أنت حالب ؟ قال: نعم, فأخذ شاه من غنمه فقلت له أنفض الضرع قال: فحلبه كثبة من لبن ومعي اداوة من ماء عليها حرقة قد روأتها لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ثم أتيت به النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت: أشرب يا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فشرب صلى الله عليه وسلم ,ثم ارتحلنا[303].

وفى الطريق إلى يثرب مروا بحي بني مدلج[*] فرآهم رجل منهم وكانت قريش قد أعلنت عن دية كل من الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر الصديق ، فجاء رجل إلى مجلس بنى مدلج وكان فيهم سراقة[* 1]

---

(299) ابن هشام : مصدر سبق ذكره , ج1 , ص 486

[*1]عبد الله بن اريقط :يقال اريقد من بنى ليث دليل النبى صلى الله وسلم عليه وابوبكر لماهاجراالمدينة كان على دين قومه.

-العسقلانى:الاصابة فى تمييزالصحابة, مصدرسبق ذكره ج5 ص4

(300)عبد الوهاب: مرجع سبق ذكره , ص 127

(301)ابن كثير : السيرة النبوية , مصدر سبق ذكره ,ج2 , ص 244

(302)ابن القيم : مصدر سبق ذكره , ص 186

(303)البخاري : مصدر سبق ذكره , ج3 , ص 1426

[*]بنو مدلج : بطن من بطون كنانه ، وفي بنى مدلج هؤلاء كان علم القيافة .

- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب , مصدر سبق ذكره : ص 135

(*1)سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مره بن عبد مناف ، يكنى ابا سفيان اسلم يوم الفتح، البسه عمر بن الخطاب سواري كسرى مات في خلافه عثمان سنة 24ه, الموافق سنة645 م وقيل بعد عثمان.

- العسقلاني : الاصابة في تميز الصحابة , مصدر سبق ذكره , ج3 , ص 41

بن مالك ، فقال يا سراقة إني رأيت آنفا أسوده بالساحل أراها محمد وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلان وفلان انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت بيتي فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي فتحسبها من وراء ارض مرتفعة ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت، فخططت بزجة(*2) الأرض وخفضت عالية حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها ، ففرت حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ لاثر(تبع) يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت الأزلام فخرج الذي أكره ، فناديتهم الأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني(*) ولم يسألاني إلا أن قالا : أخف عنا, فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم ، ثم مضى (صلى الله عليه وسلم) ، ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفيتم هذا الوجه[304].هكذا تحول سراقة من مهاجم يريد القتل والقضاء إلى مدافع غيور وحامى لظهره صلى الله عليه وسلم.

5/ الوصول إلى قباء(*1):-

بلغ الأنصار خبر مخرج رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من مكة ، فكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ، فإذا أشتد حر الشمس رجعوا إلى منازلهم ، فلما كان يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول سنة14 من نبوته الموافق23سبتمبر سنة622م نزل رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بقباء خرجوا على عادتهم . فلما حميت الشمس رجعوا ، وصعد رجل من اليهود على أطم من أطام المدينة لبعض شأنه ، فرأي رسول الله (صلى الله

(*2) زجة : مأخوذة من الزج وهي الحديدة التي في اسفل الرمح وتعني هنا اسود الارض .
- الحموي: مصدر سبق ذكره ،
(*) يرزآني: اي لم يأخذا مني شيئا .
- ابن منظور: مصدر سبق ذكره ، ص85.
(304)ابن كثير : البداية والنهاية , مصدر سبق ذكره , ص 226 – 227
(*1) قباء بالضم وأصله بئر عرفت بئر هناك عرفت القرى بها وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار .
- الحموي ،مصدر سبق ذكره، ص 301

عليه وسلم) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة[*2]هذا صاحبكم قد جاء ، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار الأنصار إلى السلاح ليتلقوه[305] وجلس (صلى الله عليه وسلم) في ظل نخلة، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في مثل سنه ، وكان أكثر الأنصار لم ير رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفه الأنصار عند ذلك ، ونزل على كلثوم[*3] بن هدم وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة[*4] وذلك لأنه كان عَزَبا لا أهل له، وكان منزل الأعزاب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المهاجرين ، ونزل أبو بكر الصديق على خبيب بن اساف[*] ولحق على بن أبي طالب بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في قباء بعد أن مكث بمكة ثلاث ليال وأيامها أدى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الودائع التي كانت عنده للناس، أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجد قباء[306] .

6/ خروجه (صلى الله عليه وسلم) من قباء والتوجه إلى المدينة المنورة :-

ركب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قباء يوم الجمعة فمر على بني سالم ابن عوف[*1]فادركته الجمعة هناك، وكانت أول جمعه صلاها حين قدم المدينة[307]وقبل أن يركب الرسول(صلى الله عليه وسلم) من بني عمرو بن عوف بقباء تجمع حوله الأنصار فمشوا حول ناقته, وكان أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حباً في إكرام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعظيما له ، وكل ما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول(صلى الله عليه وسلم): (دعوها فإنها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلني الله) فلما انتهت إلى دار أبي

(*2)بنو قيلة : بطن من الاريزيق من كهلان القحطانية وهم بنو اوس والخزرج بنى الحارثة بن ثعلبه
- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب , مصدر سبق ذكره: ص 132

(305)ابن القيم : مصدر سبق ذكره , ص 188

(*3)كلثوم بن هدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصاري كان يسكن قباء كان شيخ كبير اسلم قبل وصول ﷺ الى المدينة توفى قبل بدر.
- ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة , مصدر سبق ذكره , ص 941

(*4)سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط الانصاري الاوسي ، شهد العقبة قتل يوم بدر شهيداً
- نفس المصدر, ص 428

(*) خبيب بن اساف بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن الاوس الانصاري اسلم يوم بدر مات في خلافه عمر.
- العسقلاني : الاصابة في تميز الصحابه , مصدر سبق ذكره , ص 261

(306)ابن هشام : مصدر سبق ذكره , ص 492 – 494

(*1) بنو سالم : بطن من الخزرج او القحطانية وهم بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج منهم مالك بن العجلان سيد الانصار.
- القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 133

(307)ابن الجوزي ، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن : تلقيح مفهوم اهل الاثر في عيون التاريخ والسير (بيروت، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم، 1997م) : ص 38

أيوب([*]2) بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتني مسجده ومساكنه فاحتمل أبو أيوب رحل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فوضعه في بيته وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:(المرء مع رحله) وجاء أسعد بن زراره فأخذ ناقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت عنده[(308)].

وخلاصة لما سبق إنه (صلى الله عليه وسلم) كان حريصاً على الجماعة المسلمة التي تكونت بمكة, وشعر أنها تعذب بسبب إسلامها رغم السرية التي اتخذها، فسمح لهم بالهجرة إلى الحبشة,حتى يبتعدون عن تعذيب قريش؛ ولعدل ملكها النجاشي الذي رحب بهم أشد الترحاب وعندما فشلت قريش في تلك الأساليب

لجأت إلى اسلوب المقاطعة الذي كان قاسياً جداً ليس عليه وحده (صلى الله عليه وسلم) بل حتى على أفراد عشيرته من غير المسلمين ؛ لكنه لم ينحنِ لهذا الأسلوب، وصبر حتى خذل الله تعالى قريش ونصره عليهم، وأيضاً ابتلى (صلى الله عليه وسلم) بوفاة أحب الناس إليه السيدة خديجة وأبو طالب في عام واحد, واشتدت قريش في تعذيبه لكنه لم يستسلم, وانتقل إلى مرحلة أخرى , وأبدله الله تعالى بالأنصار أكثر عدداً وإيماناً وقوةً ونصرةً له ولدينه ؛ فهاجر إليهم وأيدوه ونصروه وقاتلوا قريشاً وكل أعداء الإسلام, وكل ذلك كان يمارسه(صلى الله عليه وسلم) بكل صبر وثقة في نصر الله عز وجل, وتوكل عليه وأخذاً بالأسباب.

([*]2) ابو ايوب الانصاري : اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبه بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك النجار : شهد العقبة وبدر وأحد والخندق توفى بالقسطنطينية بأرض الروم سنة 56ه الموافق 671م وقيل سنة 57ه الموافق 672م في خلافه معاوية.
- ابن عبد البر : مصدر سبق ذكره ج2 : ص 10

(308)ابن كثير : السيرة النبوية , مصدر سبق ذكره : ج 3: ص 272
- ابن القيم : مصدر سبق ذكره , ص 189

الفصل الرابع

تأسيس الدولة الإسلامية الأولى (1هجرية_622م)

قامت الدولة الإسلامية الأولى على أسس ثابتة ودعامات قوية منها:-

أ/ بناءالمسجد:-

قام محمد (صلى الله عليه وسلم) ببناء المسجد الذي يمثل صلة الأمة بالله ، فكان أول ما حرص عليه الرسول (صلي الله عليه وسلم) بعد هجرته هو بناء المسجد ؛ وذلك لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت ولتقام فيه الصلوات, والتي تربط المرء برب العالمين, وتقيء القلب من أدران الأرض وأدناس الحياة الدنيا [1] .

لم يكن هدف الرسول(صلي الله عليه وسلم) إيجاد مكان للعبادة فقط, فالدين الإسلامي يجعل الأرض كلها مسجداً للمسلمين ولكن مهمة المسجد كانت أعمق من ذلك ، فهو أيضاً كان تبديلاً لحالة الخوف التي كانت سائدة بين المسلمين في مكة حين كانوا يصلون سراّ فى الشعب ويختفون عن الأنظار في دار الأرقم بن أبى الأرقم إلي حالة من الأمن والاطمئنان والتمكين والإعلان لدين الله تعالى [2] .

لما قدم رسول الله(صلي الله عليه وسلم) المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف , فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلي ملأ بني النجار، فجاؤوا متقلدي سيوفهم , وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على راحلته وأبو بكر ردفه، وأقام بنو النجار حوله حتى وصلوا فناء أبي أيوب، فكان يصلي حيث أدركته الصلاة, فصلي في مرابض الغنم, ولما أراد(صلى الله عليه وسلم) بناء المسجد طلب من بني النجار بيع حائطهم فقالوا: (لا والله لا نطلب ثمنه إلا من الله) ، و كانت فيه قبور المشركين , وكان فيه خرب, وكان فيه نخل, فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصنعوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضاديته حجارة، جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله(صلي الله عليه وسلم) معهم يقولون : (اللهم إنه لاخير إلاخير الأخرة فانصرالانصاروالمهاجرة)[3]

لئن قعدنا والنبي يعمل *** فذاك منا العمل المضلل

بنى الرسول (صلي الله عليه وسلم) حول مسجده الشريف حجرات لتكون مساكن له ولأهله ، قصيرة البناء قريبة الفناء ، فكانت مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مضمومة وسقوفها كلها من جريد النخل [4] .

---

(1) الغزالى : مرجع سبق ذكره ، ص 191 .
(2) عوض الكريم : مرجع سبق ذكره ، ص 125 .
(3) البخاري : صحيح البخاري, مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، 1430 .
(4) ابن كثير : البداية والنهاية , مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 267 , 268 .

عمل رسول(صلي الله عليه وسلم) مع الصحابة في بناء المسجد بنفسه الكريمة , فكان ينقل معهم اللبن ترغيباً لهم في العمل حتى أغبر صدره ، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن أبيه قال : (خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومعه حجر ، فلقيه أسيد ابن حضير ، فقال : يا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أعطنيه فقال : (اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلي الله مني) [5]، وجعل قبلته إلي بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باباً في المؤخرة ، وباباً يقال باب الرحمة ، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله(صلي الله عليه وسلم)، وجعل طول الجدار بسطة وعمده الجذوع وسقفه جريداً فقيل له : إلا تسقفه؟ فقال : عريش كعريش موسي عليه السلام خشيبات وثمام[*]، الشأن أعجل من ذلك[6] .

1/ الأذان :-

حين قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)المدينة كان يجتمع الناس إلي الصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فهمّ رسول الله(صلي الله عليه وسلم) حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك إذ رأي عبد الله بن زيد[*1] في المنام هذه الليلة رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوس في يده , فطلب منه بيعه ليدعو به إلى الصلاة فدله على الأذان كالأتي: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر, أشهد أن لا اله إلا الله ,أشهد أن لا اله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله ، أشهد أن محمد رسول الله، حيّ على الصلاة, حيّ على الصلاة,حيّ علىّ الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله)

فذكر عبد الله بن زيد ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم), فقال له (صلي الله عليه وسلم): (إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندي صوتاً منك)، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو يجر رداءه وهو يقول: (يا

---

(5) الصالحي : مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 336 – 337 .
(*) ثمام : هي نبت ضعيف له خوص او شبيه بالخوص وربما حشي به وسد به خصاص البيوت.
- الرازي ، محمد بن ابي بكر ، مختار الصحاح ،(لبنان ، بيروت ، 1415 هـ) ص 90 .
(6) ابن سعد : مصدر سبق ذكره ، ص 239 – 240 .
(*1)عبد الله بن زيد: هو عبد الله بن زيد بن الحارث ب ثعلبه من بني جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجى الحارثي ،شهد العقبة وبد وسائر المشاهد مع النبي ﷺ ، توفى بالمدينة سنة 32الموافق 653 م وهو ابن أربع وستين سنة صلى عليه عثمان بن عفان.
- ابن عبد البر: مصدر سبق ذكره ، ص 276.

نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأي) ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (فلله الحمد على ذلك). [7]

2/ دور الأذان في مجتمع المدينة الجديد :-

شرع الأذان في السنة الأولي من الهجرة , وكان نغمة علوية تدوي في الآفاق خمس مرات في كل يوم وليلة, يرتج لها عالم الوجود كله ، فكان شعار للمسلمين ، وقد أعلن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سيادة الدولة الإسلامية على أراضيها يوم أن أمر بلال أن يؤذن بما رآه عبد الله بن زيد في نومه من ألفاظ الأذان ، وهذا الأذان له مهمة أخرى غير الدعوة للصلاة ، فهو إعلان رسمى صادرعن مقر الدولة الرسمى_ المسجد_ بقيام دولة الله في الأرض، وإعلان سيادتها عليها بقيادة محمد(صلي الله عليه وسلم) بعد أن تجاوزت كل العقبات التي وضعها العتاة الظلمة في طريقها , وفاق تدبير الله كل تدبير، وفاقت قوته كل قوة، فإذا تأملنا أول كلمات الأذان فهي :(الله أكبر ... الله أكبر) إنها تعني أن الله تعالى أكبر من أولئك الطغاة ، وأكبر من صانعي العقبات , وهو الغالب على أمره , و إن الحكم إلاّ لله , وأعلن رسول الله(صلي الله عليه وسلم) هذه السيادة حين منع أن يتحاكم في أرض الإسلام لأي نظام عام غير النظام العام للدولة الإسلامية[8].

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي(صلي الله عليه وسلم) من المؤمنين ؛ وذلك فيه من التنويه من الله لعبده ، والرفع لذكره والعلو لشانه، وهو شعار للإسلام, وإعلان للتغير الحضاري الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم).[9].

فهذا الأذان صفة وسمة مميزة لدولة الإسلام تلك الدولة التي اختلفت عن كل الدول التي كانت حولها.

3/ الأذان شعار الدولة المسلمة :-

في أذان الصلاة شعار لأول دولة إسلامية عالمية, فأشهد أن لا إله إلاّ الله تعنى لا حاكمية ولا سيادة ولا سلطة إلا لله رب العالمين، و إن الحكم إلا لله ، فمعني لا إله إلا الله لا حاكم ولا آمر ولا مشرع إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أسلمه الله تعالى القيادة فليس لأحد أن ينزعها عنه ، فهو ماضٍ بها إلي أن يكمل الله

---

(7) ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 508 .
(8)قلعة جى, محمد رواس : دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلي الله عليه وسلم من خلال سيرته (دارالنفائس بيروت ، 1988م) ، ص 207 - 208 .
(9) رضا: مرجع سبق ذكره , ص 171.

دينه، بما ينزله على رسوله من قرآن، وبما يلهمه له من سنة [10] وتعني الاعتراف لرسول الله بالرسالة والزعامة الدينية والدنيوية والسمع والطاعة له، وقد اختيرت الصلاة من بين سائر العبادات لأنها عماد الدين كله، بما فيها من شعائر كالركوع والسجود والقيام، وتعتبر أعظم مظهر لمظاهر العبادة بمعناها الواسع الذي يعنى الخضوع والتذلل والاستكانة لله سبحانه وتعالى، وهذا ارتباط بين شعار الدولة الرسمى وحاكمية الله وسيادة الشرع وسقوط الطواغيت وأنظمتهم، وحي على الفلاح يؤخذ منها أن أقبل أيها الإنسان للانضواء تحت لواء هذه الدولة التي أخلصت لله، وجعلت من أهدافها تمتين العلاقة بين المسلم وخالقه ، وتمتين العلاقة بين المؤمنين على أساس من القيم السامية، وتشيرأيضاّ إلى أنه لا قيام للصلاة ولاإقامة لها كما ينبغى إلا فى ظل دولة تقوم فيها ولها .

فقد كان المسلمون يصلون خفية في شعاب مكة قبل قيام دولتهم أما وقد قامت تحت حماية سيوف الأنصار فليجهروا بالأذان والإقامة وليركعوا وليسجدوا وأن الواقع التاريخي خير شاهد على أن الله تعالى لا يعبد في الأرض حق عبادة إلا في ظل دولة قوية تحمى رعاياها من الأعداء، ثم تتكرر كلمات الأذان للتأكيد على المعاني السابقة [11].

4/ أهداف المسجد:-

أصبح مسجد الرسول (صلي الله عليه وسلم) رمزاً لما يتسم به الإسلام من شمولية وتكامل, فقد أصبح مركزاّ روحياً لممارسة الشعائر، وأداء العبادات ، ودائرة سياسية وعسكرية لتوجيه علاقات الدولة في الداخل والخارج ، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحاتها أصحاب الرسول(صلي الله عليه وسلم)، وأصبح مؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام و المساواة ويمارسون فيها الوحدة والإخاء والانضباط ، شكّل المسجد الخلية الأولي للبناء الاجتماعي للأسرة والجماعة ، بوصفه أداة لصهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة ، من خلال حلقات العلم والفقه والعبادة [12] .

كان للمسجد دوراً هاماً في تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولي ، وفضلاً عن كونه مركزاً لصلاة المسلمين ، فهو مقر السلطة الدينية والمدنية الجديدة المتمثلة في شخص الرسول الكريم محمد بن عبد الله(صلي الله عليه وسلم) ، وقد تحول المسجد تلقائياً إلي مركز إستقطاب على غرار ما كان سائد في السابق فيما يسمي بـ (دار

---

[10] قلعة جى : مرجع سبق ذكره, ص 114 .

[11] الصلابى: مرجع سبق ذكره ، ص 22.

[12] عوض الكريم : مرجع سبق ذكره, ص 125 .

الندوة) ، فقد كان الرسول(صلي الله عليه وسلم) يتشاور مع الصحابة في شئون جماعة المسلمين وعلاقاتهم بقريش وما يتصل بذلك من سلم أو حرب , كما إنه كان موضع ا جتماع عامة المسلمين ، أو بمثابة المؤتمر العام لهم ، ينعقد مرة في الأسبوع على الأقل ، وفي المسجد كانت تستقبل الوفود العربية القادمة إلي المدينة , وتبرم معهم المواثيق والعهود ، وكان المسجد فضلاً عن وظائفه الدينية والسياسية والادارية تلك مركزاً علمياً وثقافياً ، فكان الصحابة يتولون تعليم القران والسنة لمن أراد أن يتعلمهما من العرب الوافدين على المدينة ، كما كان مكاناً لتعليم القراءة والكتابة ثم أصبحت المساجد بعد ذلك مراكز علمية يحصل فيها طلاب العلم على علومهم ، وفي مسجد الرسول (صلي الله عليه وسلم) في المدينة ظهرت نواة مؤسسة القضاء وتبلورت معالمها ، فقد كان يتم التقاضي بين الناس وتحل النزاعات بينهم في المسجد ، ومن جانب أخر أصبح المسجد في العصر الإسلامي أساساً للتنظيم العمراني في المدينة الإسلامية، والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية ، والقلب الذي ينبض بالحياة ، وهو الذي يطبع المدينة الإسلامية الناشئة بطابعها الإسلامي ، باعتباره المركز الديني والثقافي والاجتماعي للمدينة ، كان للمسجد مهام في قيام دولة الإسلام الأولي باعتباره نواة تشكل تلك الدولة من خلال ما كان يمثله من سلطة دينية ودنيوية ، وما ظهرت فيه من مؤسسات ونظم قيادية أولية ، وتطورت فيما بعد لتشكل النظم الأساسية للدولة العربية الإسلامية [13]

فقد كان مدرسة للتعليم والتهذيب أستاذها ومعلمها ومربي طلابها رسول الله(صلي الله عليه وسلم) وطلابها هم أصحابه الأبرار الأفذاذ رضي الله عنهم جميعاً رجالاً ونساءً[14] .

ب/ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :-

لما قدم المهاجرون إلى المدينة آخي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بينهم وبين الأنصار سكان المدينة , وصل الإيثار بالأنصار إلي أن قالوا لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (إن شئت فخذ منازلنا)، فقال لهم خيراً، وخط لأصحابه في كل أرض ليست لأحد ، وفيما وهبت له الأنصار من خططها , وأقام قوم من المسلمين لم يمكنهم البناء بقباء على من نزلوا عنده[15].

---

[13] الكعبى : مرجع سبق ذكره ، ص 295- 296 .

[14] سامية منيسى : السيرة العطرة للهادي البشير (دارالفكرالعربى ,القاهرة ، 2008م) ص445 .

[15] البلاذري: مصدر سبق ذكره, ص 116.

كانت المؤاخاة بين تسعين رجلاً ، خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار,و لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري [16]فقال : رسول الله(صلي الله عليه وسلم) للأنصار إن أخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم (فقالوا) أموالنا بيننا قطائع فقال: رسول الله(صلي الله عليه وسلم)أو غير ذلك ؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله ؟ قال: هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر) قالوا نعم [17] فهذه روح إنسانية سادت فى مجتمع المدينة الجديد, وكل ذلك بسبب التربية الإيمانية التى ربى عليها محمد(صلى الله وسلم) أصحابه، فاصبحوا فى فترة وجيزة إخوة متعاونيين.

كان الحب الأخوي بين المهاجرين والأنصار هو الأساس الذي قامت على دعائمه المؤاخاة الاجتماعية التي عقدها النبي(صلي الله عليه وسلم) بين أصحابه بعد مقدمه المدينة ، فقد كانت هذه المؤاخاة من أسبق الأعمال التي قام بها رسول الله(صلي الله عليه وسلم) أول ما أستقر في مقامه وأخذ في بناء مسجده الأعظم[18].

وهو عمل غيرمسبوق من قبل، فكان له الأثر الكبير في استقرار وتطوير مجتمع المدينة الجديد .

آخى رسول الله(صلي الله عليه وسلم) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال: (تآخوا في الله أخوين أخوين[*]ثم تأخى (صلى الله عليه وسلم) مع علي بن أبي طالب فقال هذا أخي [19] وقد جعل الرسول (صلي الله عليه وسلم) هذه الإخوة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر، كانت عواطف الإيثار والمؤاساة والمؤانسة في هذه الإخوة تملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

والسبب الذي أدي إلي تقوية هذه الأخوة بين المهاجرين والأنصار هو أن أهل هذا المجتمع ممن التقوا على دين الله وحده ، نشأهم دينهم الذي اعتنقوه على أن يقولوا ويفعلوا ، وعلمهم الإيمان العمل جميعاً فهم أبعد ما يكونون عن الشعارات التي لا تتجاوز الألسن [20] . كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار خطوة لا تقل في

---

[16] نفس المصدر , ص 116- 117 .

[17] ابن كثير : البداية والنهاية ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص 280 .

[18] عرجون ، محمد الصادق: محمد رسول الله ، ،دار القلم، الطبعة الثانهية، 1995م، ص 98 .

(*)وتآخى حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله صلي الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وتأخى جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة مع معاذ بن جبل ، وتآخي أبو بكر الصديق مع خارجه بن زهير ، وتآخي عمر بن الخطاب مع عثمان بن مالك وتآخي أبو عبيدة عامر بن الجراح مع سعد بن معاذ ، وتآخي عبد الرحمن بم عوف مع سعد بن الربيع ، تآخي الزبير بن العوام مع سلامة بن سلامة بن قش ، ويقال الزبير وعبد الله بن مسعود ، وتآخي عثمان بن عفان مع أوس بن ثابت بن المنذر ، وتآخي طلحة بن عبيد الله مع كعب بن مالك ، وتآخي سعد بن زيد بن عمرو مع أبي بن كعب ، وتآخي مصعب بن عمير مع أبي أيوب خالد بن زيد وتآخي أبو حذيفة بن عتبه بن ربيعة مع عباد بن بشير ، تآخي عمار بن ياسر مع حذيفة بن اليمان ، ويقال مع ثابت بن قيس ، وتآخي أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري مع المنذر بن عمرو . وتآخي حاطب بن أبي بلتعه مع عويم بن ساعده ، وتآخي سلمان الفارسي مع أبو الدرداء عويمر بن ثعلبه ، وتآخي بلال بن رباح مع أبو رويحه عبد الله بن عبد الرحمن هولاء هم الذين أ خى بينهم رسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه

- ابن هشام : مصدر سبق ذكره ، ج 3 ، ص 37 – 38

[19] نفس المصدر, ص,37 ,38.

[20] الغزالى : مرجع سبق ذكره ، ص 194 .

الأهمية من بناء المسجد ؛ لكي يتلاحم المجتمع ويتآلف وتتضح معالم تكوينه الجديد ، فكانت صلة الأمة ببعضها البعض, وكانت عملية إحلال لرابطة الإخاء ورابطة الدين محل رابطة القبلية والعصبية القبلية, مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (*) . (21)

فقرب بين الأوس والخزرج بعد أن كانت الحروب بينهما قبل الإسلام قوية, وكانت تقوم لأ بسط الأسباب وليس هذا فحسب بل آخي بين العرب والموالي ، وكانت نتيجة ذلك أن تكونت الوحدة الإسلامية والأخوة فلا حمية إلا للإ سلام, وسقطت فوارق النسب واللون والوطن وتحققت وحدة المدينة ، وضرب المسلمون المثل الأعلى في التعاون والإتحاد، و كان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين , حتى كان الأمر يؤول إلي الإقتراع بل الإيثار ، فكان من الأنصار السماحة والإيثار، ومن المهاجرين التعفف وعزه النفس فقال المهاجرون :(يا رسول ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير, لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله) قال:(لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم)(22) .

كانت سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار نوع من السبق السياسي الذي أتبعه الرسول(صلي الله عليه وسلم) في تأصيل المودة وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار الذين سهروا جميعاً على رعاية هذه المودة , وذلك الإخاء بل كانوا يتسابقون على تنفيذ بنوده(23) الذين قال الله تعالى عنهم :(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (1*) .

هذه صور مضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار, هذه المجموعة التي تفردت بصفات عالية ونادرة، و لم يعرف تاريخ البشرية كلها حادثا جماعياً كحدث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخي وبهذا التسابق إلي الإيواء واحتمال الأعباء (24) .

ت/الصحيفة وتكوين الدولة الجديدة :-

وضع الرسول(صلى الله عليه وسلم) صحيفة تمثلت أهم بنودها فى الاتى:-

---

(*) سورة الحجرات الآية (10) .
(21) ابن كثير:البداية والنهاية, مصدر سبق ذكره, ص 279.
(22) نفس المصدر ، ج 3 ، ص 279 – 280 .
(23) الصلابى : مرجع سبق ذكره, ص 30.
(*1) سورة الحشر الآية (9) .
(24) قطب, سيد : , مرجع سبق ذكرة ، ج 7 ، ص 165 .

1. (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم امة واحدة من دون الناس) فهذا النص يوضح أن هذه الصحيفة صدرت عن محمد(صلي الله عليه وسلم) باعتباره صاحب الأمر في إصدارها, وجعلها أداة تنظيم الأوضاع بين المسلمين من قريش والمسلمين ،و من أهل يثرب ومن يلحق بهم فيما بعد ، كذلك وضح إن أهل الصحيفة ومن يلحق بهم أمة واحدة من دون الناس ، أي يشكلون جماعة واحدة متميزة من الآخرين متضامنة فيما بينها ، مرتبطة بهذا الرباط الجديد الذي ربطهم معاً ، وجعلهم بذلك فئة واحدة مقابل سواهم من الناس ، وهذه نقطة بالغة الأهمية في مسالة نشوء أوظهور الدولة والمجتمع الجديد ,إذ كونوا عملياً نواة الأمة والمجتمع الذي قامت عليها السلطة للدولة الفتية[25] .
2. (وإن من تبعنا من يهود فان له النصر والإسوة غير مظلومين ولا تناصر عليهم وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم) [26] هذه المادة تقر انضمام اليهود في يثرب إلي المجتمع الجديد , وتجعلهم جزءاً متساوياً الحقوق والواجبات مع المسلمين ، وهذا المنظور الجديد للسياسة التي أقرتها الصحيفة ، رغم اختلافهم الديني مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) , إذ ضمنت لهم الصحيفة النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وكأنها تريد إعطاءهم الاطمئنان بان المسلمين لاينطلقون معهم من منطلق العداء على الأقل في هذه المرحلة المبكرة . وهذه حنكة سياسية من الرسول (صلي الله عليه وسلم) الذي قبل التعامل المتكافئ مع من لا يؤمن بدعوته ، لأنه أراد أن يبني مجتمعاً متوافقاً[27] سياسياً ، حتى وإن اختلف من الناحية الدينية وفي ذلك بعد نظر سياسي إتسم به الرسول (صلي الله عليه وسلم), وهى تفتح الطريق للراغبين من اليهود فى الاسلام.
3. (وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ويحول دونه على مؤمن) هذا النص يشير بشكل خاص إلي اليهود ومن لم يسلم بعد من أهل المدينة ويحذرهم ، بل يحرم عليهم التعامل مع قريش تماماً كالمسلمين لأن النص هنا خص (المشرك) ولم يقل أهل الصحيفة ، لأن تعامل المسلمين كان محسوماً ولا يحتاج إلي ذكر في الصحيفة, وربما كان وضع اليهود مع قريش هو الذي استدعي أن تنص هذه المادة على منع اليهود من التعامل مع خصم المسلمين المعلن والوحيد حتى ذلك الوقت وهو قريش[28] .

---

(25) سرور: مرجع سبق ذكره, ص 95.
(26) ابن كثير : البداية والنهاية , مصدر سبق ذكره الجزء الثالث ص 273 – 274 .
(27) سرور: المرجع السابق , ص 95.
(28) فالح حسين : مرجع سبق ذكره، ص 57.

4. (إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أواستجار يخاف فساده فان مردة إلي الله وإلي محمد (صلي الله عليه وسلم) وأن الله على أتقي ما في هذه الصحيفة وأبره) [29] . تمثل هذه المادة أهم بنود الصحيفة من الناحية السياسية لأنها تقر بولادة سلطة شرعية، قراراً رسمياً موثقاً وليس شفوياً عاطفياً ، فهذا البند إعتراف وبشكل عملى وبالنسبة إلي جميع أهل الصحيفة المسلمون منهم واليهود على حد سواء ،وفى ذلك تأكيد سلطة عليا دينية تهيمن على المدينة وتفصل فى الخلافات منعا لقيام اضطرابات فى الداخل من جراء تعدد السلطات، وفى نفس الوقت تأكيد ضمني برئاسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الدولة فى المدينة سياسيا[30]. وهذه دلالة ميلاد السلطة السياسية الشرعية التي أسندت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) في المدينة ، هذه السلطة لم تكن سلطة النبي(صلي الله عليه وسلم) التي يفترض إعتراف المسلمين بها وتسليم أمرهم لها إيماناً وقناعة بالدعوة والنبوة لصاحبها ؛ ولكنها سلطة الحاكم الذي تعهد جميع أهل المدينة مسلمهم وغير مسلمهم أن يسلموا لأمر السلطة التي تحكم بينهم في الحالات التي تستدعي اللجوء إليها ، هذه السلطة مثلها محمد النبي (صلي الله عليه وسلم) ، و مثلها محمد القائد والزعيم السياسي في الوقت نفسه [31].
5. جاء الحديث عن تحديد واجبات اليهود والمسلمين في الإنفاق في حالة الحرب وتجعلهم متضامنين متكافلين لحماية المصلحة العام للجميع (أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين) وهي تتحدث عن اليهود كمجموعة واحدة مقابل المسلمين[32] .
6. من المواد المادة التي تبين أن اليهود جزءٌ من أهل الصحيفة ، وتقر لهم ما نسميه اليوم الحرية الدينية فيقول النص: (أن يهود بني عوف أمه مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لايهلك إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليهود بني النجار[*] مثل ما ليهود بني عوف, وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني ساعده مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ما ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الأوس مثل ماليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ثعلبه مثل حق يهود بني عوف إلا من ظلم وإثم فانه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته) [33] .

---

(29) ابن سيد الناس : مصدرسبق ذكره ، ص 261 .
(30) سالم ، عبدالعزيز : التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ، ص 84.
(31) فالح: مرجع سبق ذكره ، ص 58 .
(32) نفس المرجع , نفس الصفحة .
(*) بنو النجار: بطن من الخزرج من الأزد القحطانية وهم بنو النجار واسمه تيم الله بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج ، منهم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ .
- القلقشندي: نهاية الرب في معرفة أنساب العرب , مصدر سبق ذكره, ص 27.
(33) فالح حسين:مرجع سبق ذكره , ص 59.

7. (لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (صلي الله عليه وسلم) صاحب الأمر الجديد في المدينة ، فأرادت هذه المادة منع اليهود من محاولة الاتصال أو الدخول في أي تعامل مع قريش يؤدي إلي مساعدتها ضد المسلمين وكذلك (إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم) فهذه المادة أكدت واجب ومسئولية كل جماعة في النفقة على تجهيز أفرادها في حالة الحرب سواء المسلمين منهم أو اليهود ، وكل فئة تمول أبناءها من مالها ، كما تطلب من اليهود ليس فقط المشاركة في الحرب ، بل تفرض عليهم أيضاً مسؤوليات مالية في التجهيز والاستعداد لها تماماً كالمسلمين ، ويزيد النص تأكيداً على أهل الصحيفة بالتناصر والتعاون على عدوهم ، فعدو أحدهم عدو للأخر أيضاً ، وتشدد نهاية نص هذه المادة على علاقة النصح والنصيحة المتبادلة بين الجميع [34].

8. (إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة) [35] تشكل هذه المادة أساساً رئيسياً من أسس النظام الذي أرادت إقراره الصحيفة ، ألا وهو تحديد المكان الذي قامت عليه السلطة الجديدة واعتبارها وطناّ وأرضاً يحرم على أهل الصحيفة حمل السلاح فيها والاقتتال عليها، ولا يقتل صيده ولا يقطع شجره , وهذا البند يجسد التعايش السلمي بين كل أفراد المجتمع المدني بغض النظر عن عقيدته أو قبيلته وعشيرته , فجاء النص واضحاّ ليس فيه لبس بتحريم إنتهاك السلم الداخلي_ داخل يثرب_ بمعني أخر شكلت مكاناً آمناً لأهلها , و أراد الرسول (صلي الله عليه وسلم) إرساء مبدأ تحديد يثرب ، وهو ما قد يؤدي إلي الاضطراب الداخلي ضمن منطقة محددة, يفترض على جميع أهل يثرب وبالتالي بقية المسلمين أن يعرفوا تماماً حدود يثرب المحرم عليهم حمل السلاح فيها بعضهم ضد بعض .(وأن بينهم النصر على من دهم يثرب) [36] أكد هذا النص تضامن أهل الصحيفة وتماسكهم أمام أي خطر خارجي يهدد سلامة الدولة , فلا يجوز أن يتخلي طرف عن الدفاع في هذه الحالة , وهنا يفترض أن التشديد كان يعني اليهود المطالبين بنصرة المسلمين ، لأن المسلمين عملياً هم المهددون في المدينة من العدو الخارجي وهو قريش [37].

بهذه الحكمة البالغة والذكاء الشديد أرسي الهادي البشير رسول الله (صلي عليه وسلم) قواعد المجتمع الجديد في المدينة ، فقد كان مربياً ومعلماً تعلم منه صحابته, وكان يزكي نفوسهم ومجتمعهم ويحثهم على مكارم

---

[34] صالح , محمد مجذوب محمد : رؤية العالم في المفهوم الإسلامي ، 2008ن، الخرطوم ، ص 222

[35] السهيلى: مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 245

(36) السهيلي مصدر سبق ذكره ، ص 245

(37) سالم ، عبدالعزيز: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية ، ص 81.

الأخلاق, ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة, فكانوا عباد الله إخواناً يحبون بعضهم ويؤثرون بعضهم على أنفسهم. (38)

وبهذه المعاهدات صارت المدينة وضواحيها دولة , ورسول الله(صلي الله عليه وسلم) هو زعيمها ورئيسها ، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين, وبذلك تكونت الدولة الإسلامية الحقيقية على أرض الواقع و التي واجهت كل تيارات الزمان وحولت مجري التاريخ والأيام , إن إصدار الوثيقة يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم الاجتماع أ و السياسة , فهذه جماعة تقوم لأول مرة فى شبة الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة وعلى غير أساس رابطة الدم ، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار ، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين, ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة فى المدينة إلي أمد ولأول مرة و بحكم القانون حيث ترد الأمور إلي الدولة من خلال تغيير شامل وتحول سريع ، طوي الدستور صفحة اجتماعية طابعها القبلية ، وفتح صفحة جديدة أكثر ايجابية وأقرب إلي الترابط والتكافل والوحدة الفكرية , وبهذا بدا الدور السياسي للإسلام وأتخذ النبى (صلى الله عليه وسلم) فيه شخصية سياسية إلي جانب شخصيته الدينية ، وكان نظام الدولة التي أقامها النبي(صلى الله عليه وسلم) في المدينة من نوع أصيل جديد إذ كان يجمع بين الشورى والحكم المطلق كما قال تعالي :﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(*) وهذه الدولة فذة في تاريخ البشرية لأنها بالرغم من قيامها في الأصل على أسس دينية أقرت مبدأين لا وجود لهما من قبل أولهما هو حرية الأديان؛ وهي حرية لاتقرها الدولة الإسلامية وتسمح بها فحسب بل إنها تتعهد برعايتها، وثانيهما هو مبدأ تعريف فكرة الوطن والدولة في أوسع معانيها تسامحاً وإنسانية ، وهو مبدأ يكفل المساواة في الحقوق والواجبات الوطنية بين جميع أفراد الدولة على إختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وعقائدهم , وهي أول دولة قامت منذ أول أمرها على أساس دستور مكتوب, فكانت الدولة تقوم أولاً ثم يتطورأمرها إلي وضع دستور (39) .

إن الصحيفة أقرت دعائم الدولة الأربع , الأولي: الدستور الذي ينظم حياة أهل الصحيفة، وهو الصحيفة نفسها بموادها المختلفة، الثانية :الشعب الذي كان قاعدة هذه الصحيفة التي جاءت لتضع الأسس العامة للعلاقات بين أفراده وهم أهل الصحيفة, كما جاء في بعض موادها الذين هم المهاجرون والأنصار واليهود (ومن تبعهم ولحق بهم) فيما بعد إذا اعتبرتهم الصحيفة أمة واحدة من دون الناس , الثالثة :الأرض التي يقيم عليها أهل

---

(38) المباركفوري , : الرحيق المختوم ،,مصدر سبق ذكره ، ص 146 .
(*)سورة الشورى الآية 38.
(39) الشريف، احمد إبراهيم : الدولة الإسلامية الأولي (دارالقلم ,القاهرة ، 1965م) ، ص 65 – 69 .

الصحيفة والتي جعلت مكاناً آمناً لهم جميعاً (وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة) أي إنها أقرت مكاناً آمناً لجميع أهلها – لايجوز الاقتتال بينهم وحمل السلاح بعضهم ضد بعض إذا ما نشب خلاف بينهم أو بين جماعتين منهم ، والأرض وهي (يثرب) المدينة التي حرم فيها الاقتتال بين أهلها والرابعة : صاحب السلطة التي منحته إياها نصوص الصحيفة بشكل واضح ، وجعلته المسئول والمرجعية النهائية لأهل الصحيفة ، والحكم بينهم في حالة الحاجة إلي من يحكم بينهم في حالة الخلاف ، وهو هنا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم كما جاء في النص , وبذلك تحققت أركان السلطة الشرعية , وهي أركان الدولة كما يعرفها فقهاء السياسة وعلماؤها في العصور الحديثة [309].

وقد تبين لنا أن الرسول محمد (صلي الله عليه وسلم) أقام دولة بأركانها الأربعة وهى الأرض, والشعب, والقائد, والقانون،وعمل على حل المشكلات وبعد ذلك اتجه بسياسته الحكيمة في إصلاح الأوضاع والتطوير للدولة الجديدة، والإسلام نظام شامل ومتكامل يستجيب لكل متطلبات الإنسان الاجتماعية, والسياسية, والاقتصادية ذات الارتباط برقي الإنسان وسعادته. .

ث/ أجهزة الدولة الإدارية: -

قام الرسول (صلي الله عليه وسلم) بترتيبات وإصلاحات تنظيمية سريعة ثم كان العمل لإيجاد الأجهزة الإدارية للدولة بما يناسب تلك الفترة منها:-

1/مركز الحكومة: -

هو المسجد النبوي ، فيه تتم اللقاءات , وتعقد الاجتماعات , وتناقش الأمور, ويدور الحوار، وتعقد العقود ، وتبرم المعاهدات ، وتستقبل الوفود وتتم البيعة ، وتنظم الجيوش، ومنه تنطلق، كانت دولة الرسول (صلي الله عليه وسلم) متميزة , ورفعت شعار الدولة المتميزة وهو الأذان مجلجلاً بالوحدانية ، مع أن الأذان دعوة للصلاة إلا أن له معني آخر ومهمة أخري غير مهمة الدعوة للصلاة [310].

إنه إعلان رسمي صادر عن مقر الدولة الرسمي (المسجد) بقيام دولة الله في الأرض وإعلان سيادتها عليها بقيادة محمد (صلي الله عليه وسلم)؛ بعد أن تجاوزت كل العقبات التي وضعها العتاة في طريقها , وفاق تدبير المولي العزيز كل تدبير وفاقت قوته كل قوة[311] .

(309) فالح: مرجع سبق ذكره، ص55
(310) الاسمر: مرجع سبق ذكره, ص 213
(311) قلعه ،جي : مرجع سبق ذكره، ص 207.

2/ مقر إقامة قائد الدولة :-

عندما وصل النبي (صلي الله عليه وسلم) المدينة نزل على أبي أيوب الأنصاري ولمدة سبعة أشهر ، ولكن بعد ذلك أمر(صلي الله عليه وسلم) ببناء مساكن وحجرات بجوار المسجد ليقيم فيها ، وكون قائد الدولة لديه مسكن يستقر فيه ويجتمع فيه مع أهله ، فترتاح نفسه ويطمئن قلبه ، فذلك أدعي إلي حسن قيادته وإدارته لشئون الدولة , فكان هذا الإجراء ضروري , أما أبو أيوب فما كان يحب أن يخرج النبي(صلي الله عليه وسلم) من بيته أبداً(312).

3- الوزراء:-

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اني كثيراً كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كنت وابوبكر وعمر وفعلت وابوبكر وعمر وانطلقت وابوبكر وعمر) (313).

هذا الحديث يوضح ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعتمد على ابوبكر وعمر في كثير من شئون الدولة وهذا يجعلهما بمثابة المساعدين او الوزراء للرسول(صلى الله عليه وسلم)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :(أن الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء , جبريل وميكائيل , واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر)(314).

إن أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وزيرين للرسول(صلي الله عليه وسلم) في حياته وكان أبو بكر الصديق من النبي (صلي الله عليه وسلم) بمكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وثانيه في الغار, وكان(صلي الله عليه وسلم) يشاور أصحابه في المهمات ولكنه كان يخص أبا بكر بخصوصيات أخري(315).

4- هيأة حدود دولة المدينة :-

قام(صلي الله عليه وسلم) بتحديد حدود دولته ، فقال (صلي الله عليه وسلم): (المدينة حرم ما بين عير إلي ثور) (316).وقال (صلي الله عليه وسلم) : (مابين لابيتها حرام) (317) فحدود المدينة ما بين اللابتين أى ما بين الحرتين أو ما بين عير وثور .

حّرم رسول الله(صلي الله عليه وسلم) المدينة بريد في بريد من كل ناحية(318) لقد جعل من المدينة حرماً ثانياً بعد مكة للأمن والاستقرار ، وأرسل من أقام الأعلام المبينة على مداخلها البعيدة على مختلف رؤوس جبالها ،

---

(312) ابن كثير : البداية والنهاية , مصدرسبق ذكره، ص 247 – 268 .
(313)البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سبق ذكره ، ج3 ، ص 1345.
(314) السيوطى : مصدر سبق ذكره,ج 2، ص 298. .
(315) الكتانى: مرجع سبق ذكره ، ص 17.
(316) البخاري: صحيح البخارى, مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 662 .
(317) الحموي: مصدرسبق ذكره, ص84

وقد كان هذا التخطيط أول تخطيط مبتكر لإقامة حدود حديثة للمدينة فصلها عن ريفها بدون إقامة أبواب وحصون وأفهم كل قادم إلي يثرب أن شيئاً جديد حضارياً وإنسانياً قد قام فيها، وبذلك وضع (صلي الله عليه وسلم) حدود للدولة الأولي في صدر الإسلام[319]

5 - تشجيع التجارة وصدق المعاملة:-

حث(صلي الله عليه وسلم) على التجارة واشتغل بها في شبابه , وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خيرمن أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه) [320] وبين أن صاحب السلعة أحق بالمساومة ,فقال (صلي الله عليه وسلم) لبني النجار: عند شراء أرض مسجده (يابني النجار ثامنوني بحائطكم) [321].وعن النبي(صلي الله وعليه وسلم) قال: (إ ن المتبايعين بالخيار في بيعهما ما لم يتفرقا أو يكون البيع خياراً) [322].

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً ,وإذا أشتري سمحاً, إذا اقتضي سمحاً، وإذا قضي) ويقول (صلي الله عليه وسلم):(اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب) [323] و يروي أن النبي (صلي الله عليه وسلم) خرج ومعه بعض أصحابه إلي البقيع والناس

يبايعون فنادي (يامعشر التجار) فاستجابوا ورفعوا إليه أبصارهم وقال :(إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من أتقي وبر صدق) [324] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلي رسول الله (صلي الله عليه سلم) فقال: (يا رسول الله سّعر قال : (بل أدع الله) ثم جاءه رجل فقال :(يارسول الله سعّر) فقال: (بل الله يرفع ويخفض وإني لأرجو أن ألقى الله وليست لأحد عندي مظلمة) [325].

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إنما البيع عن تراض) [326]. عن ابن عمر قال : قال رسول الله(صلي الله عليه وسلم): (المكيال مكيال المدينة والوزن على وزن أهل مكة) وقال (صلي الله عليه وسلم) :(كيلو

---

(318) الدوالبى, محمد معروف : الدولة والسلطة في الإسلام (دارالشوا ف ,الرياض ، 1414ه) ، ص 62 – 63
(319) أبوطالب : مرجع سبق ذكره، ص 111.
(320) البخاري:المصدر السابق ,ج2،ص 730.
(321) نفس المصدر، ص 742.
(322) البخاري : المصدر السابق , ص 730 – 742 .
(323) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد : صحيح إبن حبان (مؤسسة الرسالة ، بيروت،1414هـ) الجزء 11ص276
(324) ا بن حبان مصدر سبق ذكره ، ص267 ، 271 ، 276
(325) البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي بن موسي : السنن الصغرى (الرياض ، مكتبة الرشد 1422هـ) الجزء 5 ، ص 259تحقيق محمد ضياءالرحمن الاعظمى.
(326) القزوينى، محمد بن يزيد : سنن ابن ماجة (دارالفكر, بيروت ، بدون تاريخ نشر) ، ج 2 ، ص 737 .

طعامكم يبارك فيه) .عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): (من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يكتاله) [327].ونهي(صلي الله عليه وسلم) عن الاحتكار فقال :(لايحتكر إلا خاطئ) [328]

وفي إطار اهتمامه(صلي الله عليه وسلم) بالجانب الاقتصادي والمعاشي للمسلمين أنشأ لهم سوقاً خاصة بهم تحكمها شروط وأخلاقيات جديدة كالصدق، وتحريم الربا والغش والكذب، خلافاً لأسواق اليهود التي كانت في المدينة ويفرضون فيها شروطهم كالربا، والإحتكار، والغش والكذب، فاختار مكاناً فسيحاً بأطراف المدينة بعيداً عن المحال السكنية،وذلك بإقتراح أحد الصحابة الذي قال للنبي (صلي الله عليه وسلم) إني نظرت موضعاً للسوق ، أفلا تنظرون إليه؟ قال : بلي فقام معه (فلما رآه أعجبه وركض برجله عليه السلام وقال نعم سوقكم هذا ، فلا ينقصن ولا يضربن عليكم بخراج ؛ وقد ظلت هذه السوق طيلة عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) عبارة عن فضاء حر دون بناء، يخضع في تدبيره لنظام سنة المساجد من سبق إلي مقعده فهو له حتى يقوم إلي بيته أو يفرغ من بيعه [329].

6/ الاهتمام بالطرق والتخطيط العمراني والا سكان:-

أولي الرسول (صلي الله عليه وسلم) الطرق اهتماماً كبيراً , باعتبارها مجالاً لحركة الأنشطة الاقتصادية الاجتماعية, فقد عمد إلي ربط كل أحياء المدينة بالمسجد الجامع من خلال شوارع رئيسية تفرعت عنها طرق فرعية تمتد إلي مختلف التجمعات السكنية ؛ لتسهيل حركة المرور داخل المدينة، وقد كان عرض الطرق الرئيسية يقدر من أربعة أو خمسة أمتار, بينما عرض الطرق الفرعية كان يقدر بين مترين أو ثلاث أمتار[330].

اعتبر الرسول(صلي الله عليه وسلم) الطريق واجباً وحقاً لكل مواطن؛ فمن حيث هي واجب فلضرورة المساهمة فيها عند الاقتضاء باعتبارها نوعاً من الإرتقاء [331] ؛ وأما من حيث هو حق فلأن استعماله مشاع بين

(327) النسائي،الإمام أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب : السنن الكبرى (دارالكتب العلمية , بيروت ، 1411هـ) الطبعة الأولي الجزء الرابع ص 35 – 36 .

(328) ابن حنبل ، احمد : مسند ابن حنبل(مؤسسة قرطبة, القاهرة ، بدون تاريخ نشر) ، الجزء الثالث ، ص453 .

(329) السمهودى ، علي بن عبد الله بن احمد الحسني : خلاصة الوفاء باخباردارالمصطفى (دارالكتب العلمية، بيروت ، 1419ه)- الجزء الثاني ، ص227 .

(330) السمهودي ، مرجع سق ذكرخ , ص 59

(331) لمعى, مصطفي صالح : المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري (دار النهضة العربية ، القاهرة 1981م) ص 32 – 32 .

الجميع ، وقد جعل الرسول(صلي الله عليه وسلم) آداب عامة منها عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): (إياكم والجلوس بالطرقات) قالوا: يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا ، نتحدث فيها قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): (إذ أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي من المنكر)[332]

والتخطيط العمرانى فقد كان نواة التغير فيه هو بناء المسجد النبوي في أرض وسط المدينة، ثم شقت الشوارع و الطرق الرئيسة منه في اتجاه ضواحي وأطراف المدينة، فأقطع بذلك (صلى الله عليه وسلم) الدور للناس، فخط لبنى زهرة من ناحية مؤخرة المسجد فكان لعبد الرحمن بن عوف الحصن المعروف به ، وجعل لعبد الله وعتبة ابنى مسعود الهذليين[*] الخطة المشهورة بهم عند المسجد, وأقطع الزبير بن العوام بقيعاً ًواسعاً، وجعل لطلحة بن عبيدالله موضع دوره,ولابى بكررضى الله عنه موضع داره عندالمسجد , واقطع عثمان بن عفان موضع داره، فكان رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقطع أصحابه هذه القطائع من الأرض التي لم تكن ملكا لأحد ، وكذلك من الخطط المسكونة العامرة التى وهبها له الأنصار.

وهكذا نظم وخطط النبى (صلى الله عليه وسلم)المدينة المنورة وبدأت بعد ذلك فى الإتساع لهذا التنظيم البديع الذي يدل على معرفة ودراية بالشئون الهندسية منه(صلى الله عليه وسلم)؛ حيث جعل نواة المدينة هى المسجد النبوي الشريف ومنه تفرعت الطرق, وحوله سكن الناس, ولذلك ميزة سياسية وأخرى اجتماعية.

7/الاهتمام بالإعلام ووسائل الإتصال:-

اهتم الرسول(صلي الله عليه وسلم) بدور الإعلام؛ وذلك لأثره الكبير في هزيمة الأعداء معنوياً، فقد ورد عنه (صلي الله عليه وسلم) قوله لحسان بن ثابت[*] :(أجب عني ,اللهم أيده بروح القدس) عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول لحسان بن ثابت :(اهج المشركين فان جبريل معك)[333].

---

(332) مسلم : مصدر سبق ذكره، ج7 ، ص 2 .
(*) الهذليين : نسبه الى بني هزيل وهم بطن من مضر وهم بنو هزيل بن مدركة بن الياس.
- القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان: مصدر سبق ذكره ، ص140 .
(*)حسان بن ثابت: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجى ، شاعر الرسول ﷺأمه الفريعة بنت خالد, مات وعمره عشرين ومائة سنة.
- العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة ، مصدر سبق ذكره ،ج2، ص 64.
(333)النسائي : احمد بن شعيب ، سنن النسائي (دار الكتب ، بيروت ،1411 هـ) ج5 ، ص80.

وكانت أهم وسائل الإتصال وتبليغ الأمة هي وسيلة الأذان في أي وقت, فكانت بمثابة إعلام قوى لكل الأمة الإسلامية في المدينة المنورة, فكان ينادى المؤذن إن كان هناك أمر طارئ بقوله الصلاة جامعة، الصلاة جامعة [334].

فقد إهتم (صلي الله عليه وسلم) بأمر الإعلام ؛لأن أي دولة لا تملك قوة إعلامية فإنها معرضة للتهديد والضياع , مما يوضح الرابطة بين الأمن والإعلام, وهو بعد نظر سياسي منه (صلي الله عليه وسلم)[335].

8 / تشجيع الزراعة والري :-

حث(صلي الله عليه وسلم) على إحياء الأرض الموات ، وعن عائشة رضي الله عنها عن الرسول (صلي الله عليه وسلم) انه قال:(من عمّر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها) [336]وعن سعيد بن زيد[*1]عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: (من سبق إلي ماء لم يسبقه إليه مسلم فهو له) [337].و أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قضي في شرب النخل من السيل أن الأعلى فالأعلى يشرب قبل الأسفل ويترك الماء إلي الكعبين ثم يرسل الماء إلي الأسفل الذي يليه وكذلك حتى تنقضي الحوائط أو ينفي الماء[338] , وقال(صلي الله عليه وسلم): (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ) [339]

وقد اهتم الإسلام بالزراعة وكثر إعتناء الصحابة بها وإشتغل بهاعدد من الأنصار,عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة, وما سرق منه له صدقة, وما أكل السبع منه فهوله صدقة , وما أكلت الطير فهو له صدقة, ولا يرزؤه[*] أحد إلا كان له صدقة) [340]وهي دعوة إلي استغلال الأرض وزيادة الرقعة الزراعية لتوفير الغذاء , وهو خطوة في مجال التنمية الاقتصادية , وبذلك يضمن (صلي الله عليه وسلم) التحرر من التبعية, ويتحقق له حرية إتخاذ القرار السياسي دون إكراه ويتجنب ما يسمي بالفجوة الغذائية الآن[341]

---

(334) النسائي , احمد شعيب : فضائل الصحابة (دارالكتب العلمية , بيروت ، 1405) الجزء الأول ص 44 .
(335) قلعة جي : مرجع سبق ذكره، ص 123 .
(336) البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص823 .
(*1) سعيد بن زيد : هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي العدوى احد العشرة المبشرين بالجنة ، كان من السابقين إلي الإسلام اسلم قبل دخول الرسول صلي الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر إلي المدينة .
- العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، مصدرسبق ذكره , الجزء 3 ص 103 .
(337)ابن ماجة: مصدرسبق ذكره ، ص 49 – 30 ، 829 .
(338) البخاري ، مصدر سبق ذكره ، ص829-832
(339) نفس المصدر ، ج5 ، ص830 .
(*) يرزؤه : من يرزأ بمعنى يجمع منه ويقبض .
- ابن منظور : مصدر سبق ذكره ، ج5 ، ص305.
(340) مسلم : مصدرسبق ذكره , ج 5 ، ص 27 .
(341) قللعة جي : مرجع سبق ذكره، ص 99 .

9/ تشجيع الصناعة :-

روى أن إمرأة جاءت ببردة منسوجة فقالت :يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي فجئت اكسوكها, فأخذها النبي(صلي الله عليه وسلم) فدل ذلك على وجود صناعة النسيج فى عهده (صلى الله عليه وسلم),وكذلك من الصناعة التي وجدت في عهده(صلي الله عليه وسلم) الدباغة, فقد روي أن أم المؤمنين زينب بنت جحش[*1] كانت امرأة صانعة يد فكانت تدبغ وتخز[*2] وتتصدق, ووجدت أيضا الخياطة ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله(صلي الله عليه وسلم) يكون في مهنة اهله واذا سمع الاذان خرج) [342] , وكذلك وجدت النجارة , فطلب الرسول (صلي الله عليه وسلم) أن يصنع له منبر فصنع له[343] , وكذلك كان من الحرف حرفة البناء, فأول ما قدم(صلي الله عليه وسلم) قام ببناء مسجد قباء, كذلك اشترك في البناء عمار بن ياسر وكان يحمل لبنتين لبنتين وهذا يدل على ان البناء كان من الحرف المنتشرة في عهده(صلى الله عليه وسلم), فورد عنه(صلي الله عليه وسلم) أنه قال: وهبت لخالتي غلام وانى أرجو أن يبارك لها فيه فقلت لها: (لا تسمه حجاما ولا صائغاً ولا قصاباً) فدل ذلك الحديث على وجود هذه الحرف في زمنه (صلي الله عليه وسلم)[344] .

10/الإهتمام بالثروة الحيوانية :-

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: (بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثري من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي؛ فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقي الكلب فشكر الله له فغفر الله له) قالوا يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجر ؟ قال :(في كل كبد رطبة أجر) وأن رسول الله(صلي الله عليه وسلم) قال:(عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار)[345]وأمر كذلك بتوفير الكلأ وأن يكون حق للجميع , ومثل البند الذي ينص على تحريم جوف المدينة والإتجار إلا بأذن أهلها أثر طيب في الحفاظ على ثروتها الحيوانية والزراعية, كما جعل رسول الله(صلي

(*1)زينب بنت جحش: زوج النبي ﷺ أخت عبد الله بن جحش هي أسديه من أسد بنى خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ كانت قديمة الإسلام، تزوجها زيد بن حارثة مولى النبيﷺ ثم تزوجها الرسول ﷺ.
- ابن الاثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة, مصدر سبق ذكره , ص 357.
(*2) تخز : مأخوذة من الخز ، هو ثياب تنسج من صوف وقد لبسها الصحابة .
- ابن منظور : المصدر السابق ، ج5 ، ص 345 .
(342)البخاري ، صحيح البخاري ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 2052 ..
(343) نفس المصدر ، ص 172.
(344) الكتاني، الشيخ عبد الحي : نظام الحكومة النبوية,المسمى الترتيب الإدارية (دارالكتاب العربى , بيروت ، بدون سنة نشر) ج 2 ، ص56- 60 -75 -80 .
(345) البخاري: مصدر سبق ذكره, ص 833- 834 .

الله عليه وسلم) حرماً للمدينة لا يختلى خلاه ولا يعضد شجره, وهذا اهتمام منه (صلي الله عليه وسلم) بأمر الثروة الحيوانية وتشجيع تربيتها[346]

11/ الا هتمام بالصحة :-

أهتم الإسلام والرسول (صلي الله عليه وسلم) بالصحة الوقائية والعلاجية , فقال (صلي الله عليه وسلم): (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) [347]عن بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الشفاء في ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية من نار وانهي امتي عن الكي) [348] وقال(صلي الله عليه وسلم): (أن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام؟ قلت ما السام؟ قال : الموت[349]. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلي عليه وسلم) قال: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الأخر داء) [350].

نهي النبي (صلي الله عليه وسلم) عن الشرب من في السقاء, وأيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(السواك مطهرة للفم مرضاه للرب) قال (صلي الله عليه وسلم): (إذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبع مرات) [351].

فهذه الأحاديث تدل على إهتمامه(صلي الله عليه وسلم) بالصحة ؛لأنها أعظم ما يملكه الإنسان وهي الدينمو المحرك للإنسان لكي يقوم بكل أعماله ، وهذه المحاذير الصحية التي بينها الرسول الكريم لم يتوصل إليها العلم إلا أخيراً وبعضها لم يتوصل إليه حتى اليوم .

12/توفير مياه الشرب:-

لقد كانت معاناة المسلمين من قلة مياه الشرب في المدينة واضحة, ولا حظها النبي (صلي الله عليه وسلم), وشعر بالمسئولية أمام هذه المشكلة, فقال للمهاجرين :(من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم, وله بها مشرب في الجنة) [352].فأتي عثمان بن عفان إلى اليهودي الذي كان يملك البئر فساومه فيها فأبي أن يبيعها كلها فاشتري نصفها باثني عشر الف درهم فجعلها للمسلمين ، فقال له عثمان رضي الله عنه :

---

(346) قلعة جي : مرجع سبق ذكره، ص 98 .
(347)البخاري: المصدر السابق، ص 2151 .
(348)نفس المصدر ، نفس الصفحة
(349) البخاري : المصدر السابق ، ص2153 .
(350)نفس المصدر, ص2151 – 2153 – 2180 .
(351) مسلم : صحيح مسلم ، ص 162 .
(352)البخاري: صحيح البخاري, مصدرسبق ذكره،ج 2،ص 827 .

(إ ن شئت جعلت على نصيبي قرنين وإن شئت فلي يوم ولك يوم , قال :(بل لك يوم ولي يوم)، فكان إذا جاء يوم عثمان استقي المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأي ذلك اليهودي قال :(أفسدت على ركبتي(*) فاشتر النصف الأخر) فاشتراه بثمانية ألاف درهم وجعله في سبيل الله فحل مشكلة مياه الشرب في المدينة (353).

13/ التربية والتعليم :-

لقد اهتم الإسلام بالتربية والتعليم ، فأول ما نزل من آيات القرآن الكريم على محمد (صلي الله عليه وسلم) تأمره بالقراءة , وقد ضمت الآيات الخمس الأولي ست عبارات تتعلق بالقراءة والكتابة والعلم والتعليم كما قال تعالى, (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (*2) وهذه الآيات تشكل ا فتتاحية وحي السماء ، وهذا يعني إن أهم ما جاء به الإسلام لتحقيقه هو نشر العلم بكل فروعه ، و أمرته (صلي الله عليه وسلم) أن يتعلم ويقرأ لأنه كان أمياً ، والأمر لكل الأمة ، والخالق العظيم جعل من القلم أساساً للعلم ، وبهذا القلم تعلم الإنسان كثيراً من المعارف ، والأمر الإلهي للإنسان- الغارق في بحار الجهل والجاهلية- حمله إليه النبي الأمي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بكلمة اقرَأ بكل مافي هذه الكلمة من إيحاء إلي طرق أبواب العلم والمعرفة ، ثم اتبعت هذه الدعوة إلي القراءة بدعوة إلي أختها ؛ وهي الكتابة بالقلم (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) تنبيهاً وإشارة إلي أن حضارة الإسلام لن تبني إلا بالعلم وعماد العلم البشري هو القراءة والكتابة .

والقراءة يجب أن تبدأ باسم الله وكذلك كل أمر وكل حركة ، وكل خطوة وكل عمل ، وقوله تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) واستعماله لاسم الرب بالخصوص فيه تنبيه للناس على أهمية وضرورة التربية ، فعلى المسلمين أن يقرأوا ويتعلموا من أجل تربية البشر ، وهذا ما قام به الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم

وتعليم الرب للإنسان بالقلم ؛ لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان ، والله سبحانه وتعالى يعلم أهمية القلم فيتخذ منه رمزاً في أول سورة من سور القران الكريم نزولاً ,عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله(صلي الله عليه وسلم) (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (354).وقال(صلي الله عليه وسلم): (ما من رجل يسلك طريقاً يطلب فيه علماً إلاّ سهل الله له به طريق الجنة, ومن أبطأ به عمله لم يسر ع به نسبه) (355).

(*) ركبتي : ماخوذة من الركبة وهي المرة الواحدة .
- ابن منظور ، مصدر سبق ذكره ، ص 428.
(353)ابن عبد البر : مصدرسبق ذكره , ص, 320 .
(*1) سورة العلق الآيات (1 - 5) .
(354)المتقى، علاء الدين علي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفال، مؤسسة الرسالة، المدينة، 1981م.
(355)السجستانى ,ابوداود سليمان بن الاشعث: سنن أبى داود (دار الكتاب العربى, بيروت .بدون تاريخ نشر)ج3ص355

فقد قضى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حياته كلها معلماً ، وداعياً لنشر العلم والمعرفة ,وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة في الإسلام ، حيث كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يعلم أصحابه في هذه الدار سراً ، ولما هاجر(صلي الله عليه وسلم) أصبح مسجده أول مدرسة, وكان هو أول معلم فيها وتلاميذه هم الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً[(356)] .

وخلاصة لما سبق فقد تمكن(صلى الله عليه وسلم) بعون الله وتوفيقه له ومساندة وقبول الأنصار من الدخول إلى المدينة المنورة بعد هجرة ورحلة شاقة ومضنية, حاولت قريش فيها قتله, لكنه كان واثقاً من نصر الله تعالى, وعمل فور وصوله على تأسيس مجتمع جديد فاضل يقوم على شرع الله تعالى, وعلى المحبة ,والتعاون, والإيثار, والأخوة الصادقة في الله تعالى, و غير كل أوجه الفساد التي كانت سائدة، وذلك من خلال أسس اجتماعية كالإخاء بين المهاجرين والأنصار, وأسس روحية كبناء المسجد لعبادة الله سبحانه وتعالى بصورة علنية دون خوف من أحد, وأسس اقتصادية وسياسة كالصحيفة التي جمعت كل جوانب الخير للبشرية جمعاء.

وأهتم (صلى الله عليه وسلم) بتوفيركل متطلبات الحياة الراقية فى مجتمع المدينة الجديد من صحة, وتعليم, وتوفير مياه ،وزراعة، وصناعة، وتجارة، وطرق، ووسائل اتصال، وثروة حيوانية, تخطيط عمراني، وإسكان في تلك الفترة المظلمة الجائرة ، فكان صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة لكل بني البشر، فتغير مجتمع يثرب بهجرته (صلى الله عليه وسلم)، فصار من أفضل المجتمعات التي حوله؛ فساد فيه الأمن والاستقرار والرخاء في فترة وجيزة من الزمن .

---

(356)ابن كثير: البداية والنهاية, مصدرسبق ذ كره ج 3ص264.

الخاتمة

وها كذا قامت الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة ، وكانت دولة تتكون من أرض ذات حدود جغرافية واضحة وذات خصائص مميزة ، ينظمها دستور عام، وتحتكم إلى قانون يطبق بالعدل والمساواة على جميع السكان، وهي لم تتم عن طريق المصادفة، ولا كان ميلادها طفرة غير مسبوقة بأحداث تمهد وتهيئ لظهورها, بل مرت بمراحل عديدة غيرت وبدلت المجتمع، وهذبت النفوس.

وكان ﷺ هو الذي أقام هذه الدولة بين أقوام كانوا من قبل لا يحكمهم قانون، ويعبدون الوثن , ويفترون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، وعدل عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم، وحولهم من أمة جاهلة متوحشة تعيش على السلب والنهب والظلم إلى أمة قمة في الأخلاق والصدق والمعاملة الحسنة وسباقة إلى العلم والرقي.

واستطاع محمد ﷺ أن يأتي بنموذج جديد للعالم, يمزج فيه بين الجانب الروحي والمادي في تناغم وتناسق لم يسبق له مثيل فبنى دولة ودين، فكان بذلك المعلم الروحي الصادق والسياسي النزيه والحاكم العادل.

تميزت الدولة الإسلامية الأولى التي أسسها الرسول ﷺ عن غيرها تميزاً تاماً, فقد كان النظام السياسي الذي أرساه الرسول ﷺ مغايراً للنموذج القبلي الذي كان سائد في شبة الجزيرة العربية، وكذلك كان مخالف للنموذج الإمبراطوري الذي كان سائد في العالم سواء من حيث الشكل والمضمون , ما يعني أن الإسلام جاء بنظام فريد في الحكم من غير تأثير بما هو قائم، وأن ذلك النظام هو النموذج الوحيد الذي ينبغي تطبيقه على أرض الواقع, وليس في ذلك إستحالة أو صعوبة فقد طبقه محمد ﷺ من قبل، فهو أنسب أنواع الأنظمة السياسية بل هو أفضلها على الإطلاق ، فهو يجسد أحكام شرعية تخرج من مشكاة النبوة مباشرة كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[357].

---

(357) سورة الأحزاب الآية 21.

النتائج والتوصيات

أ/ النتائج:-

1. إن محمداً ﷺ ولد في أشرف بيت من بيوت العرب، دلالة على إعداده لأمر الدعوة.
2. لم يقف يتم الرسول (صلى الله عليه وسلم)عقبة في طريق قيادته للبشرية .
3. أثرت حرفة رعي الغنم في تدريب الرسول(صلى الله عليه وسلم) وإعداده لقيادة البشرية.
4. كان لخديجة بنت خويلد الأثرالقوى فى تثبيت أركان الدعوة الإسلامية.
5. حفظ الله لمحمد ﷺ القائد في طفولته من خرافة ودنس الجاهلية.
6. استخدام السرية والتكتم كانت من أهم نجاح الرسول(صلى الله عليه وسلم).
7. الصبر والحكمة من الصفات التى ساعدت الرسول(صلى الله عليه وسلم) على أن يكون قائداً سياسياً ناجحاً.
8. الثبات على المبدأ وعدم إستعجال النتائج من أهم عوامل نجاح الرسول (صلى الله عليه وسلم).
9. الابتلاء قبل التمكين للرسول(صلى الله عليه وسلم) كان من أجل التمحيص.
10. السفيرفي الإسلام له صفات مثل الفصاحة، العلم ، الصدق ،والشجاعة والحكمة.
11. الالتزام بأوامر القائد واجب حتى في أحلك الظروف.
12. أخذ الرسول(صلى الله عليه وسلم) بالأسباب مع توكله على الله.
13. استخدم الرسول(صلى الله عليه و سلم) خبراء غير مسلمين عند الضرورة بعد أن عرف عنهم الصدق والذكاء وعدم الخيانة.
14. أقام ﷺ دولة بكل أركانها في فترة وجيزة، وكان العدل أساسها، وكذلك سادت فيها التعددية والحرية الدينية.
15. تمثل بيعة العقبة الثانية وما جرى فيها من أحداث الأساس لحرية الإختيار عند الأمة لمن يمثلهم.

ب/ التوصيات:-

توصي الدراسة بالأ تي:-

1. دراسة حالة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام خاصة الحالة السياسية، حتى تظهر النعمة والنقلة التي جاء بها الإسلام على العرب والعالم أجمع.
2. على الباحثين التنقيب عن تراثنا الإسلامي وبخاصة تلك الفترة التي تمثل عهد النبوة ومحاولة دراسة أحداث ووقائع تلك الفترة دراسة متأنية فاحصة، لنستلهم منها الدروس والعبر؛ حتى يتسنى لنا النهوض من الكبوة التي نعيشها الآن.
3. على السياسيين أن يتأملوا بعين تخصصهم السيرة النبوية وما بها من جانب سياسي والخروج بدراسة تفيد الأمة الإسلامية ؛لأن أزمة الأمة الآن سياسية.
4. يجب إخضاع هجرتهﷺ لمزيد من الدارسة ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ.
5. إنشاء مراكز تربوية تهتم بالأيتام.
6. إنشاء مراكز ومعاهد خاصة لتدريب وإعداد الكوادرفي مجال القيادة في مختلف المجالات.
7. الإهتمام باللغة العربية أكثر من غيرها من اللغات الأخرى.
8. تفعيل دور المساجد حتى تتحقق نهضة الأمة الإسلامية.
9. دراسة المؤاخاة بتأمل والخروج منها بما يفيد الأمة الإسلامية في مجال التعددية وقبول الآخر؛ حتى يحدث التوازن الاجتماعي.
10. إخضاع دستور المدينة لمزيد من الدارسات والتحليل؛ حتى نستفيد منه في واقع حياتنا المعاصرة بالذات في الدول الإسلامية التي تحوي تجمعات مطابقة أو مقاربة لمجتمع المدينة.
11. تطبيق نموذج النبي ﷺ في تكوين الدولة الإسلامية على أرض الواقع ؛ حتى ينصلح أمر الأمة الإسلامية ؛لأنه لا ينصلح أمره هذه الأمة إلا بما أنصلح به أولها.

نحمدك اللهم حمداً كثيراً طيباً بأن وفقت لإنجاز هذا البحث، وأنت المستعان به بدءاً وختماً، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

الملاحـــق

ملحق رقم (1)

كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم . وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

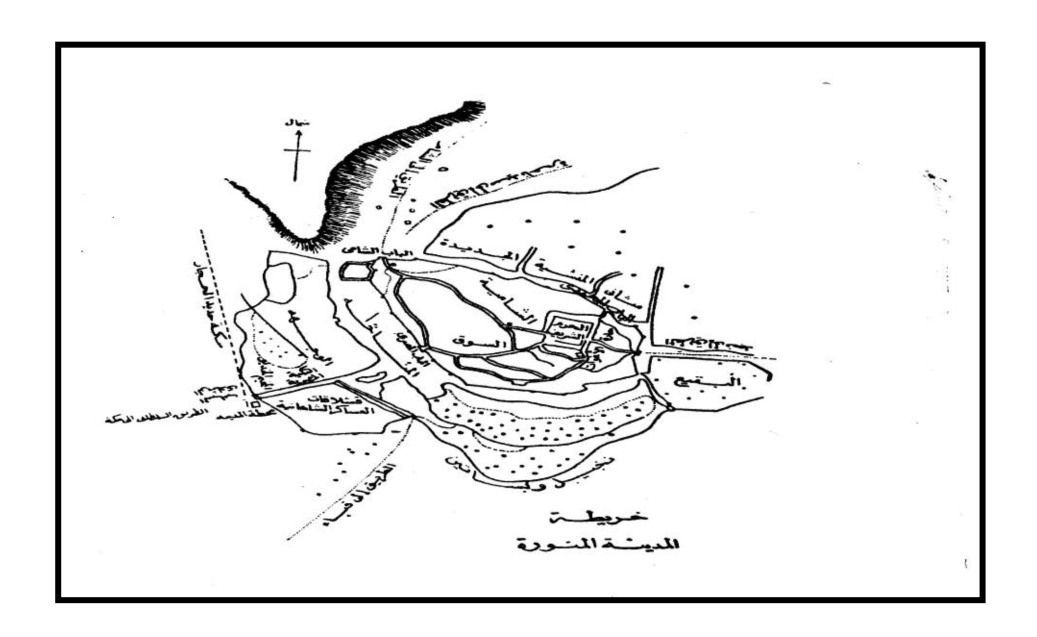
هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم . إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم يتعاقَلُون بينهم وهم يَفْدُون عانيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيَها بالمعروفِ والقسطِ بين المؤمنين . وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروفِ والقسطِ بين المؤمنين . وبنو جُشَم على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النَّجّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى . وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فِداء أو عَقْل . وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسيعَة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين . وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر . ولا ينصر كافراً على مؤمن . وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم . وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وإنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم . وان سِلْم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سَواء وعدل بينهم . وإن كل غازية غزت منا يُعقب بعضُها بعضاً . وإن المؤمنين يُبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هَدي وأقومه . وإنه لا يُجيرُ مشركٌ مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيِّنة فانه قَوَد به إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه . وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثاً ولا يؤويَه وأنه من نَصَره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبَه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فانه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني جُشَم ، مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود

بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته . وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن البر دون الإثم وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته . إلا من ظلم . وإن الله على أبر هذا . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم. وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم . وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وانه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها . وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ . وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه . وإنهم اذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة. وان البر دون الاثم ،لا يكسب كاسب الا على نفسه، وان الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ(٣) .

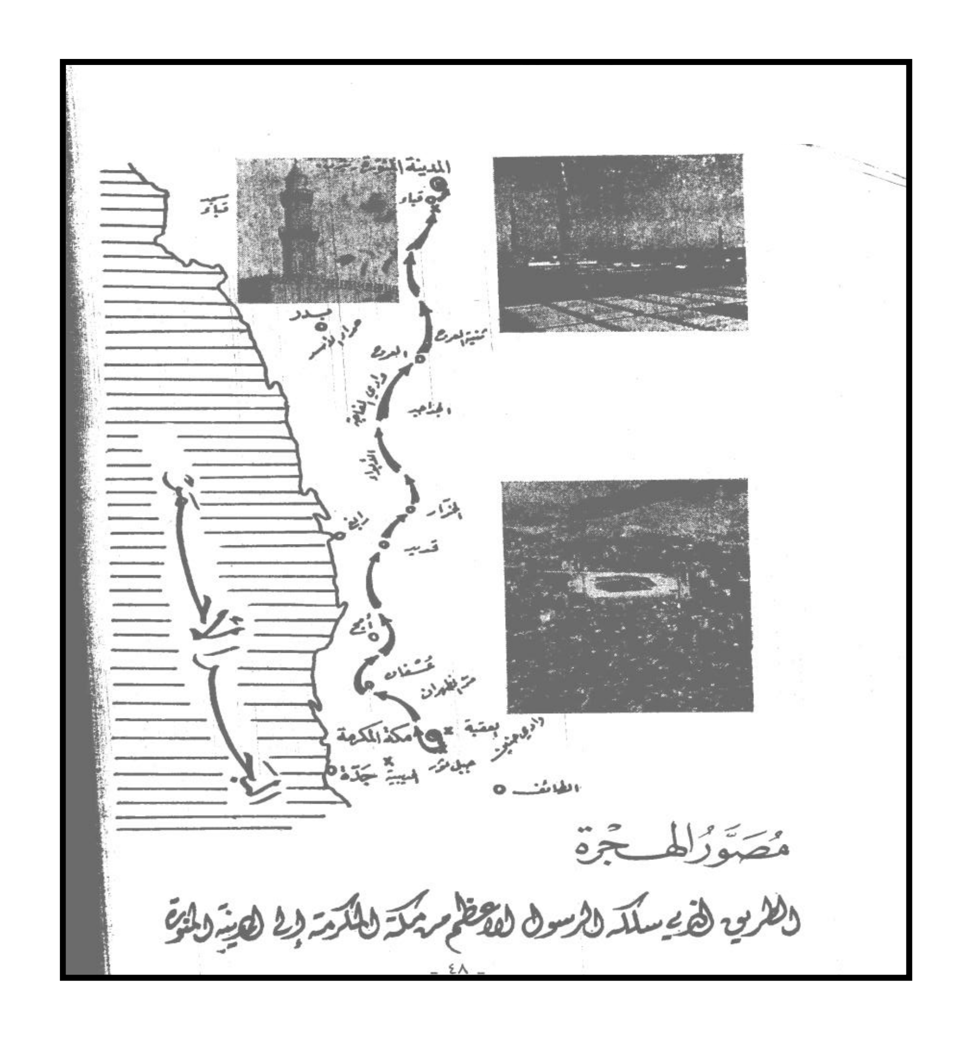
الزغبي، محمد عفيف : مختصر السيرة النبوية لابن هشام ، دار المطبوعات الحديثة ، جده،989 ص106،107

ملحق رقم (2)



المصدر: هيكل ، محمد حسين : حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر، ص184

ملحـــــق رقـــــم (3)



المصدر: ابوخليل ، شوقي : التاريخ الاسلامي ، دمشق ، 1991م ، ص48

المصادروالمراجع

أ-المصادر الاولية :-

- القرآن الكريم .

2 - السنة النبوية .

1-البخاري,محمد بن أسماعيل ابو عبد الله,صحيح البخارى,دار ابن كثير ,بيروت ,**1987م.**

2-الترمذي,محمد بن عيسى,سنن الترمذي, دارإحياء التراث العربي, بيروت, بدون تاريخ نشر

3-ابوحاتم,محمد بن حبان بن أحمد,صحيح ابن حبان,مؤسسة الرسالة,بيروت,1997م.

4-ابن حنبل,أحمد ابو عبد الله,مسند ابن حنبل,مؤسسة قرطبة,القاهرة,بدون تاريخ نشر.

5-ابن خزيمة,محمد بن اسحاق ,صحيح ابن خزيمة,المكتب الاسلامى, بيروت,1390ه,تحقيق محمد مصطفى الاعظمى.

6-السجستانى,ابو داود بن الاشعث, سنن ابي داود, دارالكتاب العربى,بيروت,بدون نشر.

7-القزويني,محمد بن يزيد, سنن ابن ماجة , دار الفكر, بيروت,بدون تاريخ نشر.

8 –مسلم,ابو الحسين مسلم بن الحجاج,صحيح مسلم ,دار الجيل,بيروت,بدون تاريخ نشر.

9-النسائى,الامام ابى عبد الرحمن ,احمد بن شعيب,السنن الكبرى,دارالكتب العلمية, بيروت,1411ه

-ب - المصادر العربية الأولية :-

1- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، بيروت ، 1993م .

2---------------------- الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1968 م

3- ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق بن يسار ، السيرة النبوية ، خزائن القرويين ، فأس ، 506هـ.

4 - الأصبهانى , احمد بن عبد الله بن احمد ، معرفة الصحابة ,دار الوطن ,الرياض 1998م

6- البري ، محمد بن أبي بكر بن عبد الله ، الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة ، دار الكتب ، القاهرة ، 645هـ .

7- البلاذري ، ابو الحسن أحمد بن يحيى ، أنساب الاشراف ، دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ نشر ، تحقيق د كتور محمد عبد الله .

8- البيهقي ، أحمد بن الحسين بن على أبو بكر ، دلائل النبوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1405هـ ، تحقيق عبد المعطي قلعجي .

9- ---------------------- , السنن الصغرى , الرياض , مكتبة الرشد 1422ه, تحقيق محمد ضياء الرحمن الاعظمى .

10------------------------,شعب الايمان, مكتبة الرشد للنشروالتوزيع, الرياض,2003 م .

12- ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، تلقيح مفهوم الاثر في عيون التاريخ والسير ، شركة الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، 1997م .

14- ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982م ، تحقيق عبد السلام هارون .

15- ______________________جوامع السيرة، دار المعارف، مصر،1900م

16- الحلبي ، على بن برهان الدين ، السيرة الحلبية في سيرة الامين المأمون ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1044هـ .

17- الحموى، الامام شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت،معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1979م

18- الحميري، أبو عبيدة محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، مكتبة المثنى ، بغداد 1959 م تحقيق عبد المنعم عامر .

21- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ نشر .

22- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، تاريخ الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1987م ، تحقيق دكتور عمر عبد السلام تدمري .

23- ------------------ ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993م

24- الزبيرى، مصعب بن عبدالله بن مصعب، نسب قريش، دار المعارف،القاهرة،بدون تاريخ نشر.

25 - الزركلي، خير الدين بن محمود ، الاعلام ، دار الملايين ، بيروت ، 2002م

26- الزناتي، أنور محمد علي، عجائب البلدان من خلال مخطوط فريدة العجائب وفريدة الغرائب ، جامعة عين شمس ، مصر ، بدون تاريخ نشر .

28- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ، بدون نشر .

29- السمهودي ، على بن عبد الله بن أحمد الحسنى ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1419هـ .

30- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف، المطبعة الجمالية ، مصر 1914م .

31- ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى، عيون الأثر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1986م

32- الشهر ستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، دار المعرفة ، بيروت ، 1404هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

33- الاصمعى،عبد الملك بن قريب بن عبد الملك،الأصمعيات، دار المعارف،مصر، بدون تاريخ نشر.

34 - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ، تفسير الطبري مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، 1374هـ المحقق أحمد محمد شاكر .

35----------------------- تاريخ الطبرى, مؤسسةالأعلمى للمطبوعات , بيروت,1879م.

36- ابن عبد البر ، يوسف عبد الله : الإستيعاب في معرفة الاصحاب ، دار الجبل ، بيروت ، 1412م ، الطبعة الثانية حققه على البجاوي .

37- ابن عساكر، أبو القاسم بن على ، تاريخ دمشق ، دار الفكر ، بيروت ، 1996م ، تحقيق محب الدين ابو سعيد .

38- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الجيل، بيروت 1412هـ .

39- ______________________، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1984م.

40- ______________________، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379هـ .

41-______________________، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، 1986 م .

42_ أبو الفداء،عماد الدين إسماعيل، المختصر فى تاريخ البشر، المطبعة الحسينية،1325م

43- أبن قتيبة أبو عبد الله بن مسلم ، المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .

44_______________________,الشعروالشعراء،مطبعة، بريل ليدن،1902م.

45- 46- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب، بيروت، 1980م ، الطبعة الثانية ، تحقيق ابراهيم الانباري .

47- ______________________، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، دار الكتاب المصري، القاهرة ، 1982م .

48- ابن القيم ، محمد بن ابي بكر أيوب بن سعد ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994م .

49- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت 1989م.

50- ـــــــــ تفسير ابن كثير ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1999م ، تحقيق سامى بن محمد عبد الرحمن .

51- ـــــــــ السيرة النبوية، دار المعرفة ، بيروت ، 1971م

52- ابن الكلبي، هشام بن محمد أبي النضر بن السائب، الأصنام، المكتبة الذكية، القاهرة، 1914م.

53- المباركفورى، صفى الرحمن،الرحيق المختوم،شركة الأرقم بن ابى الأرقم للطباعة والنشر، بيروت،1976م..

54- المحلي، جلال الدين محمد بن احمد ، وجلال الدين بن ابي بكر ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر .

55- المسعودى، أبوالحسن على بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دارالفكر، بيروت، 2000م

56 - الندوي، الحسين بن مسعود، الأنوار في شمائل النبي المختار، دار الضياء للطباعة والنشر، 1989م .

58- ـــــــــ ، فضائل الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1405هـ .

60- ابن هشام، ابي محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، دار الجيل ، بيروت ، 1987م ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

61- الهمداني، ابو محمد بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، مطبعة السعادة ، القاهرة، 1963م .

62 - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، دار الفكر، بيروت ، 1956م .

الرسائل الجامعية:-

1-أحمد , عبدالله أحمد،منهج النبي صلى الله عليه وسلم فى نشرالدعوة وحمايتها،رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة الجزيرة، كلية التربية، حنتوب2008م.

2-جمال,عبده أحمد,العمل السياسي في السيرة النبوية من البعثة حتى تكوين الدولة, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الجزيرة, كلية التربية , حنتوب, 1999م

3- ناجى, سعيد،التربية القيادية فى العهد النبوى وأساليبها، رسالة ماجستيرغيرمنشورة، جامعة الجزيرة،كليةالتربية، حنتوب،2000م.

4-نعمان, على هزاع، الفقه السياسى للرسول صلى الله عليه وسلم فى تكوين الدولة، رسالة ماجستيرغيرمنشورة،جامعةالجزيرة, كليةالتربية، حنتوب,2000م.

المراجع العربية:-

63. -ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بدون تاريخ نشر.

64. - الأزرقى، ابى الوليد بن محمدعبد الله ، أخبار مكة وماجاء فيها من الاثار،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ.تحقيق د كتورعلى عمر.

65. - الاسمر، أحمد رجب،القدوة فى السيرة النبوية، دار الفرقان،2004م

66. - ابو البقاء ، محمد بن أحمد بن محمد ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004م ، الطبعة الثانية

67. - بك، محمد الخضري ، نور اليقين في سيره سيد المرسلين ، دار المنار ، القاهرة ، 2003م.

68. البلادي، عاتق غيث ، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة للتوزيع والنشر، مكة المكرمة ، 1402هـ.

69. -جواد،على،المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام،دارالساقى، بيروت،2001 م الطبعة الرابعة .

70. حجي محمد ، موسوعة الاعلام ، دار الغرب الاسلامي ، 1417هـ.

71. الحسيني ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، تاج العروس في جواهر القاموس ، دار الهداية ، بدون تاريخ نشر .

72. ابو خليل، شوقى، التاريخ الإسلامى، دمشق،1991م .

73. دوالبي، محمد معروف، الدولة والسلطة في الاسلام ، دار الشواف ، الرياض ، 1414هـ.

74. الرازي ، محمد بن ابي بكر ، مختار الصحاح ، لبنان ، بيروت ،415 هـ .

75. رضا, محمد، محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005م .

76. الزغبي، محمد عفيف ، مختصر سيرة السيرة النبوية ابن هشام ، دار المطبوعات الحديثة، ط3 ،جدة ، 1989م

77. أبوزيد، بكر بن عبد الله ، خصائص جزيرة العرب، المدينة المنورة ، 1421هـ، الطبعة الثانية .

78. سالم ، عبد الرحمن أحمد ، الرسول صلى الله عليه وسلم حياته وتطوره ، الدعوة الاسلامية في عصره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006م .

79. سالم ، عبد العزيز ، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2004م .

80. سامية منيسى، السيرة العطرة للهادى البشير، دار الفكر العربى،القاهرة، 2008م .

81. سباعي ، دكتور ، مصطفى ، السيرة النبوية دروس وعبر ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، 1982م ، الطبعة الخامسة .

82. سدوسي ، ما حذف من نسب قريش ، بدون مكان وتاريخ نشر.

83. سرور ،جمال الدين ، قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، بدون مكان وتاريخ نشر .

84. سيد قطب، فى ظلال القران، دار الشروق، بيروت،1987 م

85. السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن ،الروض الانيق فى فضل الصديق، مؤسسة نادر للطباعة والنشر بيروت، 1410هـ

86. ــــــــ : الخصائص الكبرى ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 1985م

87. الشريف,احمد إبراهيم, مكةوالمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم, دارالفكر العربى ,القاهرة,1965م .

88. ________________________،الدولة الاسلامية الاولى، دار القلم ،القاهره،1965م

89. شكوال، خلف بن عبد الملك،غوامض الأ سماء المبهمة الواقعة فى مبثوث الاحاديث المسندة ،عالم الكتب ، بيروت،1407هـ

90. صالح ، مجذوب بن محمد,رؤية العالم في المفهوم الاسلامي,الخرطوم,2008م

91. صالحى,محمد بن يوسف , سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993م .

92. صلابي (الدكتور) ، على محمد ، السيرة النبوية ، دروس وعبر في تربية الامة وبناء الدولة، بدون مكان نشر ، 2000م .

93. ابو طالب ، حسين على ، دراسات في السيرة والادارة النبوية ، مكتبة الشرق الاسلامي ، جدة ، 2000م ، الطبعة الاولى .

94. عبد الباقى،محمد فؤاد، اللؤلؤوالمرجان فيما إتفق عليه الشيخان،دار الحديث،القاهرة,1986م

95. عبد الوهاب ,محمد, مختصر السيرة النبوية , مطابع الرياض,بدون تاريخ نشر.

96. عوض الكريم ، مامون ، السيد ادريس ، استراتيجية الرسول صلى الله عليه وسلم القائد ، شركة السودان لمطابع العملة ، الخرطوم ، 2009م .

97. الغزالي ، محمد ، فقه السيرة ، دار الندوة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 2008م.

98. الغضبان ،منير,فقه التمكين فى السيرة النبوية، دار الوفاء،مصر،2010م

99. غنيمي ، الدكتور ، مصطفى عبد العاطي ، السيرة النبوية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2005م ، الطبعة الاولى .

100. فالح ، الدكتور ، حسين ، نشأة الدولة الاسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2010م .

101. الفيومى، احمد بن محمد بن على المقرى، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير،المكتبة العلمية ، بيروت، بدون تاريخ نشر.

102. قلعة جي ، محمد رواس ، دراسة تحليله لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته ، دار النفائس ، بيروت ، 1988 م .

103. الكتانى، الشيخ عبد الحى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، دار الكتاب العربى، بيروت ، بدون تاريخ نشر.

104. لمعى،مصطفى صالح، المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثهاالمعمارى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1981 م .

105. مسعود، جبران ، الرائد ، دار العلم للملايين ، 1992م .

106. ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.

107. مهدي ، رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، شركة مطابع السودان للعملة ، المحدودة ، الخرطوم ، 2000م .

108. النجار ، محمد الطيب ، القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، دار الندوة الحديثة ، بيروت، 1978م .

109. هارون،عبدالسلام محمد، ملخص السيرة النبوية، الدار السودانية للكتب،الخرطوم،2007

110. هيكل، محمد حسين، حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر .

الفهرست